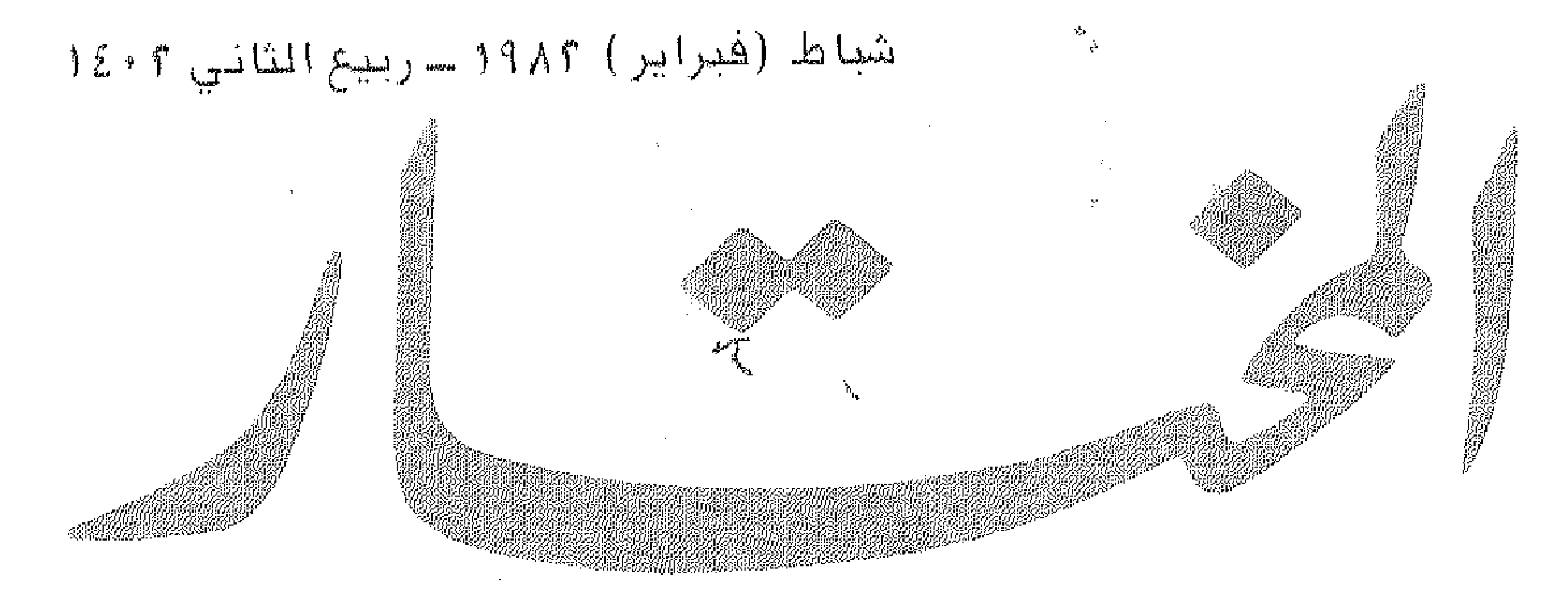
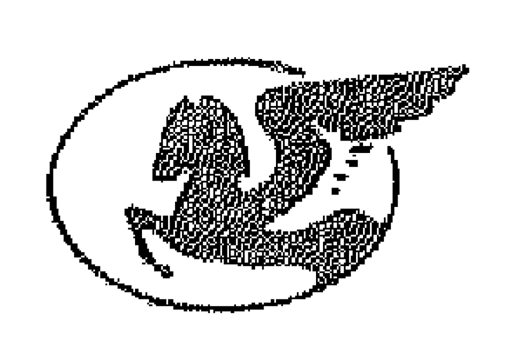
شباط (فبراير) ١٩٨٢ – ربيع الثاني ١٤٠٢





من ريدرز دايجست

الزواج والحب والجنس

(ص ٢٣)

الايام الاخيرة من حياة موسوليني

(ص ١١٢)

السمنة لم تعد مشكلة

(ص ١٣)

لبنان ٥٠٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الإمارات العربية المتحدة ٧د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٧ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٧٠٠م – ليبيا ٧٠٠د – اليمن ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٥٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest February 1982 Nº 39



اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكيمة حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الندرات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست - شارع المقدسي بناية الشرتوني - ص ب: ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا

١٨٨ مليون مارك

اضخم يانصيب من نوعه في أوروبا يفتح أمامك فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون · لكن هذا اليانصيب يفتح امامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط،
- من هذه البطاقات ؛ هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتماً،
- تقريباً ؛ نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز،
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني ·
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك ،
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك ،

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة ·

ولاكثر من ثلاثين سنة؛ جعل من أمثالك اصحاب ملايين· ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة ·
هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث ان ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم ، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية واكثرها استقراراً·

الضمـــان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١٫٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
[illegible] × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٣٦٤ × ١٠٠٠٠ م	= ٣٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠ × ١٥٠٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠٠ مارك
[illegible] × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٦٤٠٠٠٠٠
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقداً ، وهي معفاة من الضرائب الالمانية ، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام ، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو اكثر ·

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة ، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكومياً ، ويجري السحب علناً وقانونياً ،

غرنغور · فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 dew

كيف تشترك في هذا اليانصيب ؟

هناك سحب واحد كل يوم سبت على مدار نصف سنة · تجرى هذه السحوبات تكراراً على جميع البطاقات · وترسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة ؛ مرفقة بمعلومات وافية عن تواريخ السحوبات والجوائز المدرجة ·

وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة ؛ فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك ، وتتساوى جميع الارقام في الحظ ·
يانصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!

- لكي تحصل على بطاقة ؛ املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب الينا من عبر قسيمة محدداً طلبك ·
- عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او بشيك شخصي او بشيك سياحي بالمبلغ المحدد ·

ويمكنك ان ترسل المبلغ نقداً ؛ ولكن يستحسن ان ذاك ايداع الرسالة البريد المضمون (المسجل) ·

- تتسلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات وافية عن هذا اليانصيب ·
- تتسلم ايضاً لائحة دورية بالارقام الرابحة ،

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فوراً برسالة شخصية ،
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقاً لتعليماتك ،

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية ، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين · فهذا من حق صاحب العلاقة وحده ·

> **خدمة حول العالم**
> اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان ،فلا ترسل طلباً جديداً لاننا سنراسلك كالعادة · والرجاء ، في هذه الحال ، أن تحيط أصدقاءك علماً بشركتنا ، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة ·

لا تنتظر – اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود · والافضل ان تحجز بطاقتك فوراً ·

YES **I want to be with it and am ordering:**
for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
(starting november 14, 1981 closing may 8, 1982)

tickets ea.	DM	or US$	or £
☐ 1/1 tickets at	720.–	360.–	180.– each
☐ 1/2 tickets at	360.–	180.–	90.– each
☐ 1/4 tickets at	180.–	90.–	45.– each
☐ Lucky Letter at (= 4 quarter-tickets, each with a different number)	720.–	360.–	180.– each

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.–/ US $ 12.–/ £ 6.– (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to yo[ur] account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are cov[ering] the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additio[nal] fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 110753, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ____
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Span[ish]

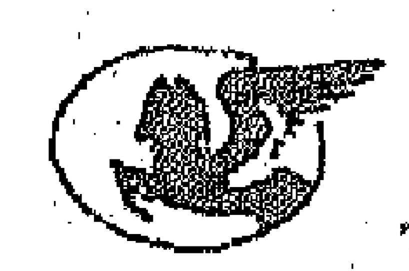
☐ Mr.
☐ Mrs. ____
☐ Miss

Street address (or P.O.Box No.) ____

City (postal code No.) ____

Country ____ Please print or type all entries

RD-AB 2/8



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب

امانة التحرير: راغدة حداد . الاخراج: امل الزين

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":

رئيس التحرير: ادوارت • طومسون، مدير التحرير: الان دوليرو، المدير العام: جون أ • اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس • الناشر: شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت • الخدمات الصحافية: شركة النهار ش•ت•م•ل • بيروت • التحرير: شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص•ب ٣٣٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR ٢٢٣٢٢ LE بيروت • التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤ ـ ٣٤٠٠٤٠•
الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص•ب ٨٧٠٧-١١، التلكس ٢٢٢٨٨ LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: مطابع تكنوبرس الحديثة ـ الفبيري ـ لبنان • التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت •

تنشر "ريدرزدايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية •

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.



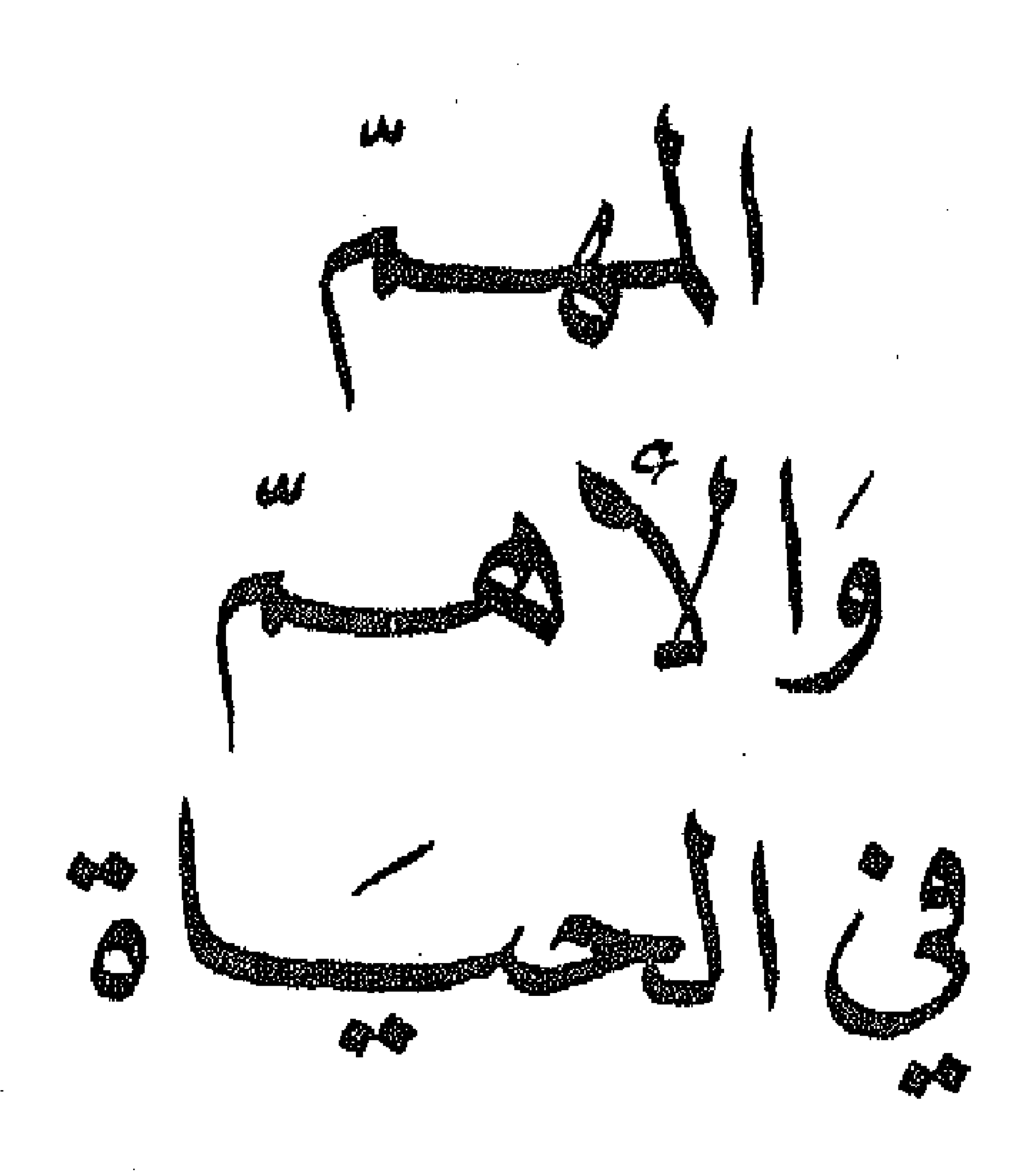
الغلاف: طبيعة شتائية (اريك ناسميث ـ كندا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

February 1982 Nº 39 (New Series) Vol. 4

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة •





مسائل جانبية كثيرة تعمينا عن الافادة من لحظات سعادة مع من نحب هي اهم ما في الحاضر وألذ ما في ذكريات الايام الآتية

فيما انا منهمكة في غسل الاطباق ذات صباح كي اتفرغ بعدها لنحو ٤٥ مسألة اخرى بدت لي غاية في الالحاح، اذ بابنتي الصغيرة ذات السنتين تشد ثوبي متوسلة وهي تمص اصبعها: "امي، تعالي وضعيني في الارجوحة". فأجبت: "ليس الآن يا لورا، علي ان انهي اموراً كثيرة. اذهبي والعبي الآن وسنلهو بالارجوحة بعد العشاء".

انصرفت لورا عني مطيعة ودخلت غرفتها وشعرها الاشقر يترجح مع كل درجة في مشيتها.

واذ نظرت اليها ادركت ان خطواتها ستكون اكثر اتزاناً في غضون ستة اشهر وطلباتها اكثر نضجاً، وان هذه اللحظة ستصبح مجرد ذكرى. ولم يعجبني ما سأتذكره آنذاك، فناديتها: "لورا، تعالي نلعب". ثم جففت يدي وجلسنا معاً في الارجوحة طوال نصف ساعة لا يثمن ونحن نهز ونغني، الى ان ملت لورا وقفزت الى الارض لتلعب وحدها.

ولم استأنف عملي للحال، بل تجاهلت لائحة الواجبات التي كانت تنتظرني والمدونة في ورقة مثبتة على باب الثلاجة، واسترسلت افكر في ما اضعته من لحظات كهذه اذ آثرت ان استبدلها بامور بدت لي ملحة. ولا شك في اني ساتذكر بفرح الوقت الذي قضيته في صحبة لورا، ما من امر أعز كان يمكن ان افعله. لكني كدت ان افقد تلك اللحظات اذ هممت بابدالها بواجبات اخرى بدت لي اشد الحاحاً.

وتذكرت لحظات كثيرة اذ كان زوجي يناديني: "ليندا، تعالي نجلس معاً". فأؤثر ان انهي طي المناشف او انصرف عنه لانجاز مهمة اوكلت علي في جمعيتنا المحلية. كنت التزمت مبدأ اساسياً هو ان زوجي باق هنا وسأعود اليه بعد ان افرغ من مهماتي الملحة. لكنني سأتدارك الامر الآن. فاللحظات التي اقضيها معه، خصوصاً حين يرغب هو في ذلك، هي اثمن من ان تؤجل.

وفكرت صباح اليوم في ان اصحب ابني الصغير الى مدرسته سيراً بدلا من اخذه بالسيارة. وتذكرت ما ينتظرني من واجبات اخرى، وابتسمت اذ ادركت ان سبعة اشهر مضت وانا اعده بان نسير معاً الى المدرسة. ان اللحظات التي نقضيها

المختار

صباح كل يوم، نتمشى في الشوارع المزينة بالشجر، قد تصبح من اعز الذكريات لنا نحن الاثنين. فما الذي جعلني اقدم عليها اموراً كثيرة اخرى؟

واذ تذكرت لائحتي المشؤومة فكرت في لائحة اخرى، لائحة باسماء احباء كدت ان افقدهم لانني لم اجد الوقت الكافي لمراسلتهم. وشعرت بالالم اذ ادركت ان بين هؤلاء والدي زوجي ووالديّ انا، وقد فصلت بيننا مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر. كنت اعلم كم يفرحون بتلقي اخبار الاولاد، ولكن نادراً ما كنت اكتب رسالة قصيرة، فحرمت الاجداد اخبار الاحفاد.

ونهضت من الكرسي الهزاز بنظرة جديدة الى المهم والاهم في الحياة. وادركت ان الهوامش اعمتني عما هو ملح حقاً.

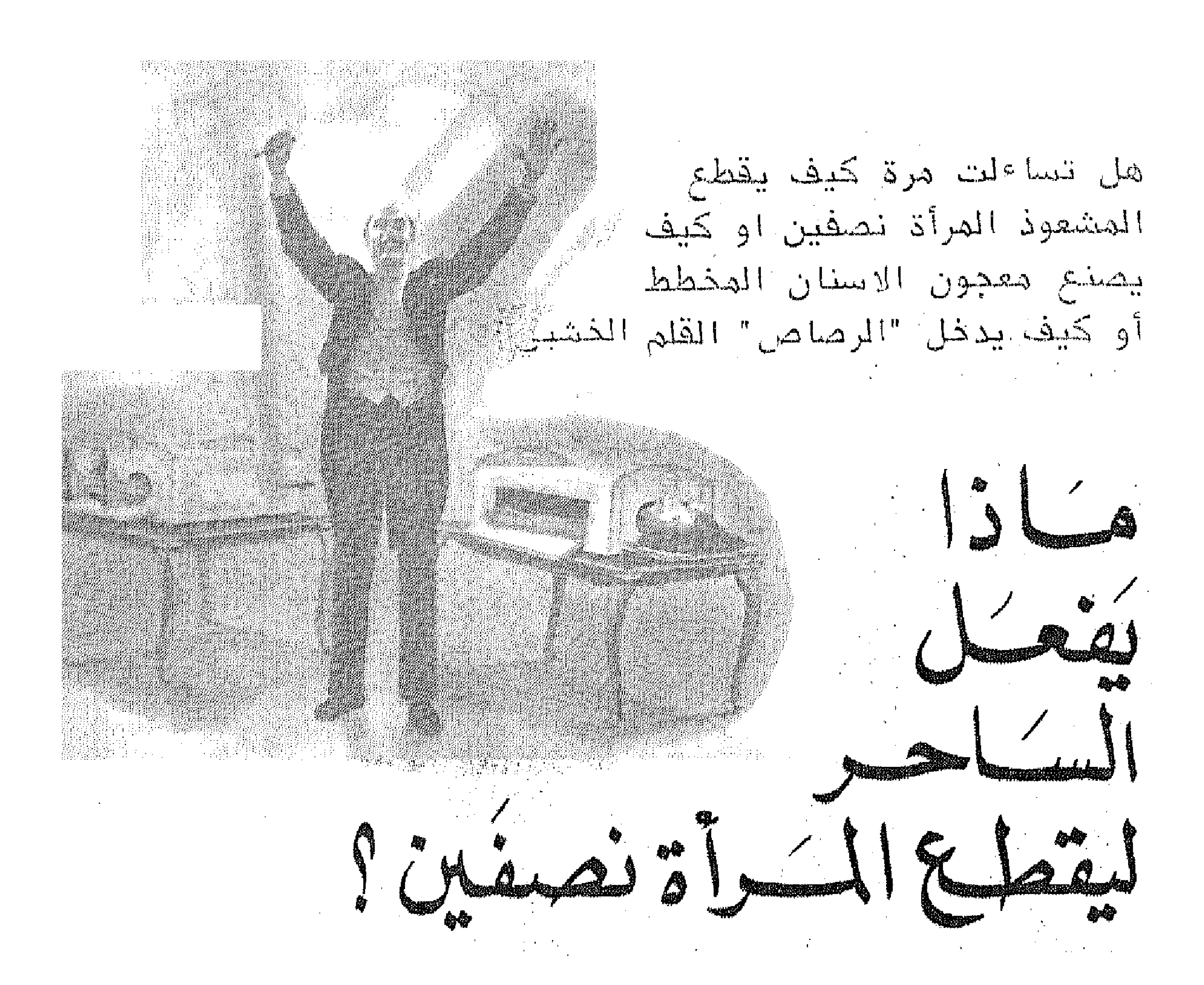
ان ادراكنا ما هو مهم في حياتنا قد يأتي بعد فوات الاوان. المناشف والاطباق والجمعيات كلها تنتظر، لكن الزوج والاود والعائلة والاصدقاء قد لا ينتظرون.

■ ليندا تايلر

المحاضرات

كان استاذ علم اللغات يشرح احدى النظريات المتعلقة بنشوء اللغة وتطورها، فقال ان الاصوات تؤدي الى مقاطع، والمقاطع الى كلمات، والكلمات الى جمل.

وهنا طرح السؤال الآتي: "والجمل... الى ماذا تؤدي؟" فجاءه جواب من آخر القاعة: "الى محاضرات".



هل تساءلت مرة كيف يقطع المشعوذ المرأة نصفين او كيف يصنع معجون الاسنان المخطط أو كيف يدخل "الرصاص" القلم الخشبي؟

ماذا يفعل الساحر ليقطع المرأة نصفين؟

□ **كيف يقطع المشعوذ امرأة نصفين؟**

هذه الخدعة توهم المشاهدين بأن المرأة تتمدد داخل صندوق وضع على طاولة. يبرز رأس المرأة من احد طرفي الصندوق وقدماها من الطرف الآخر. عندئذ يبدأ المشعوذ نشر الصندوق من وسطه. وينفصل النصفان ويبعدان، لكن المرء لا يرى ماذا في الداخل لأن صفيحتين معدنيتين تنزلقان لتسدا الطرفين اللذين قطعهما المنشار. اخيراً تضم القطعتان وتنهض المرأة من داخل الصندوق سليمة معافاة.

احدى طرق هذا الخداع توجب استخدام امرأتين. وحين تجلب المعدات الى المسرح تكون احدى المرأتين مختبئة داخل الطاولة.

وعندما تدخل المرأة الاخرى جوف الصندوق، تدخله المرأة المختبئة ايضاً من خلال باب سري في الطاولة وتبرز قدميها من احد طرفي الصندوق ثم تنطوي على نفسها واضعة رأسها بين ركبتيها. اما المرأة الاولى فتثني ركبتيها نحو ذقنها داخل النصف الآخر من الصندوق. وهكذا تتركان فراغاً في الوسط يمر فيه منشار المشعوذ.

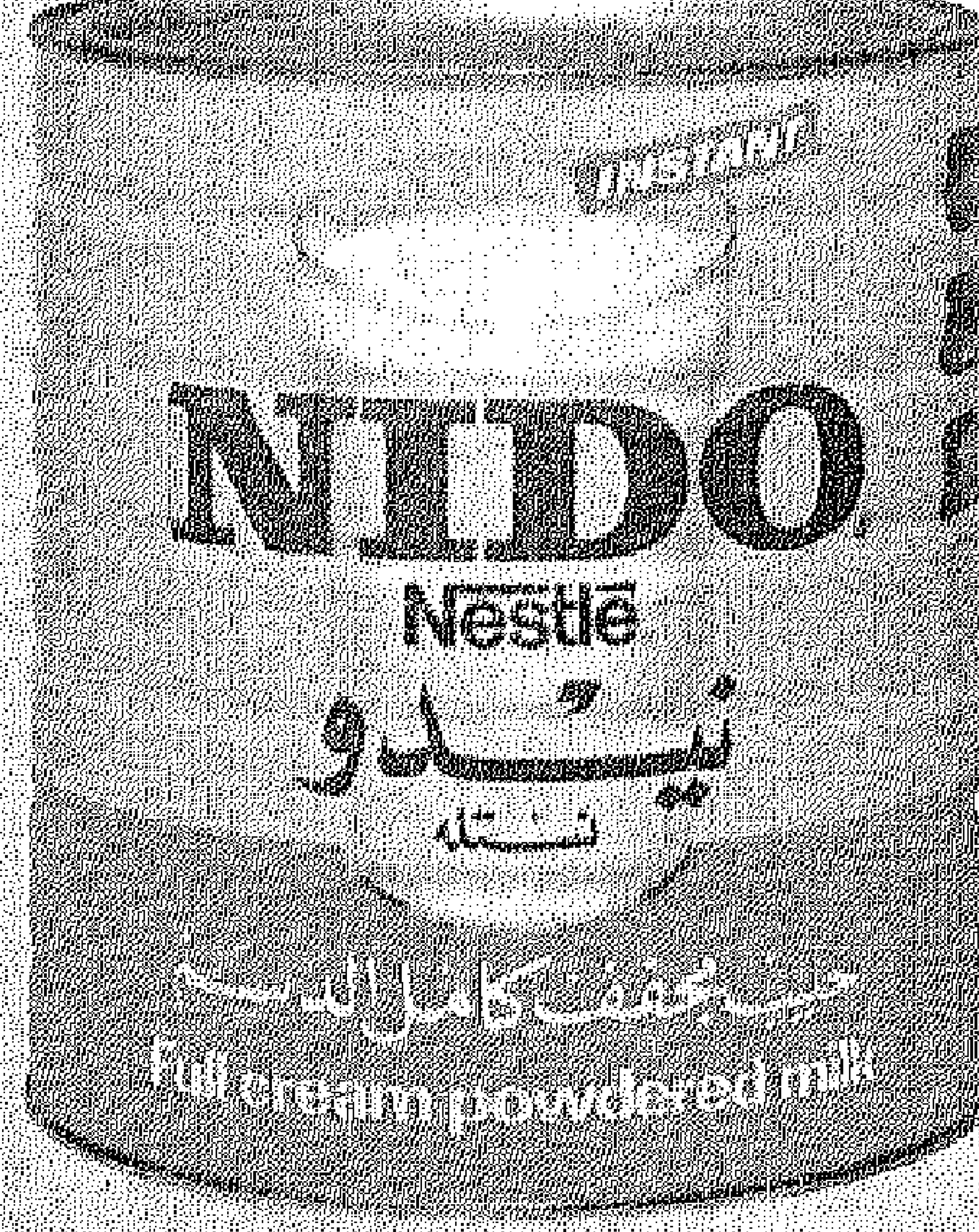
□ **كيف يصنع مسحوق القهوة السريع الذوبان؟**

في المعمل يغلى مقدار كبير من البن قد يبلغ ٩٠٠ كيلوغرام. وتستخرج من هذا المقدار العناصر القابلة للذوبان. بعد ذلك يدفع السائل في أنابيب تعرضه للضغط والحرارة

أمّنوا لأولادكم نمواً صحيحاً







نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نمواً متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خالياً من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم بارداً أو ساخناً في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينمو أولادكم وينعموا بالعافية

تضمن نستله Nestlé

المرتفعة فيستحيل خلاصة مركزة من القهوة تجفف بأحدى طريقتين.

للحصول على مسحوق القهوة السريع الذوبان تجفف الخلاصة المركزة في الهواء الساخن (نحو ٢٦٠ درجة مئوية) فيتبخر الماء تاركاً حبيبات صغيرة من القهوة ترطب بالماء قليلا لتتجبل في كتل تذوب بسرعة في الماء الحار، ثم توضع في آنية زجاجية.

الطريقة الاخرى هي التجفيف بالتجليد، تجلد الخلاصة السائلة ثم تكسر لتصبح حبيبات توضع في جهاز تجفيف مفرغ من الهواء. الماء المتجلد يتبخر مباشرة ويطرح خارجاً فتبقى القهوة الصلدة التي تذوب فوراً في الماء الحار.

☐ كيف يدخل قضيب الفحم في خشب قلم الرصاص؟

يتألف قلم الرصاص في الحقيقة من قطعتين من الخشب ملتصقتين، لكن الفاصل بينهما غير منظور.

☐ كيف تعرف الكبسولة الموقتة الموعد المحدد لاطلاق محتوياتها من الدواء؟

هذه الطريقة مستوحاة من حبوب سكاكر صغيرة تستعمل في زخرفة الحلويات. تضم الكبسولة ما يراوح بين ٣٠٠ و ٩٠٠ حبيبة تنطوي كل منها على قلب مصنوع من السكر والنشاء. توضع ملايين هذه الحبيبات في وعاء ضخم يشبه آلة مزج الاسمنت، ثم تضاف اليها الادوية فتتوزع عليها بمقادير متساوية وتلتصق حول القلب بينما الوعاء يدور ويقلبها. وبالطريقة نفسها يضاف الى الحبيبات المكتسية بالدواء غشاء شمعي. وتوضع الحبيبات في أوعية مختلفة لتعطى مقادير مختلفة من الاغشية الشمعية بحيث ان بعضها يفرز الدواء للحال بينما يستغرق بعضها الآخر وقتاً أطول قد يبلغ ١٢ ساعة ريثما يكون الجهاز الهضمي أذاب الغشاء الشمعي.

☐ كيف يصنع معجون الاسنان المخطط؟

يدخل انبوب صغير فيه فتحات طولية ليمتد من فوهة انبوب معجون الاسنان مسافة قصيرة الى الداخل. في هذا الانبوب الصغير يوضع المعجون الاحمر. وعندما تضغط على انبوب معجون الاسنان، يضغط المعجون الابيض على المعجون الاحمر داخل الانبوب الصغير قرب الفوهة فيخرج المعجون الاحمر من الفتحات ويختلط بالابيض ويخططه.

☐ كيف يميز جهاز البيع الآلي القطعة النقدية الصحيحة من المزورة؟

أجهزة البيع الآلي مجهزة بمعدات لا تكتفي بالتحقق من قطر القطعة النقدية بل تتعداه الى سماكتها ووزنها وتركيبها المعدني في وصفاتها المغناطيسية.

☐ كيف تصنع المفرقعات؟

كثير من المفرقعات يصنع من نيترات البوتاسيوم (الملح الصخري) او الكبريت او الفحم المسحوق. بعضها يحتوي أيضاً على بركلورات البوتاسيوم وعلى المغنزيوم والالمنيوم وأملاح الاثمد (أنتيموني).

البارود الاسود هو الذي يعطي "السهم" قوة الدفع والانفجار. اما الالوان الزاهية الحمراء والخضراء والزرقاء والصفراء فأنها تنتج من نترات السترونتيوم ونترات الباريوم وأوكسيد النحاس (الزنجار) وأملاح الصوديوم بحسب هذا الترتيب.

اما الاشكال المختلفة التي ترسمها

المفرقعات في الهواء فتنتج من اختلافات في طريقة جمعها. "الفوارة" مثلا تحوي شحنة من الكبريت ونترات البوتاسيوم والفحم، وهذه تعطي دفقاً من الشرر اما بمفردها واما بمزجها مع مجموعة صغيرة من البرادة المعدنية. اما "النجوم" فانها مركبة من مواد كيميائية شتى تحترق محدثة ألواناً زاهية بعد ثوان من اطلاقها في الجو. الشموع الرومانية تصنع من طبقات من البارود وفتيل تفجير موقوت ونجوم. الاسهم تجهز بغطاء ورقي فوق علبة اسطوانية محشوة بالنجوم والبارود، والشحنة الدافعة تطلق السهم في الجو ثم تبدأ اشعال النجوم. اما دولاب النار فله فوهة في رأس كل انبوب مثبت فيه ومسمار مركزي تدور حوله الشحنة المتفجرة عند احتراقها. بعض الانواع الاخرى من المفرقعات، مثل "القنابل" الكبيرة المحشوة بالنجوم، تحتوي على وعاء او اكثر أصغر حجماً من الغلاف الخارجي وكلها تتضمن نجوماً وتنفجر بالتتابع في الهواء بمناظر مدهشة.

□ **كيف تحفظ القوارير الحرارية (الترموس) السوائل ساخنة او باردة داخلها؟**

القارورة الحرارية مصممة بطريقة تحد من التبادل الحراري بين الداخل والخارج عن طريق اعاقة السبل الثلاثة التي تنتقل بها الحرارة وهي: التوصيل المباشر والحمل الحراري والاشعاع. داخل القارورة وعاء زجاجي مزدوج، فالزجاج موصل رديء للحرارة. يفرغ الهواء بين طبقتي الزجاج تفريغاً شبه كامل مما يحد من تسرب الحرارة خارجاً او داخلا عن طريق الحمل الحراري (انتقال الحرارة من جزء من السائل او الغاز الى جزء آخر). ولكن بما ان الحرارة تنتقل في الفراغ ايضاً عن طريق الاشعاع، فان السطوح الخارجية والداخلية للقارورة تطلى بمحلول الفضة الذي يعكس الموجات الحرارية من غير ان يمتصها.

اخترع القارورة الحرارية السير جيمس ديوار عام ١٨٩٢ ليحجب الحرارة عن الغاز السائل الذي كان يجري عليه تجاربه العلمية. ومنذ ذلك الحين، غدت النزهات والمباريات الرياضية اكثر متعة.

■ **كارولين ساتون**
ودنكان اندرسون

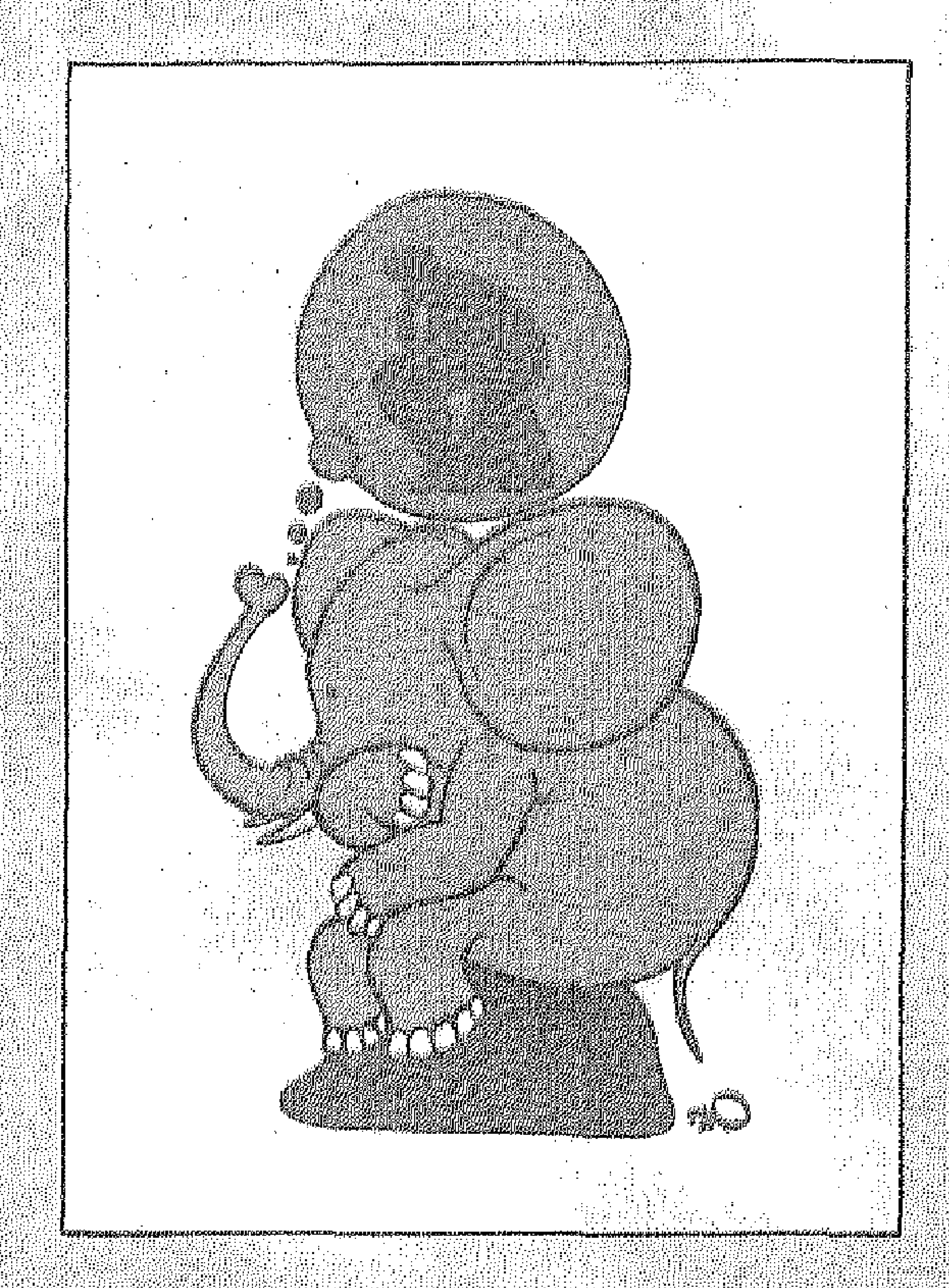


درس في الخطابة

كان رجل أعمال كثير الأسفار يعتمد على سكرتيرته لكتابة خطاباته. وظلت تطيع أوامره حتى لاحظت أنه بات يكثر الاعتماد عليها. وذات مرة قررت أن تعلمه درساً، فسلمته خطاباً لالقائه في اجتماع بالغ الاهمية. وراح يلقي خطابه ببلاغة حتى وصل الى الصفحة الاخيرة حيث جاء: "هذا يفضي بنا الى خمس نتائج حاسمة". وقلب الصفحة، فوجد التالية بيضاء.

س. م.

تأملات معاصرة



الماضي والمستقبل

لا تأسف قط على أمر لم يتحقق في الماضي، فالماضي الذي لم يتحقق غامض كالمستقبل الذي لا تمكنك رؤيته.

ر.م.س.

العظام انواع

ان جسد اي كيان مؤلف من اربعة أنواع من العظام. فهناك عظام الترقوة — واسمها ايضاً عظام التمني — التي تقضي الوقت متمنية ان يؤدي سواها العمل. وهناك عظام الفك التي يصدر عنها جميع الكلام ولا شيء آخر تقريباً. وثانـي، ثالثـاً، عظام السُلامى — ومعناها الاخصاع — التي تحاول نقد كل ما يفعله الآخرون. ومن حسن الحظ ان لكل كيان عظمه الفقري الذي يقع عليه العبء الاكبر ويؤدي معظم الاعمال.

ل.أ.

الضجيج

قال أحد الحكماء ان الضجيج هو الاهانة الكبرى للناس. فهو يحقرنا ويقتل أشياء كثيرة أحببناها: الموسيقى والجمال والصداقة والرجاء والاثارة والطبيعة. ومنذ القدم، كانت وظيفة الضجيج الهزء والسخرية والمضايقة، ووظيفة الصمت المساعدة على العبادة والاحترام والتأمّل والحبّ. ترى أتكون اصواتنا مقياساً للكراهية التي يكنها أحدنا للآخر؟

ج.ه.

الصداقة

الصديق هو من يمكنك ان تبوح له بأي فكرة تخطر في بالك. أما المعارف (الاصحاب) فتكيف نفسك لارضائهم لانك تعرف ان أفكارهم عنك ليست واقعية تماماً. وفي حالات كثيرة يتم الزواج بين معارف. ومن ناحية أخرى، ففي امكانك ان تقضي ثلاث ساعات مع شخص ويصبح صديقاً لك، وان تقضي ثلاثين سنة مع آخر ويبقى في عداد المعارف.

ج.د.م.

الصورة

قال البرت اينشتاين لمصور فوتوغرافي: "ان مهنتك رائعة. هل فكرت في الشبه بينها وبين مهنة الجراح الذي يحمل حياة انسان بين يديه اذ يحمل مبضعه؟ انك تحمل حياة انسان بين يديك اذ تمسك بآلة التصوير.

"ان مهمة المصور تنطوي على العطف والمحبة، لان الصورة لا تهرم. البشر يتبدلون أما الصورة فتبقى على حالها، وفي الصورة، أنت ترى الناس كما تتذكرهم".

الن ريتشاردز، كتاب "اينشتاين كما عرفته"



صَبَاح الخَيْر!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .

السمنة لم تعد مشكلة

اجمع التفكير السليم الى التخطيط الغذائي الى التمارين، تنعم بجسد رشيق ومعنويات مرتفعة

الخيبة الكبرى بعد نظام حمية عن الطعام هي سرعة استعادة الوزن بعد فقدانه. لكن البرنامج الذي أتبعه للمحافظة على وزني أعد ليدوم مدى العمر، فمتى بلغت الوزن الذي تريده ستبقى ناحل الجسم أبداً.

يتألف البرنامج من ثلاث شُعب تجمع بين طريقة التفكير والتخطيط الغذائي والتمارين.

طريقه التفكير

ترتبط طريقة التفكير مباشرة بالمظهر الخارجي. عندما كنت بديناً كرهت نفسي وكنت تعساً وأكثر من تناول الطعام كي ارفع معنوياتي. لكن اتجاها فكرياً ايجابياً حطم هذه الدوامة المدمرة وساعدني في المحافظة على وزني الجديد طوال هذه الفترة.



. ان التكرار يقوي العادات. فتأمل في التمارين الفكرية الآتية ومارسها كل يوم:

الايجابية. الخطوة الاولى لتخفيض الوزن الزائد هي الثقة بامكان ذلك. عندما تستيقظ صباحاً، انظر الى المرآة وقل: "سيكون عملي اليوم افضل من الامس، وسأنجح". وأعنِ ما تقول، فايجابيتك ستمحو السلبية في تفكيرك الباطني.

ماذا اريد وماذا احتاج؟ تواجهك يومياً قرارات حول الطعام: انتهيت من طعام الغداء قبل ساعات قليلة، لكنك تشعر الآن برغبة في الاكل بسبب الضجر او الوحدة او الكآبة. قبل أن تقصد الثلاجة، توقف لحظة وتساءل:

"هل فعلا اريد تناول فخذ الدجاجة؟" - نعم، انا اريد تناوله.

"هل انا في حاجة اليه؟" - كلا، فلست احتاج الآن الى اكل شيء، بل احتاج الى السيطرة على نفسي لاحافظ على برنامجي الغذائي.

في الماضي كنت ببساطة تتناول كل ما تشتهيه وتعرض نفسك للسمنة. اما الآن فعليك تحكيم فهمك وسلامة ادراكك.

جرس الانذار - بعض الكلمات المتعلقة بالطعام يجب ان تشكل "اجراس انذار". انت كثيراً ما تسمع هذه العبارة: "أعلم انك تراقب وزنك، لكن قليلا من هذا الطعام لن يؤثر". لتكن "قليلا" كلمة الانذار، فالقليل يصبح الكثير والكثير يعني السمنة. ابدأ ربط الكلمات بنتائج سلبية: القليل بالكثير والدرهم بالقنطار والكوب بالبرميل، وهكذا.

تمارين نهاية النهار. انهِ نهارك بذكر كلمات مُطمئنة قبل القيام بتمارين المساء. انظر الى المرآة وقل لنفسك:

"لن ينقص وزني سريعاً، لكنه أمر سيحدث في النهاية".

"سيكون الغد يوماً أفضل".

بمثل هذه المواجهة تقوي المحبة والاحترام اللذين تكنهما لنفسك. ان تمارينك الفكرية اساس لابقائك ناحلا.

برنامج الطعام

يعتقد العديد من الناس انهم يمارسون الحمية عندما يبدلون الدجاج والدهن باللبن و"الطعام الصحي" الذي لم تضف اليه مواد كيميائية، لكن وزنهم لا ينقص وهم يجهلون سبب ذلك.

ان السبب هو كمية الطعام الذي يتناولونه. عليك اعادة تقويم معنى "حصة" الطعام. فزيادة وزنك دليل على انك تأكل كميات اضافية. كي يكون جسمك سليماً - وناحلا - يتوجب عليك ان تتناول طعاماً متوازناً.

يقسم الطعام اربع مجموعات أساسية: الحليب والبروتيين والخضر/ الفواكه والخبز/ الحبوب. فاذا اكثرت من الجبن او الخبز او اكلت حصة شخصين من سلطة الفاكهة (باعتبار انها صحية جداً)، فانت في مأزق. من جهة اخرى، فاذا لم تحصل على الكافي من الخضر او البروتيين، فانت في مأزق ايضاً. اساس الطعام توازنه.

فكيف تجد التوازن الملائم لجسمك؟ تجده بالانتباه الى ما تأكل

وتكييف شهيتك مع المواد التي يحتاج اليها جسمك.

التوقيت هو من اهم العوامل للحصول على توازن في الطعام. فاذا تأخرت في العشاء، وجب ان يكون خفيفاً. ان الوقت الاسوأ للطعام الثقيل هو قبل النوم. ففي النهار يحرق الجسم الغذاء بسبب الحركة، بينما يقل نشاطه في الليل. فاذا اردت ان تأكل بين الوجبات الرئيسية فليكن ذلك خلال النهار.

اليك بعض الاقتراحات لردع شراهتك:

حاول ان تبعد عن بيتك المأكولات الدسمة. انا احتفظ في ثلاجتي دائماً بوعاء مليء بالفجل والقنبيط والحبوب الطازجة والكرفس والجزر، فهكذا تبقى باردة وهشة (الاشخاص الذين يأكلون بين الوجبات يفضلون الطعام الذي يحدث صوتاً في الفم).

اما اذا تساءلت عن الحلوى الباردة التي يجب ان تحتفظ بها في حال اشتهائها، فجرب العنب البارد الخالي من البزور. اغسل الحبوب وانزع عنها العيدان وضعها في الثلاجة، وعندما تشتهي الحلوى تناول قليلا من هذا العنب. ستشعر لدى ذوبانه في فمك بطعم حلو ومنعش.

ومن اصعب الامور زيارة الاصدقاء. عندما ازور معارفي وتقدم الي المأكولات الدسمة، اختار اهون الشرور وآكل القليل منها. تجنب الحلويات المنزلية التي تقدم اليك في المكتب. عليك ان تقرر: هل تريد هذه الحلويات ام طعام الغداء؟

من الصعب رفض ما يقدم اليك، كذلك يصعب التخلص من عادات الطعام السيئة. ولكن تذكر، ليس صحياً ان يكون المرء زائد الوزن.

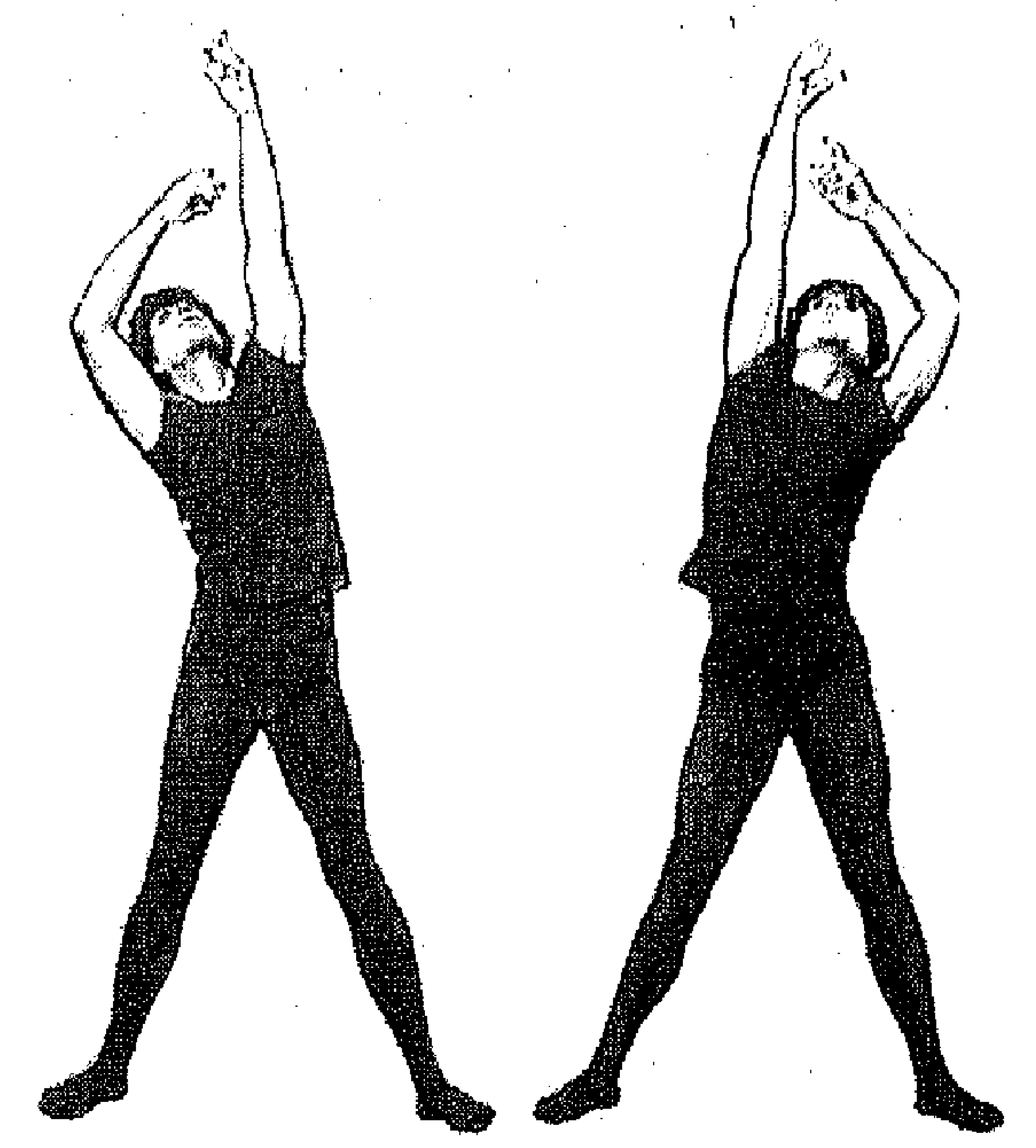
التمارين

من المعترف به عموماً ان التمارين مملة. ويمكنني فهم تذمر الناس منها لكن الردفين الثقيلين والفخذين النافرين والخصر الممتلىء والذراعين المرهلتين ليست بديلا افضل. عندما تواجه التمارين من هذا المنظار، فهي لن تبدو مملة.

لقد أعدَّت التمارين كي تناسب انواع الاجسام وتعين على فقدان الوزن. على كل شخص (مهما يكن وزنه او وزنها) البدء بتمارين التنفس. استمع الى الموسيقى اولا، فالنغم واللحن يجعلان التمارين الذ. انت مستعد؟ لنبدأ:

التنفس العميق. قف مستقيماً دافعاً بكتفيك الى الوراء وارفع عنقك وباعد بين قدميك. (تأكد من هذا الوضع قبل بدء التمارين).
خذ نفساً عن طريق الانف، ثم دع الهواء يخرج ببطء عن طريق الفم.
انك بهذه الطريقة تمدد رئتيك – ما من طريقة افضل لبدء النهار!

تسلق الحبل. حافظ على وقفتك السابقة. المعدة الى داخل والعنق الى اعلى، انظر الى سقف الغرفة. ضع يديك فوق رأسك كأنك تستعد لتسلق حبل. بدل تنفسك بين شهيق وزفير في اثناء تحريك اعلى جذعك. دع اليد اليمنى تشد الحبل الوهمي عند الشهيق واليسرى تشده عند الزفير.



شد العضلات والاعصاب • تمدد على الارض • اثن ركبتيك وباعد بين قدميك • ضع يديك على الفخذين • خذ نفساً فيما يكون رأسك وظهرك على الارض • اخرج الهواء بينما تزلق يديك لتصلا الى الركبتين • حافظ على ذقنك مضغوطاً الى صدرك وتنشق الهواء حين تتحرك ثانية الى اسفل •

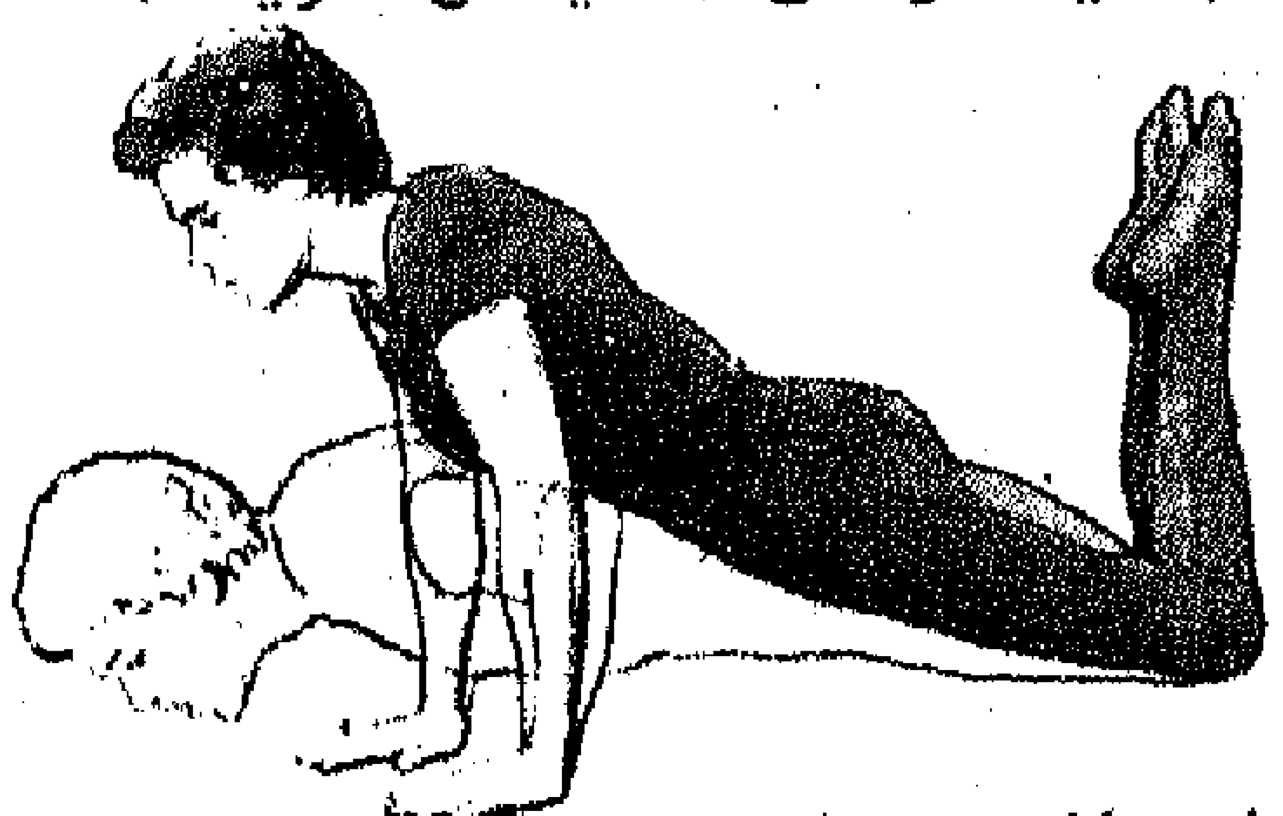


تشعر بالشد في كتفيك وفي خصرك • (حافظ على معدتك مشدودة الى الداخل) • استمر في التصور انك تتسلق الحبل •

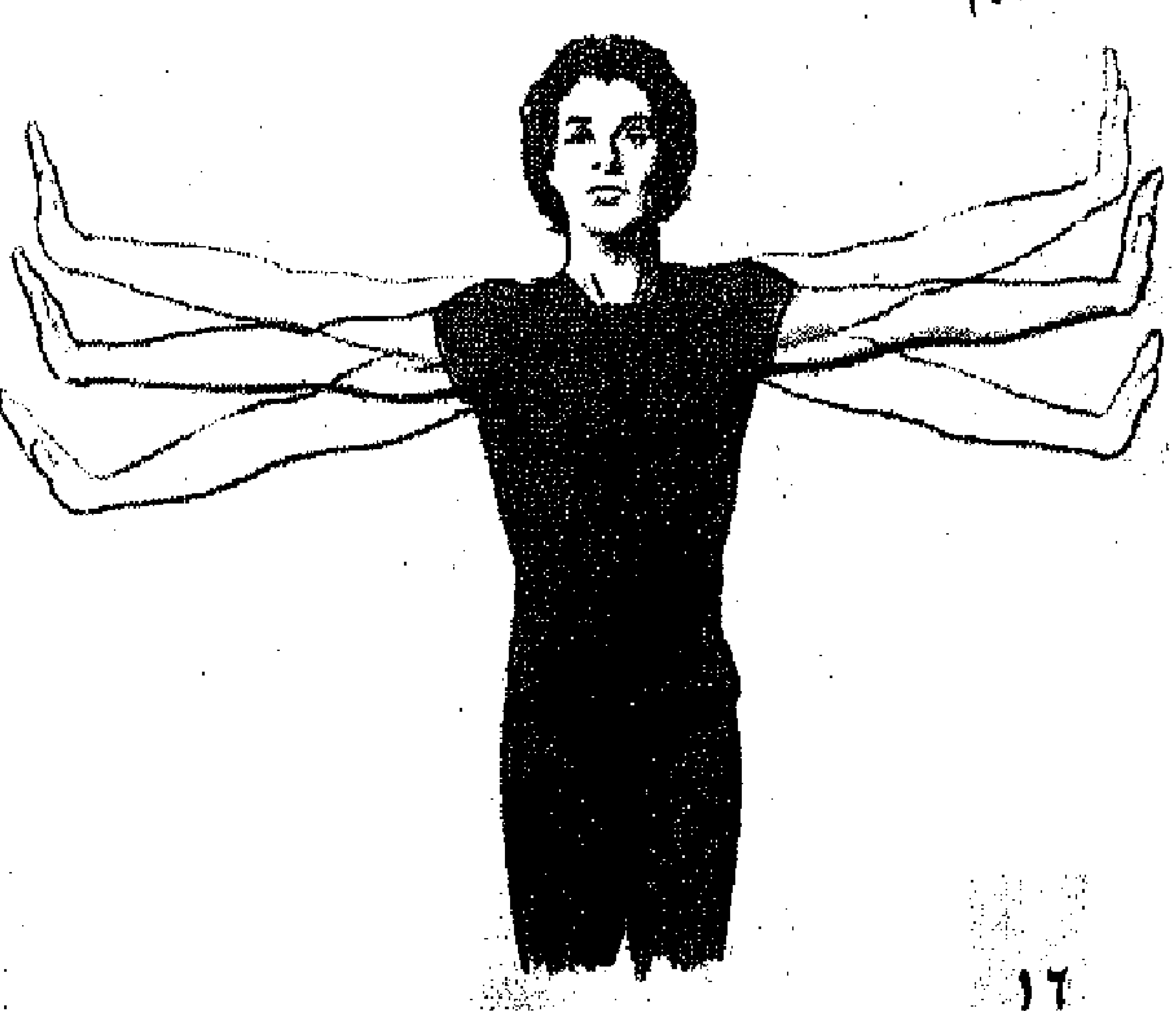
تمارين الذراعين • قف، وساقاك متلاصقتان وذقنك مرفوع الى اعلى • ابسط ذراعيك وشدهما وافتح راحتيك • حرك ذراعيك دائرياً يمنة ويسرة، مبتدئاً بدوائر صغيرة تكبر تدريجاً • حافظ على تنفس منتظم، وليكن الشهيق من الانف والزفير من الفم •

الصدر والذراعان • استلق على ركبتيك ويديك • ارفع قدميك وباعد بين الركبتين وبين اليدين مسافة نصف متر • تأكد من ان رأسك وعنقك وظهرك وقفاك تشكل خطاً واحداً • يريحك هذا الوضع من اي ضغط على ظهرك • الصدر والذراعان تتولى الحركة في هذا التمرين •

استنشق الهواء وانت في الوضع المرتفع (مع استقامة المرفقين - تأكد من وضعك) واخرج الهواء عند انزال جسمك ببطء • استنشق في اثناء رفع جسمك الى ان يستقيم مرفقاك ثانية • (هذه التمارين قاسية في البداية، ولكن لا تيأس سريعاً) •



الروك اند رول • اجلس في وضع مستقيم وقدماك متلاصقتان • مد ذراعيك • ارفع جانبي قفاك كلا على



حدة وهزهما من جهة الى اخرى.تنشق عند رفع الجانب الايمن وازفر عند رفع الجانب الايسر· تأكد من التصاق قدميك وارتفاع قفاك ما امكن وضغط المعدة الى الداخل·

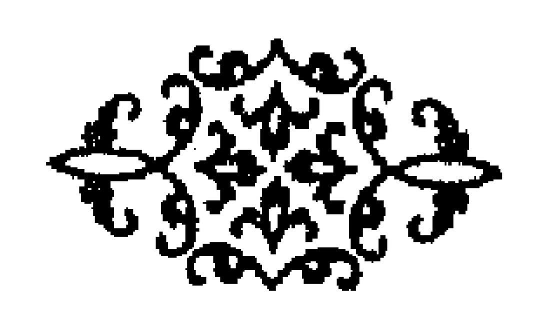
لم يكن ذلك صعباً· اليس كذلك؟ ان هذا التمدد البسيط ينشط جسمك كله· وعندما تبدأ يومك بهذه التمارين فسوف تكون في وضع متحكم تماماً·

ان هذه الشعب الثلاث ـ التمارين الفكرية والتخطيط الغذائي والتمارين الرياضية ـ تعمل معاً· وهذا العمل المشترك يفقد الجسم وزنه الزائد ويكسبه طاقة· عليك ان تواصل هذه التمارين طوال حياتك· فالعناية بالنفس لا تنتهي·

وزنك هو مقياس نجاحك والمرآة شاهدك، وتفكيرك يخدم كملاك حارس فلا تتجاهله· وعندما تعمل في ترسيخ عادة تتعلق بالتمارين او نظام الطعام، فذكّر نفسك باستمرار: "يمكنني القيام بذلك"·

انا نجحت، واعلم ان في امكانك انت النجاح ايضاً·

■ ريتشارد سيمونز



شيخوخة البشرية

يبدو أن البشرية تشيخ· ففي ١٩٧٠ كان عدد الاشخاص الذين هم دون الخامسة عشرة يفوق عدد الذين فوق الخامسة والستين بـ٣ اضعاف·وستصبح هذه النسبة ثمانية أضعاف في العام ٢٠٠٠ وأقل من ضعفين في العام٢٠٥٠· وبعد مئة سنة من ذلك التاريخ،أي في أواسط القرن الثاني والعشرين، يتوقّع ان يغدو عدد الكبار خمسة أضعاف ما هو اليوم، وان يصبح عدد الصغار مساوياً تقريباً لعدد الكبار·

ا·س·

عصفوران بحجر واحد

كان جاري متحمساً لفكرة اللياقة البدنية· لكنه لم يستقر على نوع واحد من الرياضة، بل كان يمارس العدو الوئيد وركوب الدراجة الهوائية وكرة المضرب (التنس) والتزلّج والتجذيف وتسلّق الجبال، حتى اذا انتهى من واحدة عاد الى الاخرى· وتعجبت حين عرفت أنه استقر على السباحة أكثر من سنة· وعندما سألته عن الدافع الى ذلك، أجاب: "السباحة هي الرياضة الوحيدة التي لا يمكنني التدخين وأنا أُمارسها"·

ر·و·

مأساة واقعية

"ساعدنا يا رب!"
هتف الرجلان العالقان
في جوف المدخنة العملاقة.
وتعلقا بالحبال
في انتظار النهاية الرهيبة

إنقاذ رَجلين سَقطا في أنبوب طوله ٢٠٠ متر!

شعر روبرت ابلنغ ان نذيراً بالشؤم يلوح له في تلك المدخنة العملاقة المتعالية فوقه في ذلك الصباح الغائم من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧. فخلال ٣٣ سنة من العمل لم يسبق له ان دخل مدخنة كهذه.

تلك المدخنة التي يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ متر كانت تلامس الغيوم الدكناء العابرة في السماء منذرة باعصار مقبل. غير أن بوب سيلفر، زميل ابلنغ، بدا واثقاً من نفسه. وهو بناء بدين في الخامسة والاربعين من عمره سبق له ان عمل في مداخن كهذه.

استخدمت شركة "غونيت" للبناء هذين الرجلين مع فريق مساعد لطلي طبقة مانعة للتسرب فوق البطانة الداخلية لـ"كولومبيا٢"، وهو الاسم الذي أطلقه على هذه المدخنة الجبارة مصنع وسكونسن للطاقة والنور في بورتاج.

ولج ابلنغ المدخنة عند قاعدتها التي يبلغ قطرها ١٥ متراً. وحدق الى أعلى في جوف ذلك الانبوب الاسود الرطب الذي يوازي ارتفاعه ستين طبقة وينتهي بكوة تظهر منها رقعة ضيقة من السماء، واطمأن حين رأى السقالة المتينة التي سيعمل فوقها مع زميله سيلفر. كان الهيكل مصنوعاً من أربع عوارض من الالمنيوم فوقها ألواح من خشب السنديان سماكة كل منها خمسة سنتيمترات وعرضه ثلاثون سنتيمتراً وتشكل منصة للعمل. وكانت تربط المنصة بالسقالة اربعة حبال من الاسلاك الفولاذية تمتد الى قمة المدخنة، ولكل حبل محرك كهربائي صغير يمده بالقوة للصعود والهبوط.

Based on an article that appeared in the October '80 Guideposts Magazine

صعد الرجلان الى المنصة وأدارا المحركات، فارتفعت المنصة بهما الى القمة حيث تضيق فوهة المدخنة الى ستة امتار ونصف متر. من فوهة المدخنة برزت خمسة شراة(١).

عند الساعة السادسة مساء اتم الرجلان طلي خمسة وسبعين متراً من القمة نزولا بالمادة المانعة للتسرب. وبقي امامهما ثلث ساعة من العمل قبل الانصراف. وأدار ابلنغ محركاً لينزل جانب المنصة الذي كان يقف عليه الى وضع مستو، غير أن المحرك واصل دورانه ولم يتوقف. وهلع ابلنغ واخذ يحرك مفتاح القوة من دون جدوى، ومالت المنصة الى أسفل بزاوية ثلاثين درجة. وتدحرج دلو الطلاء وهوى تحتهما بمئة متر محدثاً دوياً. وتابعت المنصة هبوطها المائل وأخذت الالواح الخشبية تنزلق عنها.

موطىء قدم ـ جاهد ابلنغ كي يتعلق بالجانب الاعلى للمنصة، ثم اطلق الانذار عبر الهاتف الداخلي. عندئذ أخذ سيلفر يصرخ بأعلى صوته: "اقطعوا التيار، اقطعوا التيار".

وكان مارك، ابن بوب سيلفر البالغ من العمر ٢٥ سنة، يعمل في قاع المدخنة حيث يدير مضخة الطلاء، فسمع صياح ابلنغ ثم صراخ ابيه وهو يقول "صداع!" وهو اصطلاح يستعمله عمال البناء ليحذروا رفاقهم من اشياء ساقطة. وقفز مارك وزميل له الى باب جانبي في اللحظة التي اصطدم دلو الطلاء بالارض. ثم اسرع الى الداخل حيث سمع الرجلين يصيحان "اقطعوا التيار الكهربائي!".

---

(١) الشاري قضيب معدني يقي البناء من الصواعق.

وكان حبل الاسلاك مثبتاً على السقالة على ارتفاع تسعة امتار. فتسلق مارك السقالة وأمسك بالحبل وقفز فأقتلع القابس(٢) بقوة سقوطه. ثم نهض وخرج طالباً النجدة.

توالى سقوط الالواح الخشبية عن المنصة. فأمسك ابلنغ وسيلفر بالحبال الفولاذية، وكانت مكسوة بالزيت فلم توفر لهما المقبض الامين. فلف الرجلان سيقانهما حولها باذلين أقصى الجهد، فتمكنا من التعلق بثبات.

اخيراً قطع التيار الكهربائي عن المحرك. لكن المنصة ظلت مدلاة تترجح بعنف وتصر لثقلها .وطوال ساعتين ظل الرجلان معلقين على ارتفاع ٣٥ طبقة فوق هوة من الفراغ المخيف.وبين حين وآخر كان احد الزملاء على الارض يصيح مشجعاً: "لا تقلقا، سننقذكما".

مرت ثلاث ساعات. وكان اول الواصلين للانقاذ فريق الاطفاء. وقف الاطفائي المتطوع جون كوز في دلو كبير يستخدم لاعمال البناء، وحاول ربان طائرة مروحية ان يدليه من فوهة المدخنة. لكن الريح كانت تتلاعب بالدلو فتديره في كل اتجاه، حتى غدت العملية أشبه بمحاولة ادخال خيط في ثقب ابرة في الظلام. وقرر آمر فصيلة الاطفاء كلايتون سيمونسون التخلي عن المحاولة نظراً الى خطورتها، واستنجد بالقوة الجوية للحرس الوطني. غير ان أحداً لم يكن يدري ما يجب عمله.

في جوف المدخنة شعر ابلنغ بقبضته تنزلق، فهتف: "ساعدني يا رب! لم أعد قادراً على التمسك".

واخذت الاسلاك الفولاذية تحز في راحتيه وهو ينزلق عاجزاً خائر العزم. واصطدمت قدمه بنتؤ على الحبل، انه المحرك. وهذا وفر له موطىء قدم، فصاح بزميله الممسك بالحبل الآخر: "انزلق حتى المحرك. انه سيسعفك قليلا".

في ذلك الوقت كان كل ما يسمعانه لا يتعدى بعض كلمات خافتة بين حين وآخر تقول: "اصمدا، سننقذكما".

وبات واضحاً ان شخصاً ما يجب أن يقف على قمة المدخنة لتقديم العون، فتطوع لذلك جو ايشي (٢٩ سنة). وعند الساعة التاسعة والنصف تعلق جو بحبل طوله سبعة امتار مدلى من طائرة مروحية رفعته عن الارض الى فوهة المدخنة. وكان يحمل جهازاً لاسلكياً للاتصال بفريق الانقاذ وبالرجلين المعلقين داخل المدخنة. وخاطبهما جو: "كيف حالكما؟" فجاءه جواب مقتضب: "البرد شديد". فطلب جو معطفين وحبلا طوله ١٨٠ متراً وبعض أحزمة الامان.

انتصف الليل، وجف حلقا الرجلين بعد انقضاء ١٢ ساعة من دون ان يتذوقا اي طعام او شراب. وتردد قصف الرعد في ذلك النفق العمودي، ثم انهمر المطر ليجرح جسديهما برقائق الجليد الحادة كالابر.

وقرقع الهاتف الداخلي مرة أخرى: "لقد حصلنا على طائرة مروحية من الحرس الوطني وستصل بعد لحظات".

محاولة يائسة – نسمع ابلنغ وسيلفر

(٢) القابس هو اداة الوصل الكهربائي.

هدير الطائرة المروحية فوقهما، واومضت أنوار لم تلبث ان اختفت. انه الضباب الداهم. ولم يتمكن الربان من الاستقرار فوق فوهة المدخنة بسبب شدة الريح وكثافة الضباب. كذلك فان الشراة كانت عوائق خطرة بالنسبة الى الطائرة.

ثم جاء الصوت عبر الهاتف يقول ان طائرة مروحية ضخمة من طراز "تشينوك" هي في طريقها الى المكان. في تلك الاثناء كان اربعة رجال آخرون رفعوا الى فوهة المدخنة. وللحال دليت شبكتان من النايلون ومعطفان داخل المدخنة مسافة ٧٥ متراً تحت الفوهة، وقيل للرجلين ان ينتقلا الى الشبكتين ولا يقلقا اذا سقطت المنصة لان الاربطة ستحملهما.

ودقت الساعة الاولى بعد منتصف الليل والريح مازالت تعصف وتضرب ثيابهما المبللة. وأخذ ابلنغ يصلي.

ووصل الضابط في خفر السواحل، الملازم ريك هوشيلد، من القاعدة الجوية في غلينفيو (ولاية ايلينوي) وكان معه في الطائرة المروحية الكبيرة النفاثة الملازم البحري جيف كيلور وديف لارسن من خفر السواحل.

في الرابعة صباحاً سمع ابلنغ وسيلفر هدير الطائرة المروحية، لكنهما لم يريا شيئاً. وجاءهما صوت خافت عبر الهاتف يوضح ان ربان الطائرة يكافح الضباب والريح والظلام والعوائق غير المنظورة ويحاول ان ينزل قفصاً في الفوهة الضيقة. واضاف الصوت: "الانقاذ مستحيل الآن. يجب ان ننتظر هدوء الريح وانقشاع الضباب ربما مع بزوغ الفجر".

ومر وقت طويل والسكون يخيم داخل المدخنة. الريح فقط كانت تزمجر في جوف ذلك الانبوب الفولاذي الرهيب. وفجأة سمع الرجلان ثانية هدير الطائرة المروحية.

وفي محاولة يائسة تمكن ملاحو الطائرة من انزال القفص الذي ظلت تتقاذفه الريح، الى الرجال الواقفين عند فوهة المدخنة. وقبض هؤلاء على القفص وفصلوه عن الحبل المتدلي من الطائرة وعلقوه بسلك فولاذي طوله ٧٥ متراً. بعد ذلك انزلوه في جوف المدخنة على ان يوصل السلك في ما بعد بحبل الطائرة.

فجأة ترددت قرقعة معدنية في المدخنة. فرفع الرجلان رأسيهما ليريا سلة بدت كنقطة صغيرة في البعد وهي تهبط نحوهما وسط الضوء الخافت. ولما امسكها ابلنغ أدرك للحال انها لا يمكن ان تحمل سوى رجل واحد. وكانت مساحة القفص المعدني ٦٠ سنتيمتراً مربعاً وارتفاعه متراً ونصف متر.

وقال سيلفر بلهجة الآمر: "ادخل، وسينقذونني بعدك". ودخل أبلنغ القفص وهو يرتجف ثم صاح: "جاهز!"

ارتفع القفص كمصعد مترجح. فشهق ابلنغ مبتهلا: "شكرا لك يا رب!" وكان يسمع هدير الطائرة وهي تكافح الرياح. وفجأة اهتزت السلة واخذت تهبط. وما ان دنت من المنصة حتى أغمض ابلنغ عينيه متوقعاً ان تؤدي الصدمة الى سقوط المنصة الى القاع.

لكن السلة اهتزت ثانية وعادت ترتفع. ١٢ متراً، ١٨ متراً، ٢٤،

متـرا... ثم توقـفـت مـرة أخـرى وسقطت.

"احبك يا مارك" - كان هوشيلد يدرك أن رفع القفص عمودياً أمر حيوي، لان اي انحراف في أي اتجاه قد يؤدي الى قطع الحبل باحتكاكه علـى حـافة الـمـدخـنـة. وعـادت الطائرة ترتفع ببطء. ٣ أمتار، ٦ أمتـار، ٩أمتار. وفجأة اكتنفـتـهـا الغيوم الكثيفة ولم يعد هوشيلد يرى شيئاً. وانتابه القلق والارتباك وأخذت يداه ترتجفان على مقود الطائرة. وبدأ الطيـار الـمعاون ديـف لارسـن يرشده الى الاتجاهات صائحاً: الى اليمين، الى اليسار!" وبقي امامهما ٦٥ متراً قبل بلوغ الفوهة.

واخذ هوشيلد يبتهل ايضاً: "رباه، يا الهي، أعني لانجح في مهمتي". وشعر بأن قوة خفية حلت فيه وخففت مـن روعه، فـتـراخـت يـداه علـى المقود. وواصل لارسن توجيهاته بنغمة تنم عن الارتياح: "الى اليمين، رائع! ابـقَ هكذا". واخيـراً صـاح: "لـقـد خرج!".

وبرز ابلنغ من فوهة المدخنة، فانهمرت الدموع من عينيه وحطت السلة على الارض بعدما تقاذفتها الريح في دائرة واسعة قطرها ٦٠ متراً وكأنها ارجوحة العيد. وسارع احد الرجال ليعينه في الانتقال الى سيارة الاسعاف الـتـي انطلـقـت بـه الـى المستشفى. وأخذ ابلنغ يصلي من اجل سيلفر. وكان الرجلان أمضيا ١٩ ساعة عالقين داخل المدخنة بلا طعام او شراب.

حلق هوشيلد ثانية ناقلا القفص المعدني. لكن غيوماً كثيفة كانت قد هبطت حتى منتصف المدخنة وأوجبت تأخير محاولة الانقاذ.

وتساءل سيلفر وهو معلق وحيداً في جوف المدخنة التي تعصف بها الريح: "حتى متى يا الهي؟"

وجاءه صوت حبيـب عبـر مكبـر الصوت. انه ابنه مارك يبلغه تأجيل عملية الانقاذ الى ان ينقشع الضباب. وهلع سيلفر وشعر ان الحبل الذي يربط السقالة سينقطع بلا ريب. وتنهد قائلا: "انها نهايتي يا بني. كم أود أن ارتاح من هذا العناء فوراً!"

اغرورقت عينا مارك بالدمع وادرك ان عليه رفع معنويات ابيه، فصاح وصدى صوته يتردد فيجوف المدخنة: "يا أبي، لن يدعك الله تموت!"

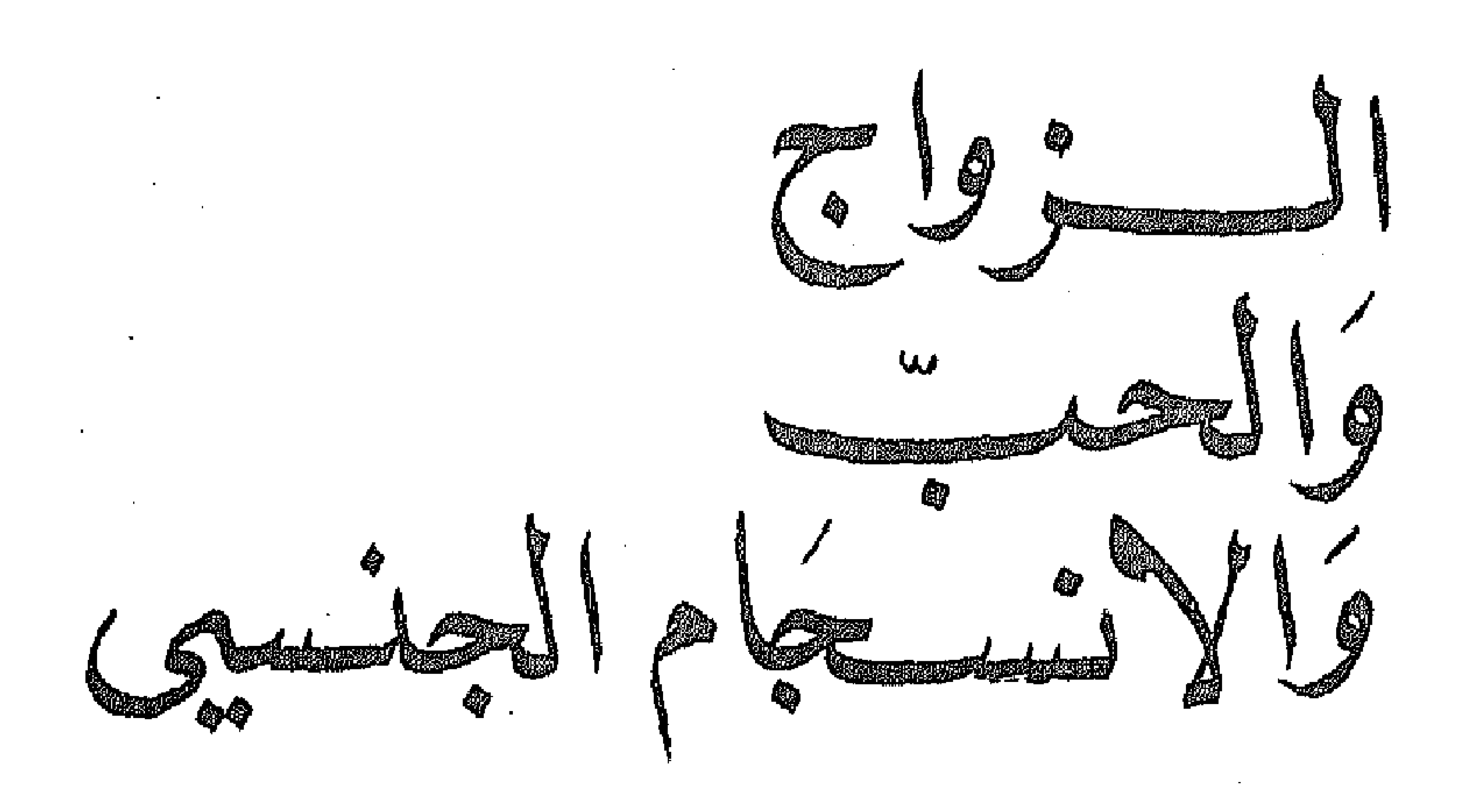
بعد انقضاء ساعات رفع سيلفر نظره فرأى ضوءاً خافتاً. انه بزوغ الفجر. غير ان ضباباً كثيفاً ظل يخيم على المكان. وبقي ممسكاً بالسقالة والدموع السخينة تتدحرج على وجنتيه الباردتين.

وفي قاع المدخنة كان مارك ينتظر بقلـق. وسـمـع صـوت أبـيـه تخنـقـه العبرات: "مارك، أحبك يا مارك!".

لم ينقشع الضباب قبل الحادية عشرةوالنصف صباحاً. وصاح مارك ان الطائرة المروحـية آتـيـة. ثـم دلـى هوشيلد الـقـفـص، وبمنـاورة بـارعة اوصله الى الرجال الواقفين عند فوهة المدخنة، فانزله هؤلاء الى سيلفر وأهابوا به الى ان يدخله وينتظر.

فجأة شعر سيلفر بالقفص يهتز ويرتـفـع، فصـاح: "انـي أتحـرك!" ووقف مارك في القاع يراقبه وهو يرتفع حتى غاب عن نظره خارج فوهة المدخنة.

■ ريتشارد شنايدر



مشاكل كثيرة قد تعتري العلاقة الجنسية بين الزوجين. وفي ما يأتي أسئلة يجيب عنها عالمان شهيران اجريا خلال ١٧ سنة ابحاثاً مهمة في هذا الميدان

هناك نساء لم يختبرن قمة التهيج الجنسي الا في حالات نادرة، ومع ذلك تراهن يؤكدن انهن راضيات عن علاقتهن الجنسية برجالهن وان زواجهن ناجح. فهل ذلك معقول؟

نعم بالتأكيد. لكن هذا يتوقف على تكامل في الظروف يحصل مصادفة. فالحافز الجنسي يختلف بين شخص وآخر لاسباب غير واضحة تماماً. فان امرأة تتمتع بحافز جنسي معتدل لم تزده خبراتها الحياتية حدة، تكتفي بعلاقة جنسية تعبر عن دفء وحنان. فاذا حظيت برجل يتمتع بشخصية ومواقف وحافز جنسي تكمل شخصيتها ومواقفها وحافزها هي، فسوف يكون زواجها سعيداً.

ولكن قلما يبدأ رجل وامرأة حياتهما الزوجية بتكامل مثل هذا. والمهم ان يتوصل كلاهما الى احترام فروقات الآخر والتكيف مع نوعية حافزة الجنسي.

لنفترض ان فتاة ذات دافع جنسي معتدل تزوجت رجلا تتوقف متعته الجنسية، الى حد ما، على متعة شريكته. لا شك في ان متعة الرجل الجنسية ستلطف في البداية نسبة الى استجابة زوجته المعتدلة. واذا ابتغى الاثنان انسجاماً في علاقتهما، فلا بد من ان يسعى كل منهما الى تقبل طبيعة الآخر. فالرجل يشعر امرأته بانه يتقبلها كما هي، وان اي أسف يبديه لعدم حصوله على

متعة جنسية اكبر هو مجرد اسف وليس عدم رضا. والمرأة ايضاً تشعر رجلها بان استجابتها الخافتة لا تمس رجولته وليست تعبيراً عن رفض شخصي، بل انها تنبع من طبيعة حاجتها. وهكذا، فعوضاً عن ان يتصرف الاثنان كشخصين مستقلين يتمتعان بمقاييس جنسية مختلفة، يصبحان شريكين يحترمان طبيعة العلاقة الجنسية في حياتهما الزوجية.

اذا لم تكن العلاقة الجنسية مرضية، فهل للمرأة ان تبادر الى استشارة الطبيب؟

اذا ما اعترت الحياة الزوجية مشكلة جنسية، يفترض عادة ان المرأة هي التي تحتاج الى مساعدة. وهذا امر شائع، حتى ان النساء انفسهن في اغلبيتهن الساحقة يقبلن به من دون جدل. وكثيراً ما قصد عيادتنا رجال ونساؤهم يطلبون العلاج لان المرأة تعجز عن بلوغ هزة الجماع، من غير ان يدركوا ان المشكلة الاساسيةهي عجز جنسي عند الرجل.

هذا الموقف التقليدي يؤيد تفوق الرجل على المرأة وكأن عدم الانسجام الجنسي ضرب من سوء الحظ. اذا كان الرجل عاجزاً تساءلت المرأة بارتباك: "ماذا دهاني؟" واذا لم تبلغ هزة الجماع تساءل هو: "ماذا دهاها؟" ثم ارسلها الى طبيب نسائي او نفساني آملا ان يجد حلا لمشكلتها.

هذا مؤسف لسببين. فمن جهة، ان تصرفاً مثل هذا لن يجدي اطلاقاً. فلا تستطيع المرأة ان تطلب علاجاً لعارض مرضي في العلاقة الزوجية نفسها، واذا فعلت كانت كمن تتابع دروساً منفردة في الرقص لتتعلم مراقصة زوجها وهو لا يستطيع ان يتبع ايقاعاً ولا يحب الرقص.

ومن جهة اخرى، اذا تابعت المرأة العلاج بمفردها فسوف تتفاقم المشكلة. فاذا اتمت العلاج ودفع زوجها اجرة الطبيب من غير ان يطرأ أي تحسن على العلاقة الزوجية، فسيتملكها شعور بالخيبة وتفقد ثقتها بنفسها. بل ان ذلك سيشكل حاجزاً لا يذلل في سعي الزوجين الى تحقيق انسجام جنسي بينهما.

والحق ان الامر اشد خطورة من ذلك. فعندما تطلب الزوجة وحدها المساعدة، فانها بذلك تذعن للرأي السائد بان دور المرأة هو ان تكون مصدر متعة لرجلها، وان عليها ان تتكيف وتكبح شهواتها وحافزها الطبيعي في سبيل ارضائه.

هذا من شأنه ان يحول المرأة دمية. لكن الرجل الحساس الصحيح الجسم لا يبتغي دمية، بل هو يحتاج الى امرأة صحيحة اكتشفت ابعاد طاقتها الجنسية ووجدت فيها متعة.

الانسجام الجنسي في الزواج لا يأتي هدية عرس على طبق. على الرجل والمرأة ان يسعيا اليه معاً، فبالجهد المشترك يتحقق مطلبهما.

من يستشير الزوجان اذا ما فقد الانسجام الجنسي بينهما؟

الخطوة الاولى هي ان يتصل الزوجان بمن يرشدهما الى اختصاصي يساعدهما في تخطي مشكلتهما. في بعض المدن هناك مكاتب للاستشارات الطبية او لوائح بالاختصاصات الطبية المتوافرة في المنطقة.

وعند طلب المشورة، فلا حاجة بنا الى الخجل او التفتيش عن الكلمات.

الامر يسهل اذا ماجبهناه ببساطة وكأنه مشكلة موضوعية. نقول مثلا: "اننا نشكو من عدم انسجام جنسي، ونود ان نستشير طبيباً. هل من اختصاصي في هذه المنطقة لمعالجة امر مثل هذا؟" اذ ذاك يرشدنا المسؤولون في مكتب الاستشارات الطبية الى شخص معروف بخبرته او اهتمامه في هذا الميدان. وهو قد يكون طبيباً نفسانياً او نسائياً او عاماً او اختصاصياً بالمجاري البولية، ونادراً ما يكون مختصاً بالاختلال الجنسي لان ذلك ميدان مستحدث في عالم الطب.

واذا لم يتوافر مكتب استشارات طبية، فقد يكون هناك مرشدون اجتماعيون ذوو خبرة ميدانية في علاج المشكلات الزوجية تفوق خبرة الاطباء، وهم على علاقة مهنية باختصاصيين نفسانيين او اجتماعيين.

على كل حال فلا بد من امرين: الاول هو امتناع الزوجين عن بحث مشكلتهما مع الاصدقاء او الجيران. والثاني هو الا يكفا عن البحث عمن يساعدهما. فمهما بلغت صعوبة الاتصال بالشخص المناسب، عليهما ان يتذكرا ان ارشاد اختصاصي لا يضمن التوصل الى حل مناسب، لكن الخيار الآخر امامهما هو حياة زوجية ملأى بالالم والغضب واليأس.

في سعي الاهل الى تربية اطفالهم على نحو يساعدهم في النمو اشخاصاً راشدين أصحاء وذوي تصرف جنسي سوي، ما هي المبادىء التي ينبغي الالتزام بها؟

ان الجو الافضل الذي يبعث على نمو جنسي سليم عند الاطفال هو عائلة يرتاح فيها الزوجان الى علاقتهما الجنسية. فالأم ترضى بانها امرأة والاب اكثر رضاً بذلك. والاثنان ايضاً راضيان برجولة الاب. وباختصار، فالاب والام سعيدان كل بالآخر. وهما يعبران عن ذلك بالكلام وبالتصرف، فينقلان الى اولادهما تأكيداً بأن الرجل والمرأة مصدر متعة جسدية وارتياح كلا للآخر. ويكبر الاطفال وهم يعرفون ان الجنس امر حسن وان الحياة ملأى بالفرح.

ولكن ماذا عن الاهل الذين لا يتمتعون بانسجام جنسي مثل هذا؟ المبدأ الاول هو ان عليهما ان يتجنبا اقل ايحاء بان الجنس امر شنيع او قذر او رخيص او عيب، سواء أكان ذلك بالكلام او بالتصرف.

وهذا ليس سهلا. فما هو موقف الام، مثلا، عندما يعود اولادها الى البيت وهم يتحدثون عن "لعبة الطبيب" التي مارساها مع بعض الاصدقاء؟ قد تجول في خاطر الام ذكريات شخصية عن وضع مماثل دفعها فيه اهلها الى الشعور بالخجل لاسباب لم تفهمها في حينه. ومهما خلفت خبرات مثل هذه ذكريات مؤثرة لديها، فعليها الا توحي بها الى اطفالها وكأنها تراث من الذنوب، حتى وان اقتصرت ملاحظتها على تحذير او تأنيب كأن تقول: "لا اريدك ان تلعب مع جهاد ثانية". فالطفل سيفهم وهكذا فان خبرة بريئة لم تكن سوى محاولة طبيعية لاكتشاف معنى الحياة الانسانية، تلطخ وتقمع. وهكذا يدفع الجنس الى السرية.

ولكن ماذا علي الام ان تقول اذاً؟ للاسف، ليس هناك جواب واحد صحيح. فهناك ام تبتسم وتقول بلا

مبالاة: "هذا حسن يا حبيبي"، ثم تعطي ولدها كوباً من الحليب وقطعة حلوى، واخرى تستغل الفرصة لتتحدث الى ولدها عن الفروق بين الصبية والفتيات، وثالثة تتبع مسلكاً آخر، كل منهن تتصرف بحكمة بحسب حاجة ولدها، المهم في الامر هو موقف الام، فالطفل لن يواصل استشارة امه او ابيه حول خبرات او افكار لا يدرك كمال معناها، اذا هو لم يشعر منذ البداية بارتياح اذ يحدثهم عن امور الجنس، فالطفل، قبل اي امر آخر، يحتاج الى الاطمئنان الى انه يستطيع ان يستشير امه او اباه في شأن كل ما يراه أو يسمعه او يفعله خارج البيت ليساعداه في فهم ما يفوته.

■ **الدكتور وليم ماسترز وفرجينيا جونسون**

مؤلفا "الاستجابة الجنسية عند الانسان" و"التقصير الجنسي عند الانسان".

فيكتور هيغو لا يزال منفياً!

سأل سائح فرنسي في جزيرة جيرسي البريطانية سائق حافلة: "هل لك ان تدلني على منزل فيكتور هيغو؟" فقال انه لم يسمع بهذا الاسم، عندئذ استقل سيارة اجرة وطرح السؤال نفسه على سائقها الذي لم يكن أكثر علماً من زميله، وقد اراد الفرنسي أن يقدم شعائر الاحترام الى واحد من عظام قومه، اذ كان هيغو منفياً في جزر القناة الانكليزية (المانش) بين ١٨٥٢ و١٨٧٠.

بعد ذلك ذهب الرجل الى مكتب السياحة المحلي، وحين سأل عن هيغو قيل له: "كان كاتباً فرنسياً، أليس كذلك؟ أجل، لقد عاش هنا، لكنه غادر منذ زمن بعيد".

ومشى السائح حتى بلغ الشاطىء حيث صادف فتى قال له: "اسأل النادلةالفرنسية في ذلك المقهى، فهي تعرف الجميع".

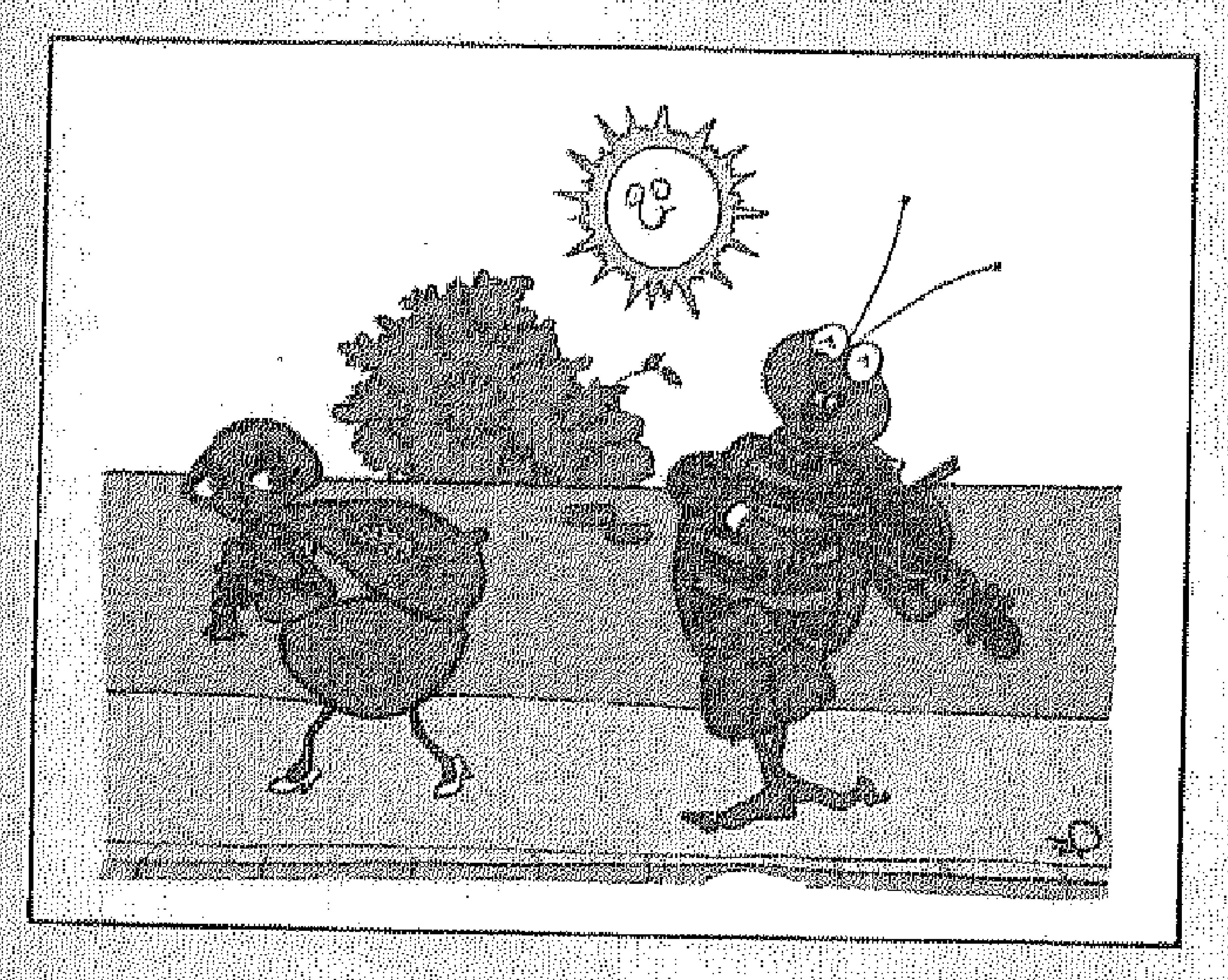
وكانت النادلة فتاة في العشرين من مقاطعة بريتاني الفرنسية، ولما طرح عليها سؤاله، رثت لحاله قائلة: "آه يا سيدي! اني قضيت اسبوعاً أبحث عن ذلك المنزل من دون جدوى، وهناك العديد من السياح يأتون الي ليسألوني عن منزل فيكتور هيغو، فأدلهم على "فندق هيغو". واذا زرته، وجدت انه مكان لا يليق بشاعر".

وبعد ١٥ دقيقة تحقق السائح من كلام النادلة، وقال له مدير الفندق: "نعم، هذا هو المكان الذي تبغيه، لقد عاش هيغو هنا ثلاث سنوات في الغرفة ٢١ كما تقول النشرة السياحية، ويمكنك ان تقف خارج الغرفة من غير ان تدخل، لان فيها نزيلا، واذا شئت مزيداً من المعلومات، فاقرأ هذه النبذة".

وأخذ السائح يقرأ: "كان فيكتور هيغو روائياً وشاعراً ومسرحياً أصاب نجاحاً كبيراً، وعلى رغم أنه عمل في السياسة وانتخب نائباً في المجلس الاشتراعي الا انه كان سياسياً فاشلا".

وامتعض السائح مما قرأ، لكن النشرة أوضحت الدافع الى العقاب الذي فرضته جيرسي على هيغو، فهو لم يحاول تعلّم الانكليزية عندما مكث في تلك الجزيرة وفي جزيرة غيرنسي، وكان يقول بكبرياء: "اذا شاءت انكلترا ان تتحدث الي، ففي امكانها تعلّم لغتي".

صحيفة "الموند"، باريس





حديقة أفكار

■ هناك طريقة لتحويل الملكية تفوق جميع الطرق التي تعتمدها المصارف، ألا وهي الزواج.

ج. هـ.

■ اعطني منافع معتقداتك اذا كانت لديك معتقدات. واترك شكوكك لك، لان عندي من شكوكي ما يكفي.

غوته

■ رجائي في الحياة شخص يجعلني احقق ما يمكنني تحقيقه.

رالف والدو امرسون

■ كل نظام سياسي لا يخطط للمدى البعيد يحرق نفسه في المدى القريب.

ش. ي.

■ اذا كان لي أن احدد الاغنية الشعبية، قلت إنها فرع خاص ينمو على جذع عام.

ر. ف. و.

■ ان عبارة "مستوى بطالة مقبول" تعني ان خبير الاقتصاد الرسمي الذي أطلقها لا يزال لديه عمل.

ل. ا. ت.

■ اذا كانت الحاجة أم الاختراع، فعدم الاكتفاء هو أبو النجاح.

ديفيد روكفلر

صناعة السيّارات:

الأمريكيّة تحاول تقليد اليابانية

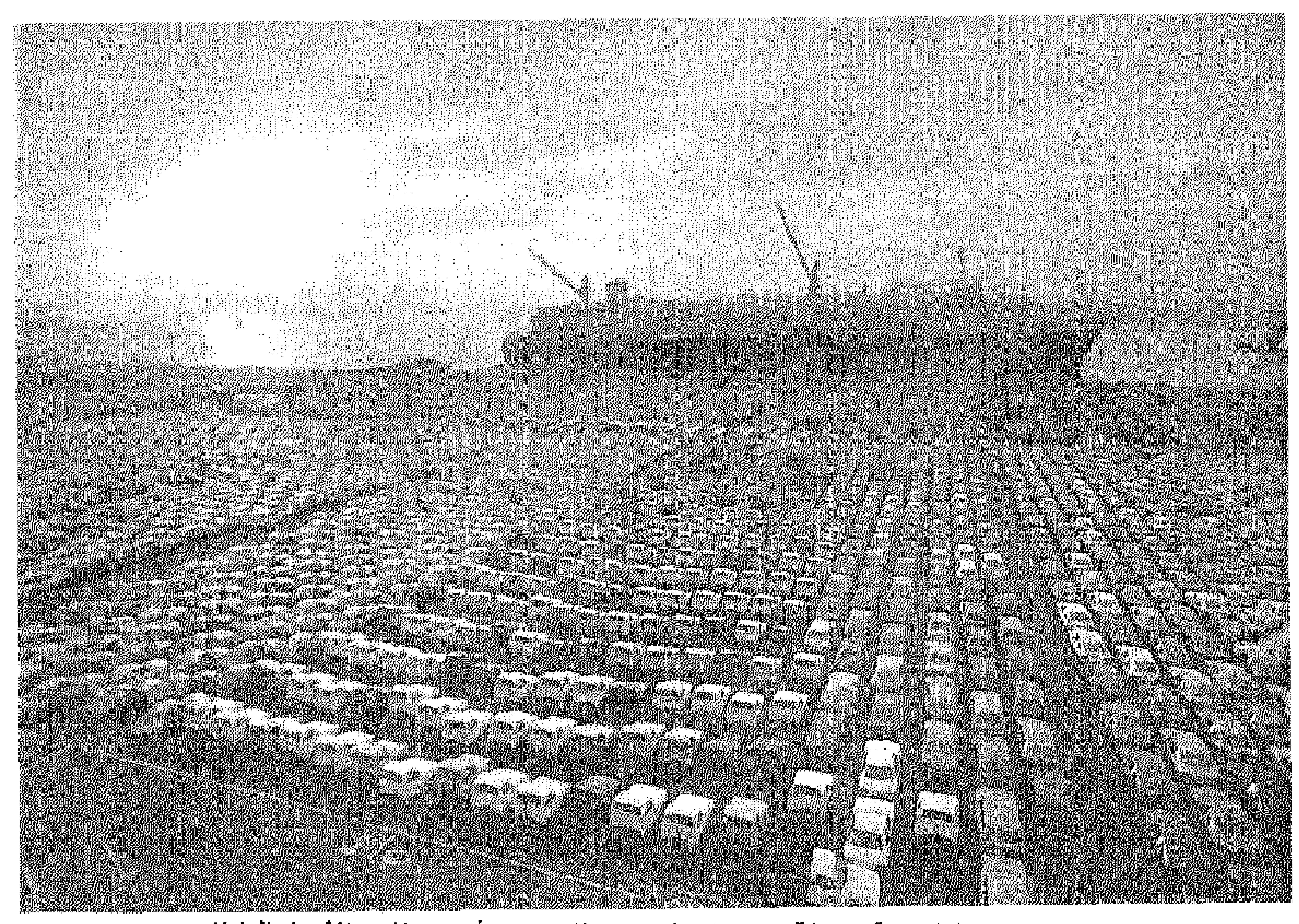
المهارة الصناعية جاءت في معظمها من الغرب، لكن التفاني في العمل نابع من تقاليد عريقة تعود قروناً في الزمان

يقر اليابانيون اليوم بان السيارات التي صدروها الى الولايات المتحدة قبل اكثر من عشرين سنة كانت، بالتعبير الياباني، "بونكوتسو" أي هشة "تنهار بلكمة". وحدث مرة في العام ١٩٥٩ ان مدير احدى شركات السيارات اليابانية عزم على السفر من نيويورك الى لاس فيغاس (ولاية نيفادا) في سيارة من انتاج شركته، فأرغمته الاعطال المتتالية على استبدالها بسيارة امريكية.

ولكن تلك أيام انقضت. وفي تحول مذهل باتت اليابان عام ١٩٨٠ أكبر منتج للسيارات في العالم، اذ صنعت نحو ١١ مليون سيارة بين سياحية وشاحنة وحافلة. ونتيجة لتحول الامريكيين الى السيارات الاجنبية الصغيرة، فلم تنتج المصانع الامريكية عام ١٩٨٠ سوى ٨ ملايين سيارة أي دون ما انتجته عام ١٩٧٩ بنحو ٣٠ في المئة. وبلغ عدد السيارات اليابانية التي بيعت في امريكا في العام نفسه ١،٩١٠،٠٠٠ سيارة اي اكثر من ٢٠ في المئة من مجمل السيارات الجديدة المبيعة في امريكا. وبحسب ما اعلنه المسؤولون، خلف هذا الوضع ٣٠٠،٠٠٠ امريكي من عمال صناعة السيارات عاطلين عن العمل.

لماذا تلاقي السيارات اليابانية هذا الرواج؟

لا يمكن الزعم انها سيارات كاملة. وتصر مجلة "فورتشن" على ان "السيارات الامريكية متفوقة في مجالات الرفاهية والهدوء ومقاومة التآكل وقدرة احتمال المحرك وجهاز تحويل السرعة". كما ان هذه



سيارات "تويوتا" جاهزة للشحن والتصدير في ميناء ناغويا الياباني.

السيارات قد تكون اكثر أماناً. فقبل سنتين أخفقت جميع السيارات اليابانية التي اشتركت في اختبارات الاصطدام التي اجرتها الادارة الوطنية لسلامة السير على الطرق العامة. كما ان النسبة العليا من الدعاوى التي تتلقاها شركات التأمين في الولايات المتحدة بسبب اصابات جسدية ناجمة عن حوادث السير، تأتي من أصحاب السيارات اليابانية الصغيرة.

لكن ارتفاع اسعار المحروقات جعل السيارات اليابانية تبدو كأنها الوسيلة المثلى لخفض التكاليف. ولما كانت اليابان لا تملك اية مصادر محلية للنفط، فأن سعر البنزين هناك يبلغ ضعف سعره في الولايات المتحدة. لذلك فان السيارة الضنينة بالوقود هي السيارة المحتمة منذ أمد بعيد بالنسبة الى الياباني.

الاخلاص للجماعة ـ ان الاقتصاد في الوقود ليس الحسنة الوحيدة التي تجتذب المشترين الى السيارات اليابانية. يقول مستشار اداري امريكي مقيم في طوكيو: "سواء أكان لذلك ما يبرره أم لا فان الشعور الغالب بين الامريكيين هو ان جودة سيارة بالنسبة الى ثمنها، كذلك تكاليف الصيانة، تجعل السيارات اليابانية الاختيار الأفضل".

والعجيب ان مهندسي السيارات الامريكية يوافقون على هذا الرأي. وفي استطلاع حديث اجرته مجلة "واردز أوتو وورلد" الشهيرة اعتبر ٤٧،٢ في المئة من المصممين والعمال في خمس شركات امريكية للسيارات

Photo: J.P. Laffont Sygma

ان النوعية الفضلى تأتي من اليابان. فقط ٢٧،٢ في المئة اشادوا بالسيارات التي يصنعونها.

وعلقت المجلة على ذلك: "التفوق الياباني ينشأ من الحذق الصناعي المتميز والاهتمام بالتفاصيل والعلاقات الطيبة بين العمال والادارة".

اذا اردت ان تدرك الاساس الذي تقوم عليه صناعة السيارات اليابانية، فعليك ان تفهم نظام "تاوي" المتأصل في البلاد منذ قرون والمتبع في زراعة الرز. ان تهيئة حقول الرز المغمورة بالماء والعناية بها كانتا دائماً تتطلبان تعاوناً وثيقاً. كذلك موسم الحصاد القصير الامد علم الناس الاجتهاد في مهمات يوكلها اليهم رؤساء الجماعات. وهناك مثل ياباني قديم يوجز الطبيعة الصارمة للزراعة والحصاد في عهد الاقطاع الياباني: "ان تأخير عمل يوم واحد يعني شهراً كاملا من النحس".

صناعة السيارات اليابانية الحديثة تنحدر مباشرة من هذا الاسلوب الزراعي الصارم. كذلك هناك تقليد متأصل، ان يكون المرء جزءاً من الـ"دانتاي" اي الجماعة. بالنسبة الى عمال صناعة السيارات الامريكية، الاخلاص للجماعة يفسر عادة بالولاء للنقابة. اما في اليابان، فعندما أمر القائد الاعلى لجيش الاحتلال دوغلاس ماك آرثر بانشاء نقابات عمالية، ألف اليابانيون نقاباتهم ضمن الورشات او المصانع حيث يعملون. وفي معظم الحالات استهدفت هذه النقابات اقامة اتصال اوثق وتفاهم اعمق بين المديرين وقادة النقابات.

ان قيمة السيارات اليابانية ترتكز، جزئياً على الاقل، على هذا الوضع. فعندما يتدنى البيع في الولايات المتحدة تصرف شركات السيارات الامريكية بعضاً من عمالها. غير ان صانعي السيارات اليابانية غالباً ما يلجأون الى مشاريع تنويعية لا علاقة لها بصناعة السيارات، وذلك من اجل ابقاء عمالهم منتجين في فترات الركود. فشركة "نيسان" مثلا تنزل الى الاسواق آلات لنسج الاقمشة، وأحد فروع شركة "هوندا" يصنع قوارير حفظ الحرارة (الترموس) ومعدات رياضية، وشركة "تويوتا" تبيع اجزاء البيوت الجاهزة.

تجنيد اجباري — ان الأخذ بهذه الاعتبارات يعود على الشركات بنفع عميم في مجال اخلاص العمال. فشركة "تويو كوغيو" منتجة سيارات "مازدا" اصبحت الآن ثالث اكبر منتج للسيارات في اليابان بعدما كانت ترزح تحت اعباء ديونها. ونهوضها خير مثال على ما يمكن ان تحققه العلاقات الجيدة بين الادارة والعمال. ففي اوائل السبعينات أصاب طراز جديد يعمل بمحرك "فانكل" الدوار نجاحاً كبيراً شجع الشركة على توظيف ٣٧،٠٠٠ عامل لانتاج مليون سيارة كل عام. لكن حظر النفط الذي فرضه العرب في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ وما أعقبه من ارتفاع اسعار المحروقات انهكت السوق، خصوصا بالنسبة الى المحركات الدوارة النهمة للوقود. وفي العام ١٩٧٥ أعلنت الشركة خسارتها ٧٠ مليون دولار ووقوعها تحت ديون مرهقة بلغت ملياراً ونصف مليار دولار، لكنها تعهدت بأنها لن تعمد

الى صرف اي من عمالها الا كورقة أخيرة. واخذت الادارة تعقد اجتماعات توعية لاطلاع العمال على الوضع. وعمد يوشيكي ياماساكي، مراقب الانتاج في مصنع "مازدا" الرئيسي في هيروشيما، الى تطبيق انظمة انتاج صارمة اوجبت زيادة اعباء العمل على كثير من العمال. ثم ادخلت الشركة نظام تعويم(★) يلزم العمال الذين يراقبون آلة واحدة الاشراف على ثلاث آلات او اربع. وقبل العمال هذا التحدي بكل رضا وبدا ان معنوياتهم ظلت عالية. وقد ساعدت التدابير الجديدة في رفع انتاجية الشركة من نسبة ١٩،٣ سيارة الى كل عامل في السنة عام ١٩٧٥ الى نسبة ٤٤،٤ عام ١٩٨٠.

اما أشد التدابير تطرفاً فكان ارسال اكثر من ٥٠٠٠ موظف انتاج من مهندسين ومصممين وفنيي تجميع، ليدوروا من بيت الى بيت في حملة ترويج لانتاج الشركة. ويقول توبوتاكا نوجيما، وهو مهندس عمره ٣٦ سنة أخضع لبرنامج تدريب على البيع مدته اسبوع ونقل الى شقة تبعد ١٤٥ كيلومتراً عن منزل عائلته في هيروشيما: "كان هذا التدبير بمثابة تجنيد اجباري لتنفيذ عمليات خاصة".

في اليوم الاول من تجواله قرع نوجيما اكثر من مئة باب من دون ان يجد راغباً واحداً في شراء سيارة "مازدا". وهو يقول: "أفعم قلبي حينئذ شعور حقيقي بالأسى". غير انه لم يفكر قط بالاستقالة وبعد سنة في البيع عاد الى هيروشيما فخوراً بأنه وجد ٤٢ مشترياً، وهذا معدل يفوق ما يحققه بائع محترف. وكان رأسمليئاً" بالافكار عن تلبية رغبات الزبائن". اما اليوم، ونتيجة لجهوده وجهود زملائه تتجاوز انجازات شركة "تويو كوغيو" الارقام التي تحددها للانتاج وتبيع ١،٢٠٠،٠٠٠ سيارة وشاحنة كل سنة.

نقطة التحول — ان معظم الشركات اليابانية تكافىء "الاخلاص للجماعة" بضمانات من المهد الى اللحد. لذلك فان عمال مصانع السيارات في اليابان يرتضون اجوراً أدنى مما يقبل به نظراؤهم الامريكيون. فمع احتساب الاكراميات، يتقاضى العامل الياباني على خط التجميع في معامل "نيسان" مبلغاً يقل عن عشرة دولارات في الساعة، بينما نظيره في شركة "جنرال موتورز" يقبض اكثر من ١٩،٠ دولاراً عن كل ساعة عمل. فيكون مجمل فارق الكلفة لمصلحة الانتاج الياباني بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ دولار في كل سيارة.

ويقدم العمال اليابانيون الى شركاتهم خدمات غير اعتيادية تزيد قيمة السيارة بالنسبة الى ثمنها. والعنصر البارز هنا هو التفاني في العمل. ان أقل من ٢٠ في المئة من الاجراء اليابانيين يفيدون من اجازاتهم السنوية المدفوعة الاجر، واكثر من ١٠ في المئة لا يأخذون اجازات على الاطلاق. والى ذلك فان مستخدمي جميع الشركات اليابانية يعملون ما معدله ٢١١٠ ساعات في مقابل ٢٠٦٠ ساعة للعامل الامريكي بما في ذلك ساعات العمل

(★) العوّام مستخدم ليس له عمل محدد بل يدعى الى حيث تقضي الحاجة.

الاضافية ·ومع احتساب ساعات العمل الاضافية التي يؤديها العامل الياباني في صناعة السيارات، يبلغ مجموع ساعات عمله في السنة ٢٢٣٠ ساعة ·

وماذا عن الاضرابات؟ لقد واجهت شركة "تويوتا" الاضراب الاخير لعمالها في العام ١٩٥٠ وشركة "نيسان" في العام ١٩٥٣ ·ومنذ ذلك الحين لم تخسر اكبر شركتين يابانيتين لصناعة السيارات ساعة عمل واحدة بسبب اضطرابات عمالية ·

التغيب عن العمل؟ في شركتي "تويوتا" و"نيسان" يراوح معدل التغيب اليومي بين ٤ و٧ في المئة، في مقابل ١٧ في المئة على بعض خطوط التجميع في المصانع الامريكية ·

وهناك عنصر آخر هو استخدام الربوط او "الرجل الآلي" على نطاق واسع · ففي مصنع "نيسان" خارج طوكيو ينهمك ٦٢٠٠ عامل في انتاج ٣٧،٠٠٠ سيارة كل شهر · وهذا احد اكبر مصانع السيارات المسيرة آلياً، وفيه صفوف من الآلات المستقبلية تعمل في جوار خطوط التجميع، تضغط الصفائح الفولاذية وتلويها وتلحمها لتعطيها شكل سيارة في أقل من دقيقة· ومن دواعي العجب ان كثيراً من هذه الاجهزة الآلية التي تخفض كلفة انتاج السيارات اليابانية مستوحاة من تصاميم امريكية لم تستثمر على نحو كامل في مصانع السيارات الامريكية ·

ربما كانت فكرة مراقبة النوعية الدين الاعظم للولايات المتحدة على صناعة السيارات اليابانية · وقد ادخل هذه الفكرة الى اليابان عام ١٩٥٠ ادواردز ديمنغ، الخبير بالاحصاء والمستشار الامريكي لدى سلطات الاحتلال في اليابان حينئذ · تلك الفكرة التي تعتمد التحليل الاحصائي كانت نقطة تحول بالنسبة الى الصناعيين اليابانيين في بحثهم عن اسواق خارجية بعدما عاقتهم طويلا الانتاجية المنخفضة والسمعة السيئة عن بضائع رديئة الصنع ·

تتألف السيارة العادية الصغيرة من نحو ٣٠،٠٠٠ قطعة مستقلة، وأي خلل في احداها قد تراوح نتيجته بين الازعاج البسيط والكارثة · وتهدف مراقبة النوعية الى تحقيق الجودة انطلاقا من مرحلة التصميم · العمال السعداء بانتمائهم الى الجماعة يسجلون الاعطال ويتحرون الاسباب ويجرون الاصلاحات ويراقبون التحسينات ومعدلات الانتاج · هذه الجماعات تساهم بفعالية في الانتاجية · وفي العام ١٩٨٠ قدم ٢٧،٠٠٠ عامل في شركة "مازدا" ٩٠٠،٠٠٠ اقتراح لمراقبة النوعية · وفي مصانع "نيسان" وفرت جماعات مراقبة النوعية على الشركة نحو ثلاثين مليون دولار ·

فكيف يتسنى للمصانع الامريكية ان تواجه التحدي الياباني ·

جوزف جوران مهندس امريكي لمراقبة النوعية عمل مستشاراً لشركات سيارات عدة في انحاء العالم، وهو يقول ان ٨٠ في المئة من العيوب في صناعة السيارات الامريكية يمكن ضبطها ادارياً · وهو يدعو الى تطبيق برامج تدريب طويلة الاجل "بدءاً من فوق، على غرار النهج الياباني" ·

■ انطوني بول



شجرة السنديان

كانت غريبة عن عالمهم،
وقابلها الجميع بالعداء... الا واحداً

وصلت الى المبنى الاصفر الكبير، لا بد انه مركز الانماء في تلك الناحية. وخارج المنزل كان صبية كثيرون رمقوني بنظرات ملؤها الفضول.

في بداية القرن كان هذا الحي يتباهى باجمل المساكن في المدينة. اما الان فهو بات حياً تعساً بائساً مقصوراً على سكانه السود، مسالكه مدمرة وأروقته متداعية وبيوته الفسيحة ذات الطراز الفيكتوري اضحت مقسمة شققاً صغيرة كيما يتسع الواحد منها لسكنى ست عائلات. بيد ان مركز الانماء كان البناء الوحيد الذي لم ينل منه البلاء والدمار.

"مرحباً!" قلتها للاولاد وهم يفسحون لي الطريق، واردفت: "هل انتم مستعدون لمشاركتي في بعض الاعمال الفنية؟"

وبادرني صبي في الثامنة او التاسعة: "لا نريد شيئاً من حكاية الفن هذه. نحن ذاهبون الى السباحة".

انا لم اكن اتوقع استقبالا حاراً، لكن نفورهم مني احرجني كثيراً، وشعرت بكوني بيضاء على نحو لم اعرفه من قبل.

واذ جاءتني ماري كلارك، مديرة المركز، اخبرتها اني مبعوثة مكتب التطوع لتعليم الرسم مدة ساعة. ولم تواجهني السيدة بعداء صريح، لكنها لم تظهر لي الود ابداً. وهي قالت لي ان الاولاد نقلوا الطاولات والكراسي الى الفناء الخلفي لتناول طعام الغداء، فالحرارة شديدة في الداخل، وانهم ما ان يفرغوا من طعامهم حتى ينطلقوا الى السباحة.

وادركت ان حضوري غيَّر خططها فقلت: "ربما كان من الافضل ان اعود غداً". ولم يكن في عزمي ان اعود، بل كنت سأطلب من المركز ارسال مدرسة اخرى. لكن ماري كلارك اجابت: "لا، الاولاد سيذهبون غداً الى الحديقة العامة. فاذا كنت ترغبين في تدريسهم اليوم، فهذا ما سيتعين عليهم ان يفعلوه. سوف اكلف احد المرشدين الشباب ان يجمعهم".

اربكني هذا الاذعان من جانبها فقلت: "يمكنني تدريسهم في الخلاء". وتولى احد المرشدين احضار الاقلام والاوراق، وصاح آخر بالاولاد: "هيا تعالوا. سوفا تتلقون إدرساً في الرسم. ماري تقول ان عليكم ان تحضروه".

وجلس الصبية مكسوفي الخاطر، ولم يمد احدهم يداً ليأخذ قلماً او ورقة. وعندما حاولت ان امازحهم واسألهم عن اسمائهم وعما يحبون ان يرسموه، قابلوني بأجوبة وقحة من نوع: "لا احب ان ارسم شيئاً" و"اعطيني بعض اقلام التلوين، والا فكيف تطلبين مني ان ارسم؟" و"المفروض ان نأكل ثم نذهب الى السباحة، لا ان نجلس الى هذا العبث الذي لا يليق الا بالاطفال".

الوجه الحساس – تجاهلت وقاحتهم وحاولت اثارة اهتمامهم برسم احدى الاشجار الباسقة العتيقة التي بقيت شاهدة على الجلال القديم. وقلت لهم: "اراهن ان هذه الشجرة العتيقة كانت موجودة قبل ان يولد اي منا". فما كان من احدهم الا ان صوب الي اصبعه قائلا: "أليس من شجرة عتيقة في عمر هذه المرأة العجوز؟" واخذ الجميع يضحكون.

احتفظت برباطة جاشي وقلت: "سوف تتعلمون جميعاً رسم الاشجار اليوم. لا داعي الى العجلة. المهم اننا لن نرسم اعواد حلوى ولا اعشاباً هزيلة. لا نريد شيئاً من عبث الاطفال".

فجأة نهض صبي من بينهم صائحاً: "لا اريد رسم اي اشجار"، وتهيأ للخروج. فما كان من المرشد الا ان اعاده الى مقعده قائلا: "سوف ترسم شجرة يا جيري. وانتم، اخرسوا جميعاً واشرعوا في الرسم".

كانت الاوامر الى المرشدين الشباب بان يساعدوني. وهم حاولوا مساعدتي فعلا. لكن الاولاد كانوا يعبثون بالالوان ويمزقون ما رسموه ويصنعون طائرات من اوراق الرسم. ثم تعمدوا تحطيم الاقلام الجديدة

واخذوا يركضون كالمجانين في الفناء. ولم البث ان وجدت المقاعد أمامي خالية من التلاميذ.

ثمة صبي في الثانية عشرة ألفيته واقفاً الى جواري صامتاً. وسألته: "اتريد ان تجلس هنا وترسم معي؟"

فتدخل المرشد قائلا: "لا يمكنك التحدث الى مايكل. انه اصم، لا يفهم ما يقوله الآخرون".

تلك كانت اللحظة التي استسلمت متخلية عن مهمتي. وتضاربت في عقلي خواطر سلبية. اذا لم يكن لهؤلاء الاولاد حاجة الي، فما علي الا ان اغادر المكان بعد انقضاء الساعة المطلوبة ولا اعود اليه ابداً.

ولتمضية الوقت، بدأت ارسم شجرة السنديان العتيقة. وسرعان ما شعرت بشخص يجلس قبالتي. كان ذلك مايكل. ولكن لا يمكن التحدث الى مايكل! ابتسمت له، فابتسم لي. كانت بسمته هادئة اضاءت وجهاً مليئاً بالاحاسيس.

قلت له: "عندما ترسم شجرة، يا مايكل، لاحظ انها مختلفة عن اي شجرة اخرى في العالم".

تطلع مايكل الى الشجرة ثم الى ما رسمته. كان الاهتمام جلياً في عينيه البنيتين الواسعتين.

وأضفت: "اذا كنت تشعر بالغضب او الحزن عندما تبدأ رسم شجرة، فلن يلازمك مثل هذا الشعور. الشجرة قد تكون صديقاً يريد ان يعرض عليك شيئاً. ستلاحظ الخضرة الزاهية في أعطاف الورق، وتلمح السحب البيضاء وسط السماء الزرقاء. سوف تدرك كم ان هذا العالم جميل".

شجرة مايكل - لا يمكن حقا التحدث الى مايكل. هكذا بدا لي الامر وكأنني أجاذب نفسي اطراف الحديث. ولكن ما من ولد آخر كان سيصغي، اما مايكل فكان هادئاً على الاقل. ودفعت اليه ورقة وبعض اقلام التلوين. فتردد قليلا ثم اختار قلماً أخضر وبدأ يرسم. وسرعان ما تشكلت امام ناظري معالم شجرة.

- عظيم يامايكل!

ابتسم من جديد. وادركت هذه المرة انه يفهم حقاً معنى الثناء، وانه يفهم ايضاً ان رسم شجرة يمكن ان ينطوي على متعة، بل على اثارة ايضاً. وكان هذا كافياً، فلم أعد اشعر بالوحدة.

وبدأ الاولاد يتقاطرون ويتحلقون حول الطاولة. وتوالت تعليقاتهم "آه، انظر الى شجرة مايكل!"

- أهو الذي رسمها؟

"لم تساعده هي في شيء منها".

وابتسم مايكل.

وهتف المرشد: "هيا يا شباب! تعالوا الى هنا. لن يستطيع احدكم ان يرسم شجرة بهذه البراعة. يا الله! كم هي متقنة".

وهنا اتسعت ابتسامة مايكل لتنفرج اساريره كلها.

وقال جيري: "اعطوني مزيداً من الورق. سوف ارسم شجرة اجمل من شجرة مايكل".

وعندما حان وقت الغداء، ظل الاولاد مشغولين بالرسم ولم يرغبوا في التوقف. وسألوني: "هل تأتين غداً؟" فقلت: "غداً نذهب الى الحديقة العامة. سنأخذ كراريس ونرسم مزيداً من الاشجار. سوف نمضي وقتاً ممتعاً، اليس كذلك يا مايكل؟"

قال المرشد: "مايكل عادة يبقى هنا".
وابتسم مايكل.
فقلت: "سوف نرى".
وضعت الرسوم على طاولة ماري تعلوها شجرة مايكل، فسألتني: "مايكل رسم هذا؟ انه لا يشارك طلاقاً في اي نشاط جماعي، فكيف نجحت في حمله على هذا العمل؟ هو لا يسمع كما تعلمين، وهو متخلف عقلياً، لذلك فهو لا يتواصل مع الاخرين".
- ثمة طرق اخرى للتواصل غير تبادل الحديث. وانا أحب العودة غداً لاصطحاب الاولاد الى الحديقة العامة.
"اهلا بك في اي وقت". وعادت تتأمل شجرة مايكل وهي تردد: "اني لاعجب من أمر هذا الصبي".
وانا اعجب من امره ايضاً. فهل كان مايكل يدرك، عندما جاءني وجلس امامي، انني كنت في حاجة اليه واشاركه في مشاعر الوحدة والاختلاف عن الآخرين؟
أظن ان هذا السؤال سيبقى ابداً بلا جواب. فلا يمكن التحدث الى مايكل... ام ان ذلك ممكن!

■ فيوليت اولسن



الدقائق الثقيلة

عُرف أحد مدرسينا بتمديد محاضراته بعد الوقت المخصص لها، على رغم انه كان ينظر كل دقيقة الى ساعة يده. ومرة حضر رئيس المدرسة الى أحد صفوفه وأفلح في كسر تلك العادة المقيتة. فقد حدث ان المدرس تأخر كالعادة، وهو لا ينفك ينظر الى ساعته. عندئذ وقف رئيس المدرسة وقال له: "أتريد ان تأخذ ساعتي؟ انها تعطيك التاريخ واليوم أيضاً".

ف.و.

فن الاصغاء

كان الكاتب الفرنسي اندريه جيد قليل الكلام بين الناس. ومرة فسر ذلك بقوله: "أنت تحتاج الى براعة لكي تتكلم حسناً. أما لكي تصغي حسناً، فانك تحتاج الى ذكاء".

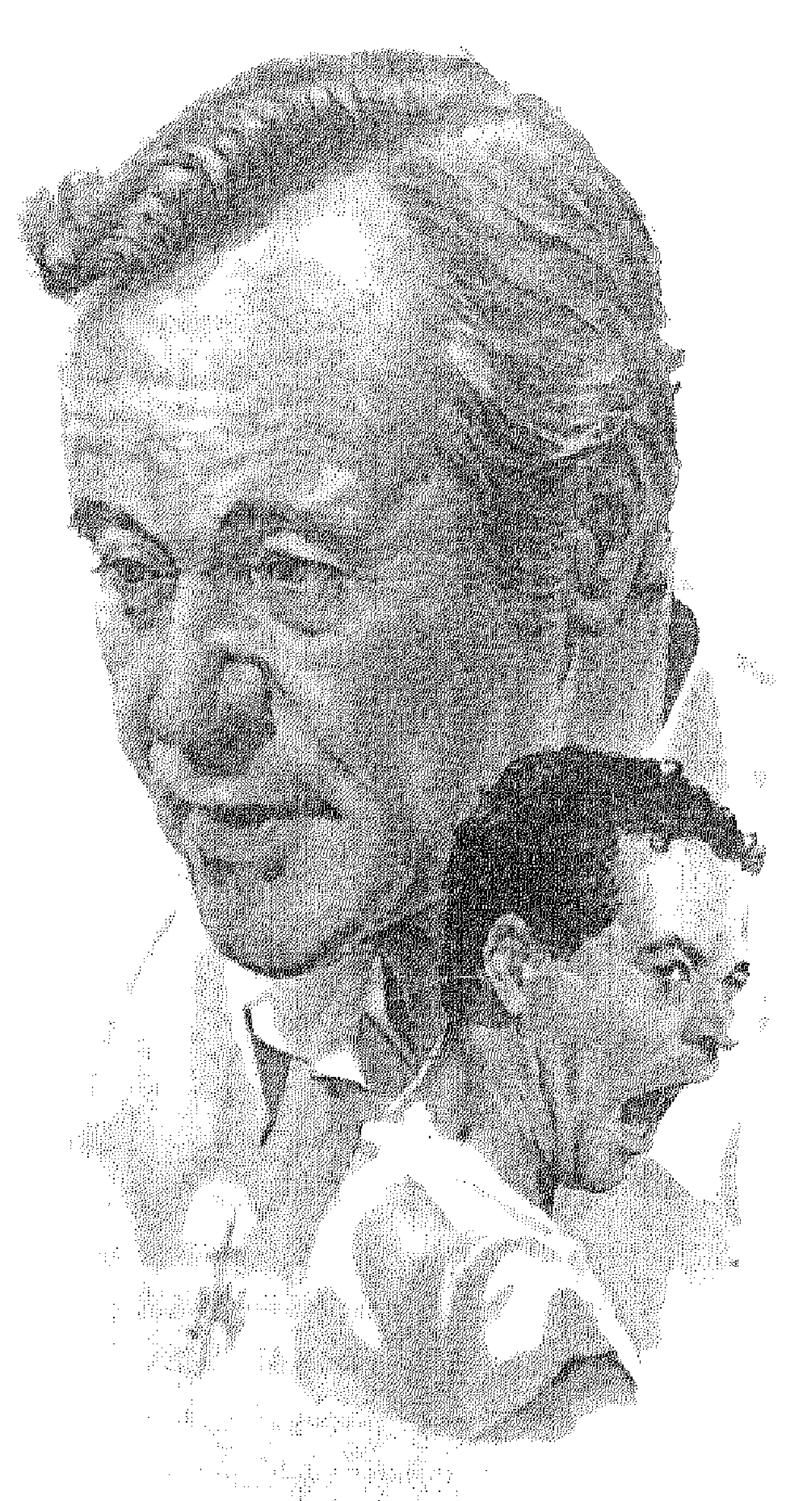
م.غ.

الوصف المعبر

لديّ صديق يحبّ ارتداء السراويل الواسعة عند الرسغين. ومرة جاء لزيارتي ولم يجدني، فترك خبراً لدى الزميل الذي يشاركني في المنزل. ولما عدت كان زميلي قد نسي اسمه. وحاول جاهداً أن يصفه لي وكاد ان يستسلم. لكنه جاء أخيراً بالعبارة الآتية: "انّ سرواله يتقدمه". فعرفت فوراً من المقصود.

ن.س.

جاك لمون المضحك المبكي



فيكتور كلوني يتأهب للقفز من حافة افريز في الطابق الثالث من فندق في كاليفورنيا لان زوجته تركته. انه يحدق الى الجمهور الذي احتشد في ساحة قصر العدل والالم يعتصره، وقد ارتجفت شفتاه وبدت ساقاه وذراعاه كأنها ترتعش وتنتفض على رغم انه يقف جامداً من دون حراك.

قبل ذلك بلحظات كان جاك لمون تسلق السقالات التي بنيت وراء واجهة الفندق المزيف ـ المعد لتمثيل "الزميل"، الشريط التلفزيوني الاخير من انتاج بيلي وايلدر ـ وهو يهم بالانتحار. كان على توم انثوني، الممثل الذي يحل محل جاك في المشاهد المثيرة، ان يقفز عوضاً عنه.

ينتقل بسهولة فائقة من وضع مأسوي الى وضع مضحك حتى أننا نرى فيه بعضاً من أنفسنا

ولكن هذا هو الاسبوع الاول من التصوير. قال جاك: "ما زلت ابحث عن فيكتور كلوني. لا اشعر اني ادركت شخصيته تماماً. البسها كالبد في الكف. ولكن فيكتور كلوني قرر ان يقفز الآن وعلي انا بالتالي ان اقفز".

وقد ثبت شريط يكاد يكون خفياً بحزام ربط حول خاصرة جاك، تحت قميصه. وهز هو كتفيه ببعض اللامبالاة قائلا: "يؤكد بيلي ان هذا الجهاز قادر على رفع ٢٩٠٠ كيلوغرام علماً ان وزني ٧٢ كيلوغراما". كان يقف على الافريز والعرق يتصبب منه. انه يبدو خائفاً او لعله اندمج في شخصية كلوني تماماً، وكلوني خائف هو الآخر.

لقد جهزت آلة التصوير وها هو وايلدر يشير الى لمون من تحت بان يقفز. لكن جاك توقف فجأة صارخاً: "قل لبيلي اني لا استطيع القفز".

وسمع صوت وايلدر، من خلال جهاز الراديو، وهو يسأل: "لماذا؟"

فاجاب جاك، وقد اوشك ان يقع من حافة الافريز لشدة الضحك، "لان آلات التصوير تجعلني عصبي المزاج". واكد لي جاك انه استطاع ان يخدع وايلدر الف مرة بهذه الحيلة. ثم استعاد شخصية كلوني فبدا خائفاً ومرتبكاً.

واشار وايلدر اليه بانه راض عن تمثيله. انه دائما يرضى بما يقوم به جاك لمون وهو يؤكد: "منذ غاب عنا تشابلن والجمهور يستجيب الى جاك اكثر من اي ممثل آخر".

سر نجاحه — ان سر نجاح لمون يكمن في الاندماج الذي يحصل بين الممثل والجمهور. وهذا احب جاك في كل الادوار التي لعبها اكان ذلك دور السكير المأسوي في الفيلم الشهير "ايام النبيذ والورود"، او دور عازف الموسيقى في الكوميديا التي اكسبته شهرة وهي بعنوان "البعض يفضلونه حاراً"، او دور المخبر الصحافي المدّعي في فيلم "الصفحة الاولى".

وينتقل جاك بسهولة فائقة من المأسوي الى المضحك. ومهما يكن الدور الذي يؤديه فهو يجعلنا نشعر وكأننا نشاركه فيه. انه دائماً صورة للرجل العادي. فهو عندما يؤدي دور العاشق المتكلف مع نجوم مثل شيرلي ماكلين وكيم نوفاك، فاننا نتوقع له انزلاقاً على قشرة موز. ومن مر بتجارب كهذه وبدا على شيء من الحماقة في موقف معين يرَ نفسه في جاك لمون. اننا نتعرف على بعض ما في ذاتنا في الموظف الاداري الشاب الساعي الى النجاح في فيلم "الشقة"، ونأمل ان نكون مثله اي على شيء من اللياقة على رغم طموحنا المفرط.

وقد اثمرت جهوده فرشح جاك لمون لجائزة الاوسكار سبع مرات متوالية وحاز الاوسكار تقديراً لدعم الجمهور له على دور انساين بولفر في فيلم "السيد روبرتس"، كما فاز بجائزة افضل ممثل في دور هاري ستونر في فيلم "انقذوا النمر".

كيف توصل جاك لمون الى هذه الشهرة؟

انه يفرغ نفسه كلياً في الدور الذي يمثله "فتسكنه" الشخصية التي ينتحلها ويبدو كأن الشخص الذي يحاول لمون تمثيل دوره يتمكن من

السيطرة عليه عوضا من ان يتمكن هو منه. فعندما مثل دور سكوتي تمبلتون الرجل المصاب بسرطان الدم في فيلم "الاجلال"، وهو آخر انتصار احرزه لمون في عالم السينما، هبط وزنه الى (٦ كيلوغراماً)، من دون ان يضطر الى اتباع نظام حمية معين، فقد "اصبح" سكوتي بكل معنى الكلمة. وعندما كان يستعد للقيام بدور رجل شرطة في باريس يقع في غرام عاهرة في فيلم "ايرما اللطيفة"، وهو دور يتطلب مهارة في الاداء، قضى جاك لمون ساعات بصحبة شيرلي ماكلين، التي ادت دور ايرما، يتحدثان الى احدى المومسات الليليات في باريس.

وفي محاولاته الصادقة للتوغل داخل الشخصيات التي ينتحلها كان جاك لمون يصر على ان يمثل بنفسه بعض المشاهد المثيرة مما كان يخلق له بعض المتاعب. ففي فيلم "كيف تغدُر بزوجتك" كان عليه ان يهرب بواسطة سلم حريق صدئة. فانكسرت به هذه واوشك على السقوط من علو شاهق الى ساحة مكسوة بالاسفلت، فتمسك بمدخنة ونجا لكنه اصيب بالتواء في عضلات صدره استمرت توجعه مدة عام كامل.

ولد في مصعد — نشأ جون اوهلر لمون (الثالث) في عائلة تنتمي الى الطبقة الاريستوقراطية في مدينة بوسطن الامريكية. وهو ولد في الثامن من فبراير (شباط) ١٩٢٥ في مصعد كهربائي، اذ كانت والدته منهمكة في لعب البريدج فتأخرت في الوصول الى المستشفى ووضعت جاك في المصعد المؤدي الى جناح التوليد. ولا شك في ان ذلك ترك اثراً في نفسه فهو كثير الحركة، يسير وكأنه يركض ويقف وكأنه يهول. وعندما يجلس تبدو يداه ووجهه في حركة مستمرة.

ووالدا جاك من المولعين بالمسرح والسينما وقد اصطحباه اليهما منذ صغره. وعندما كان في التاسعة شاهد مسرحية قصيرة للممثل الكوميدي الانكليزي ريتشارد هايدن الذي اشتهر بادائه ادواراً يبدو فيها نائماً. وعندما عاد الى المنزل بدأ جاك يقلد نجوم السينما والاذاعة، وقد لفت ذلك ذويه واضحكهم.

كان جاك شديد الحياء وقد اصيب بامراض عدة في طفولته تسببت في عزله عن رفاقه. لكنه ادرك دعوته اذ حظي بانتباه من حوله كلما مثل دوراً جديداً. وساعده تصرفه هذا في الخروج من عزلته واكسبه شخصية مرحة.

التحق جاك بجامعة هارفرد فاستهواه قسم التمثيل فيها. وساهم في كتابة وانتاج المسرحية الاولى التي قدمها نادي التمثيل في فترة ما بعد الحرب. ثم انتقل الى نيويورك حيث واجه كل ما يصادفه الممثل الناشيء. فمكث في شقق متواضعة وارغم على الاقتصاد في مصروف الطعام قبل ان يصبح محترفاً يظهر بانتظام في برامج مسرحية تلفزيونية. كانت الادوار التي يؤديها تبث مباشرة ولم يكن لديه الوقت الكافي للتدرب على دوره فاكتسب بذلك مقدرة على انتحال شخصيات مختلفة بسرعة ومن غير تحضير سابق.

الزوج والاب — ووقع جاك عقد عمل

مع شركة كولومبيا للانتاج السينمائي في العام ١٩٥٣. وما كادت ثلاث سنوات تمر على هذا العقد حتى اصبح هو من المع نجوم الشركة. وذات يوم اقامت احدى العاملات في القسم الاعلامي في الشركة مأدبة غداء في الهواء الطلق تكريماً لجاك وزوجته سينيثا ستون مستهدفة اعداد مقال مصور عن النجم الناشىء لاحدى المجلات. كان زواجهما متزعزعاً آنذاك، فالتقى جاك هناك ممثلة شابة تدعى فيليسيا فار فاستهوته، فتدبر امر الطلاق من زوجته واقترن بها في باريس في العام ١٩٦٢ حيث كان يصور فيلم "ايرما اللطيفة".

واوشك اصرار جاك على الاندماج الكامل مع الشخصية التي يمثلها على ان يفسد عليه شهر العسل. ففي الفيلم الذي كان يشترك في بطولته آنذاك كان على البطل ان يرمي بنفسه في نهر السين. وقفز جاك الى النهر فبلغ مقداراً من المياه الملوثة تسببت في مرضه. وهو قال: "نتيجة لذلك اصبت بالزحار (الاسهال) الاميبي الشديد مما كاد ان يفسد سعادتنا. ولكن لحسن الحظ فان فيليسيا تتمتع بروح مرحة، فضحكنا نحن الاثنين مما حدث".

ومذذاك، اختلط الاختلاف بالضحك في حياة الزوجين. ويبلغ كريس، ابنه من زوجته الاولى، السابعة والعشرين وهو ممثل يكاد يقلد والده. ولفيليسيا كذلك ابنة تدعي دنيز من زواجها الاول. اما زواجها من جاك فقد اثمر طفلة محبوبة دعيت كورتني وهي الآن في الخامسة عشرة.

كان على فيليسيا، كما على سائر افراد عائلة جاك، ان تختبر باستمرار تبدلا مثيراً في شخصية جاك الزوج والاب مرة كل ستة اشهر على الاقل. فعندما كان جاك يؤدي دور هابي ستون في فيلم "انقذوا النمر" اليائس التائه، اندمج في شخصية البطل الى حد انه كان ينفجر باكيا في نوبة عصبية مفاجئة وهو يقود سيارته في الصباح متوجها الى الاستوديو. وعندما ادى دور فيكتور كلوني في فيلم "الزميل"، اخذ يلعب الغولف بقلق كأن زوجته قد هجرته. فاخطأ التصويب مراراً وارسل الكرة بعيداً خارج حقل اللعب. ولحسن الحظ كانت الرواية ملهاة مضحكة.

ولكن من الصعب ان تبدو حياة جاك لمون الممثل وكأنها قائمة كليا على الوقوف على افريز شاهق العلو او على التواء في العضلات نتيجة لسقوطه من سلم صدئة او على الاصابة بالزحار. ففي فيلم "البعض يفضلونه حاراً" يقضي جاك فترات طويلة في مضجع مع مارلين مونرو وعدد من العازفات في زي غير محتشم، مما يوحي بالمتعة. الا ان جاك يعترض على ذلك: "واي متعة في ذلك؟ فقد كان السقف منخفضاً جداً حتى اني وجدت صعوبة في التنفس فضلا عن اني اصبت بصداع شديد استمر اياماً عدة من جراء ارتطام رأسي بالسقف اكثر من مرة".

ثم توقف قليلا عن الكلام ويده اليمنى تتحرك كالعادة في شكل لولبي، واضاف: "اني افضل الوقوف على حافة افريز مرتفع على هذا المضجع غير الممتع".

■ موريس زولوتاو

الحياة هبة ثمينة أعطيت لنا،
وثمة خطوات عملية
يمكن أن نتخذها
لمنع الانتحار

إنتصار الحياة

انقضت أربع سنوات على انتحار زوجتي برمي نفسها عن جسر "غولدن غيت" في سان فرنسيسكو، وعندما طرق رجل الشرطة الباب بعد ساعتين ليعطيني حقيبة ديبورا ويعلمني بوفاتها، لم أكن أدري أنها غادرت المنزل قبل طلوع الضوء ذلك السبت، وهرعت ابنتي المراهقة من غرفتها، وكان الدمع ينهمر من عيني وأنا أقص عليها ما حدث، وتعانقنا ونحن نبكي ونرفض أن نصدق الأمر، ولم ألبث أن عثرت على رسالة من ديبورا وضعتها ضمن كتاب عنوانه "كره الذات"، وجاء فيها: "ماذا أقول لك، يا أعز الناس؟ هذا أكثر الافعال أنانية في حياتي، اني على وشك أن أخسر وظيفتي، وهذا يزعجني حتى الذعر، اني لا أقوى على احتمال الحياة بعد الآن، ولكن، يا حبيبي، كن على ثقة بأنك لست أنت السبب، ها أنا أتركك وسط

الفوضى التي خلفتها، اعذرني لحصول هذا قبل العيد، لكني لا أستطيع الانتظار، واعذرني أيضاً لالقاء نفسي عن الجسر، ولا تنسَ أن تقرأ المقاطع التي وضعت تحتها خطاً في الكتاب، اني احبكم جميعاً، لكني لا أحب نفسي، ديبورا".

وكانت صفحة الكتاب التي تركت الرسالة بجانبها تحمل مقطعاً وضعت تحته خطوط بالحبر الأسود، وهو يقول: "إن مشاعر كره الذات جزء من عملية مستمرة، وهي تترافق مع القرارات والمواقف المؤدية الى الايذاء الذاتي، وتقود في النهاية الى الانتحار".

ورميت الكتاب الى زاوية في الغرفة وضربت ركبتي بقبضة يدي وأنا أقول: "ملعون هذا الكتاب وملعون مؤلفه".

ان ديبورا لم تنفك عن تحليل ذاتها، وفي العشرينات من عمرها، خضعت للتحليل النفسي طوال سنتين، ثم في الاربعينات لنوع آخر من العلاج النفسي، لكن هذا كله لم يعنها على ايجاد مخرج من مأزقها ومنحها الثقة بالنفس، وها هي أخيراً وجدت مبرراً لما أقدمت عليه.

وأمضيت وأولادي الثلاثة ساعات نستعيد الذكريات، وسط تأنيب الضمير، عن نوبات الكآبة والغم التي هيمنت على ديبورا في الآونة الاخيرة، وآلمني أني لم أستطع ادراك العذاب الذي عانته.

معنى جديد — قادتني أحزاني أخيراً الى تحري الاسباب التي تدفع الناس الى الانتحار، وكجزء من تحرياتي، تحدثت الى الدكتور ريتشارد روبن، مدير مركز مكافحة الانتحار في محافظة مارين في ولاية كاليفورنيا حيث نقطن، وسألني الدكتور روبن: "لماذا لا تنضم الى الصف الذي انشأناه لهذا الغرض؟ اننا نحتاج الى متطوعين يردون على مخابرات المزمعين على الانتحار، وان خبرتك الشخصية من شأنها أن تفيدنا".

وقبلت اقتراحه على الفور، اذ انني أردت تجنيب الآخرين ما لم أتمكن من تجنيب نفسي ذلك الحين، ولم أدرِ آنذاك أن ذلك العمل سيضفي معنىً جديداً على حياتي.

وفي الساعات الثلاث والثلاثين التي استغرقتها الدورة التدريبية، عرضت علينا نظريات واحصاءات وحالات انتحار وطرق مختلفة لمواجهة المنتحرين، بما في ذلك امتحان صدق نياتهم، وتعلمنا كيف نصغي الى شخص قرر الانتحار والطريقة التي نحيله بها على ذوي الاختصاص اذا اقتضى الأمر، كما لقنونا كيف نكتشف ما يخالج الشخص المعني من مشاعر وكيف نقدم اليه السند المعنوي ونرشده الى سبيل أفضل من الانتحار.

وأكثر ما آلمني أن أعرف أن ديبورا كان يمكنها العدول عن فعلتها عن طريق مكالمة هاتفية واحدة، لكنها لم تعلم بهذا الامر، ولا أنا علمت، واني على قناعة بأنه لو تصرف أحد منا على هذا النحو، لكانت ديبورا حية اليوم.

وهذه المكالمة الهاتفية تتم ليس في عيادة طبيب أو في مستشفى، بل في بيت الشخص الذي أزمع على الانتحار، أي في المكان نفسه الذي هو مسرح للصراع بين الموت والحياة.

أما خط الهاتف فيصل الشخص اليائس بمن يعينه على اختيار الحياة عوضاً عن الموت.

وتجدر الاشارة الى أن هاتف المركز يعمل طوال ٢٤ ساعة في اليوم، أي انه لا يكف عن تلقي المخابرات ليل نهار، وترده شهرياً أكثر من ١٣٠٠ مخابرة. والتعليمات التي يتلقاها كل متطوع هي أن يبقى على الهاتف حتى يحقق غايته.

ولدى دخولي المركز ذات ليلة في العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين، وجدت الزميلة التي كنت سآخذ مكانها تحاول أن تثني رجلا أراد الانتحار باطلاق النار على نفسه. وكانت هي في أواسط العشرينات، ذات شعر طويل وترتدي ثوباً أزرق. أما هو فأخبرها أنه في الخمسينات وأنه يعيش وحده.

وشاهدتها تنتقل من مكان الى آخر وتتكلم بحزم وسمعتها تقول له: "أخرج المسدس من فمك يا بيل. قل لي نعم! حسناً... الآن أفرغ الرصاصات على الطاولة، ودعني أسمع صوت سقوطها. حسناً، لقد سمعت! أهذه كلها؟ جيد يا بيل! ان رجالنا في طريقهم اليك الآن، وهم سيكونون عندك سريعاً. فأرجوك أن تنزع القفل عن الباب ثم تأتي الى الهاتف لنكمل حديثنا الى أن يبلغوا البيت".

صوت الباب ـ وضع بيل السماعة على الطاولة من غير أن ينبس بكلمة. وفي تلك الاثناء سمعت المتطوعة صوت باب يقفل. وبقيت طوال عشرين دقيقة تدعو بيل، فلا تسمع سوى أصوات مختلطة. وخشيت أن يكون قتل نفسه. وبعد دقائق خالتها دهراً، رفع أحد أفراد فرقة الانقاذ السماعة وقال لها ان بيل في الغرفة الاخرى يشاهد التلفزيون. فتنفست الصعداء بعد فترة مروعة حقاً.

واذا وجد المتطوع أن الشخص على الخط الآخر تناول جرعة مفرطة من العقاقير، فهو يطلب من زميل له ابلاغ مركز مكافحة التسمم أو أقرب مستشفى. واذا كان ضرورياً نقل الشخص المعني الى قسم الطوارئ، فان المتطوع يطيل المخابرة معه الى أن يتولى زميل له اعلام عائلة المريض أو أصدقائه أو فريق طبي بالأمر.

والارقام الرسمية الامريكية تشير الى أن ٢٥ ألف شخص قضوا انتحاراً في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠. الا ان الخبراء يقدرون أن الرقم الصحيح هو خمسون ألفاً، علما أن محاولات الانتحار بلغت نحو نصف مليون.

لكن نسبة ضئيلة من هؤلاء خابرت مراكز مكافحة الانتحار التي أصبح عددها ٢٢٥ مركزاً خلال السنوات العشرين الاخيرة في الولايات المتحدة. وعلى رغم أن ٥٠٠ محاولة انتحار جرت في المحافظة التي أنتمي اليها منذ تأسيس المركز، قبل ١١ سنة، الا أن القائمين على هذا المركز متأكدون من دوره الايجابي. ومعدل المخابرات التي نتلقاها هو مخابرة يائسة واحدة كل ٥٠ ساعة. والواقع أننا لم نخفق سوى مرة واحدة، اذ اقدم محدثنا على الانتحار فعلا. ولو كان لدينا الوقت لاقامة علاقة ودية معه عبر الهاتف، لامكننا ردعه عن فعلته. وهذا ماتقوله المراكز الاخرى التي حققت نتائج مماثلة.

الفرضية المشرقة ــ ان حركة مكافحة الانتحار تنطلق من فرضية بسيطة، وهي أنه ما لم يحقق الشخص رغبته، فهناك أمل. ويشير ادوين شنايدمن، استاذ علم الموت في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس، الى أن الراغب في الانتحار، اذا بلغت رغبته ذروتها، فهي تبقى هكذا فترة قصيرة جداً. وهو في هذه الفترة اما يتلقى العون واما ينفذ الرغبة.

ولا ريب في أن تدخل آخرين يتيح للراغب في الانتحار أن يبدل أفكاره. والراغبون في الانتحار، عادة، تتنازعهم فكرتان متناقضتان. فهم، من ناحية، يصممون الطريقة التي سيقضون بها، ومن ناحية اخرى يتساءلون عن امكان انقاذهم في اللحظة الاخيرة. وهذا ما يجعل اقناعهم بالكف عن الانتحار ممكناً.

ولكن كيف لنا أن ندري متى يكون المرء مزمعاً على الانتحار؟

ان المرشدين الذين تطوعوا للعمل في مراكز مكافحة الانتحار تلقوا تدريباً حول قفر المشاعر الحقيقية التي تدور في خلد الآخرين، خصوصاً تلك المتعلقة بالكآبة والقلق والوحدة والغم واليأس. ولديهم بضعة أسئلة يطرحونها من تلك التي يجاب عنها بنعم أو لا. ومن تلك الاسئلة: "أتنوي قتل نفسك؟" واذا كان الشخص عاقداً العزم على الانتحار، فهو يسر للسؤال لانه يتيح له التعبير عن أفكاره. وغالباً ما يكون جواب الاصدقاء أو الانسباء كالآتي: "لا تقل هذا! فهناك امور كثيرة تستحق أن تحيا من أجلها". والحق أني قلت هذا لزوجتي! أما المرشدون في مراكزنا فلا ينفكون عن طرح الاسئلة: بأي طريقة قررت الانتحار؟ ما هي الاستعدادات التي اتخذتها؟ متى تنفذ رغبتك؟

وبعد دراسة الأجوبة، تصنف النيات كالآتي: (١) لا يرغب في الانتحار، (٢) يفكر فيه، (٣) يهدد بالانتحار، (٤) يضع اللمسات الاخيرة، كأن يكتب وصيته، (٥) يجهز وسيلة الانتحار، كأن يحصل على سلاح، (٦) يحاول الانتحار فعلاً. وهذه الخطوة الاخيرة تدعو المرشدين في المركز الى ارسال فريق طوارىء طبي واعلام الاهل والاصدقاء والشرطة.

كلنا معرضون ــ ربما تدخل المرشدون مراراً في حال الشخص نفسه اذا استمرت نزعته أشهراً أو سنوات وأسفرت عن أزمات ومحاولات انتحار متكررة. واذا كان الشخص المعني من مدمني الشراب، فان مساعدته تصبح أشد عسراً.

لقد علمتني خبرتي أن أي شخص يمكن، في أحد الاوقات، أن تراوده فكرة الانتحار. فاننا كلنا، من وقت الى آخر، يراودنا الغم لاخفاق فعلي أو متوهم. والعديد منا يجد، أحياناً، أن الحياة فقدت معناها وقيمتها. أما الذين يقدمون على الانتحار أو يفكرون فيه فهم اولئك الذين تنتصر لديهم هذه الفكرة.

كما علمتني خبرتي أنه يمكننا أن نفعل كثيراً اليوم من أجل ثني الآخرين عن الانتحار.

اذا تلقينا، كمركز للارشاد، مخابرة من أحدهم يعلن فيها عزمه على الانتحار، فينبغي أن نحمل كلامه على محمل الجد. واذا لمح الى امكان

اقدامه على الانتحار، وجب أن نحثه على ايضاح موقفه، عبر طرح الاسئلة الملائمة، كيما نكتشف صحة قصده. واذا لم تكن مدرباً على هذا الأمر ووجدت لدى أحدهم نية للانتحار، فيجدر بك هدايته الى أقرب مركز لمكافحة الانتحار. ولكم يحسن أن نرى مراكز من هذا النوع في كل مكان. فان أفضل ما يستمده أحدنا من الآخر هو ذلك السند المعنوي الذي يقوينا في أوقات الضيق.

ان لدى كل منا حاجة لكي يدرك أنه ليس متروكاً وحده وسط العالم. وعندما يقوم صراع بين رغبة الحياة ورغبة الموت لدى المرء، فان خير ما يفعله كي تنتصر رغبة الحياة لديه هو ذهابه الى المكان المناسب في الوقت المناسب. ولكم هي جليلة هذه المساعدة التي يقدمها المتطوعون عبر الهاتف. أما أنا فحسبي أني أدركت هذه الحقيقة، وان متأخراً.

■ روبرت لي

نزيل دائم

بصفتي ناظر سجن، جاء أحد النزلاء يودعني في نهاية عقوبته التي دامت شهراً. وكان أمضى أربع عقوبات سابقة في السجن نفسه، فنمت بيننا الفة. فقلت له مودعاً: "أتمنى لك التوفيق في أعمالك، وأرجو ألا أراك بعد اليوم". فرد: "أتعني أنك ستترك هذه الوظيفة؟"

أ.ج.

الرسالة تقرأ من عنوانها

لدى الاذاعة البريطانية فريق من الموظفين يعمل على رسائل المستمعين التي يصل عددها الى قرابة ثلاثة ملايين سنوياً. ويقول أحد هؤلاء انه في الامكان الرد على أي رسالة، الا ما كان على شاكلة الرسالة الآتية التي تلقوها حديثاً: "لماذا تقتصرون على ذكر العظام عند وفاتهم، ولا تذكرونهم حين يولدون؟"

س.ت.

تشرشل والمطالعة

قال السياسي البريطاني الراحل ونستون تشرشل: "من الخطأ أن نقرأ كتباً جيدة كثيرة في حداثتنا. وقد أخبرني أحدهم يوماً أنه قرأ جميع الكتب المهمة. وبعدما تحريت صحة كلامه، وجدت أنه أتى فعلا على عدد كبير من الكتب، لكنها لم تترك أثراً باقياً لديه. فكم هي الكتب التي استوعبها؟ وكم من الكتبُ صار جزءاً من شخصيته؟ وكم منها انطبع في ذهنه وبات سلاحاً في يديه؟

"من المؤسف أن نقرأ كتباً عظيمة في مرحلة باكرة جداً من حياتنا، اذ أننا لن نفهمها على حقيقتها، ومن النادر أن نعود اليها لاحقاً. وعلى الاحداث أن يكونوا حذرين في قراءاتهم كما الكبار في ما يأكلون من طعام. فهؤلاء، إذ يأكلون، ينبغي أن يتجنبوا الكثرة وأن يمضغوا طعامهم جيداً كي يهضموه".

كتاب "الرسم كتسلية"

وسط الظلام،
أحـــس رجل التحري
أن شيئاً سقط على صدره
ورماه أرضاً.
فصرخ الى رفيقه:
"النجدة، النجدة!
ان اصابتي قاتلة!"

رَصَاصَة في القَلب

بـُعيد الحادية عشرة من ليلة ٢٣ مـــارس (آذار) ١٩٧٤، كان رجلا التحري ريتشارد كوزيانا وريتشارد اندرسون متجهين الى مركز عملهما في تشيزابيك في ولاية فرجينيا الاميركية لتأمين نوبة الخدمة الليلية. وكان كوزيانا يقود السيارة على مهل وسط منطقة اشتهرت بتجارة المخدرات، عندما عاين رجلا يحاول التخفي تحت ستر الظلام. فوضع رجله فوراً على كابح السيارة التي لم تكن تحمل أي علامة للشرطة. وقال لاندرسون، رفيقه في الخدمة طوال أربع سنوات: "اريد أن افتش هذا الرجل".

وترجل كوزيانا من السيارة ومشى نحو المكان الذي رأى فيه الطيف، وقال: "اني ضابط شرطة". وما أن سمع الرجل هذا الكلام حتى وضع يديه داخل سترته وخرج الى ضوء الشارع.

وتحسس كوزيانا، وهو مظلي سابق في الجيش، خطراً في الافق، وقال للرجل: "أخرج يديك من سترتك". لكن هذا بقي واقفاً كما هو، فكرر كوزيانا الأمر عليه. ولم يعِ كوزيانا

الا وقد أصابه شيء في صدره رماه أرضاً. فصرخ الى رفيقه قائلا: "النجدة يا آندي! ان اصابتي قاتلة".
وكان اندرسون يدور حول السيارة لحماية رفيقه عندما سمع الطلقة ونداء كوزيانا. وللحال أطلق الرجل النار مرة اخرى، فأصيب اندرسون في فخذه ورُمي ثلاثة امتار بعيداً. لكنه استجمع نفسه وتقدم بمشقة نحو السيارة. واتكأ على أرضيتها وخابر قيادته قائلا: "الوجدة ١٨ تعلن عن ١٠ ـ ١٠٠" وحدد المكان بالضبط، ثم راح يغالب الغيبوبة والألم المبرح للوصول الى رفيقه.

علامة الحياة ـ بعد دقائق وصل ضباط الشرطة الى المكان استجابة للنداء "١٠ ـ ١٠٠"، ومعناه أن ضابطاً يواجه مشكلة. فوجدوا اندرسون مضطجعاً بجانب كوزيانا الجريح، وهو يحمل مسدسه استعداداً لمواجهة الرجل المسلح اذا برز مرة اخرى.
ووجد فريق الاسعاف أن رصاصة اخترقت رئة كوزيانا اليسرى واستقرت في قلبه. وقد نزف الدم غزيراً من أنفه وفمه وكان نبضه هامداً. ووقف أحد الضباط، وهو صديق حميم لكوزيانا، يبكي كطفل لا يصدق شيء. وأمسك بيد رفيقه على الحمالة التي نقلته الى سيارة الاسعاف، وراح يتمتم: "سبحانك، اللهم، سبحانك! لا تدعه يموت".
وفيما أسرعت سيارة الاسعاف بالجريحين نحو مستشفى نورفوك العمومي، سعل كوزيانا الذي كان يُظن ميتاً. وكان سعاله ضعيفاً، لكنه شهادة كافية على أنه ما زال حياً. ثم تبين أنه ينبض ببطء شديد. وتولى شخص حاذق من الفريق الطبي ستر جرح كوزيانا المنفرج بطبقة من السيلوفان، منعا لتسرب الهواء داخل صدره وحفاظاً على صمود رئتيه. ثم نظف مجاري التنفس لديه بأنبوب امتصاص.
من جهته، كان أندرسون ينزف سريعاً لكنه ظل يقاوم الغيبوبة على نحو لا يصدق. ومن غير أن يدري أين هو وما الذي يحدث، بقي شاهراً مسدسه للدفاع عن رفيقه وعن نفسه. لكن أحد الزملاء ما لبث أن انتزع المسدس من يده.
وتلقى الدكتور بروس اينس، وهو اليوم في الاربعين ويرئس قسم جراحة القلب في مستشفى جاكسونفيل الجامعي (ولاية فلوريدا)، مخابرة طارئة بينما كان يقود سيارته. فأسرع فوراً الى المستشفى، يتبعه شرطي غاضب لم يتمكن من توقيفه. وقبل ادخال كوزيانا غرفة العمليات انخفض ضغط الدم لديه على نحو خطر، فقال الدكتور اينس لمعاونيه: "لا يسعنا الانتظار أكثر، وعلينا أن نباشر العمل فوراً".
وللحال حُشر انبوب في قصبة كوزيانا الهوائية من غير لجوء الى مخدر، ووصل الانبوب بمروحة آلية تضخ الهواء الى الرئتين. ثم أدخلت الانابيب الى الاوردة عبر الذراعين لحقن السوائل. ولدى ادخال كوزيانا غرفة العمليات، أدرك جميع أفراد الفريق الطبي انه يعاني صدمة قلبية، وهي الظاهرة التي تسبق الوفاة مباشرة.

ثياب الشارع ـ راح الدكتور اينس

يعمل بيديه العاريتين وهو ما زال بملابسه العادية. فشق صدر كوزيانا بين الضلعين الخامس والسادس. وبعد ثوان وقف يحدق الى قلبه النابض ببطء.

ورأى اينس جرحاً بحجم اصبع، لا تفصله سوى مليمترات قليلة عن أحد الشرايين التاجية الرئيسية في الجزء الامامي من البطين الايسر. وفتح شقاً صغيراً في غشاء القلب، عند نقطة تجمع فيها الدم المتخثر. واستخدم انبوباً وريدياً لازالة الخثرة من موضع الرصاصة، ثم قطب الجرح برشاقة كما فتحه.

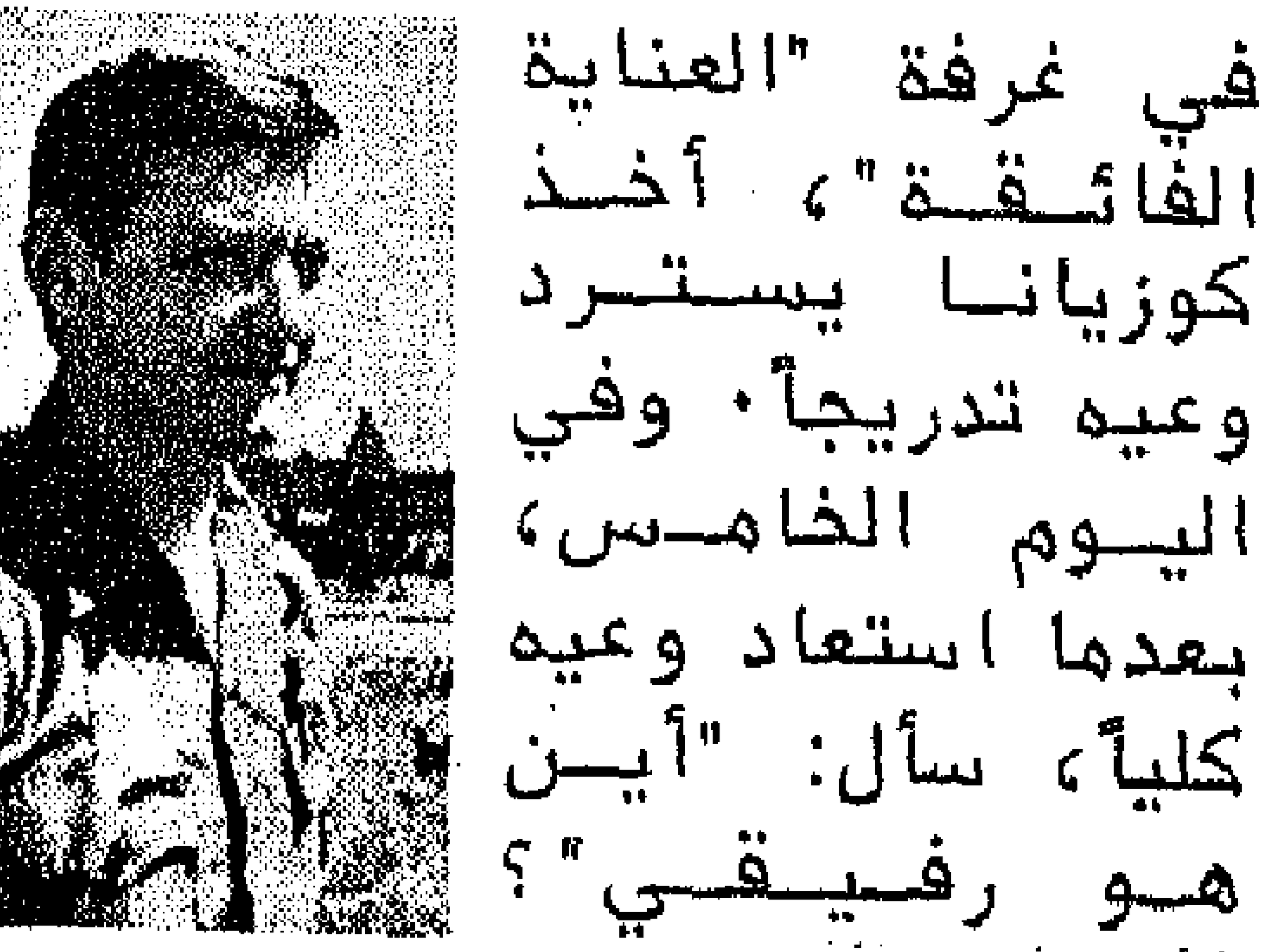
وباستخدامه آلة لتوسيع الاضلاع، أمكن كوزيانا أن يرى الجرح البالغ الذي أحدثته الرصاصة. وكانت هناك خثرة دم اخرى انفجرت على الفور ورشت كل الواقفين في الغرفة.

وأمر اينس أعضاء الفريق بأن يستعدوا للطوارىء، ثم سد الجرح بثلاث أصابع من يده وراح يقطبه بتؤدة، من داخله الى الخارج، حتى انقطع تدفق الدم.

وبعد ثوان استقر نبض كوزيانا. عندئذ توجه الدكتور اينس الى غرفة التعقيم وهو ما زال في ثيابه العادية التي غطاها الدم.

وسمع احدى الممرضات تناديه: "يا دكتور"، فهرع فوراً الى غرفة العمليات. وكان جرح جديد قد ظهر في عضلة قلب كوزيانا، وأخذ الدم ينسرب منه. فوقف اينس وخاط الجرح.

وبعد دقائق عاد في ثيابه الطبية المعقمة، وراح هو وسائر أفراد الفريق يغسلون صدر كوزيانا بمطهر قوي المفعول ويضعون اللمسات الاخيرة على قطب الجرح.





في غرفة "العناية الفائقة"، أخذ كوزيانا يسترد وعيه تدريجاً. وفي اليوم الخامس، بعدما استعاد وعيه كلياً، سأل: "أين هو رفيقي"؟ فأدخلت الممرضات اندرسون، على كرسي متحرك، غرفة كوزيانا. واغرورقت عيون الرجلين بالدمع، وتمتم كوزيانا: "أشكر الله على أنك لا تزال حياً".

الا أن كوزيانا، وهو رياضي في السادسة والعشرين، خشي أن يقعده الحادث مدى الحياة، خصوصاً عندما وجد أن حياته كانت وقفاً على وسائط اصطناعية عدة وصلت بجسده. كما خشي أن يكون عبئاً على زوجته ايلين وطفلتهما التي بلغت الشهر الخامس عشر من عمرها.

وما انفك الاطباء يقولون له مرة تلو مرة: "ينبغي أن تتحرك ببطء، من غير أن تجهد نفسك". وبعد ٥٥ يوماً في المستشفى، عاد كوزيانا الى البيت وقد فقد ١٦ كيلوغراماً من وزنه وبدا شخصاً آخر في عيون ذويه.

وأظهرت التقارير الطبية أن الجرح في بطينه الأيسر سبب عطلا دائماً هناك. وبات كوزيانا يمشي بصعوبة، وضعف بصره الذي كان يوماً بلا عيب. ومضت تقارير الاطباء تصنف كوزيانا، الذي حاز وسامي قتال سابقاً، في عداد المعاقين كلياً، قائلة انه غير مؤهل لمغادرة سريره.

وراحت ايلين تمرضه وهو يكاد لا يتحمل ذلك، بل يقابلها بالقنوط والغيظ. فقد أراد أن يعود معافى كما

كان. وأدرك أن ما يحتاج اليه الآن هو "الحافز على المضي قدماً".

المجرم وجهاً لوجه – من سخريات القدر أن يكون الشخص الذي أمده بذلك الحافز هو المجرم الذي أطلق عليه النار والذي كانت محاكمته تجرى آنذاك. وبعدما عرف كوزيانا ان المحكمة تعول كثيراً على شهادته، قرر أن صموده مهم جداً لمواجهة الشخص الذي حاول قتله. ويوماً بعد يوم، جعل من تلك الغاية قضية له، وكان يقول لزوجته: "اني مزمع على الصمود والشهادة أمام المحكمة".

بدأت المحاكمة في الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤. وسار رجلا التحري كوزيانا وأندرسون ببطء وسط قاعة المحكمة المكتظة بالناس، وذلك بعد سبعة أشهر من محاولة القتل التي تعرضا لها ونظرا مليا الى المجرم الذي ما أن رآهما حتى أشاح بوجهه.

وبعد يومين من الاستماع الى الشهادات والتحقيقات الدقيقة، لم يعد في امكان كوزيانا الصعود الى منصة الشهادة أو النزول عنها بمفرده. وكان شاحباً وقد ضاق نفسه وشلت ذراعه اليسرى. الا ان شهادته وشهادة أندرسون حسمتا المسألة نهائياً. وهكذا دين المتهم بالقتل المتعمد، وصدر عليه حكمان بالسجن، مدة كل منهما عشرون سنة.

غير أن كوزيانا بقي يحس ألماً في صدره، يرافقه ضيق نفس. وكمثل الكثيرين من مرضى القلب، بات الموت هاجسه اليومي. ثم كان أن أحد مسؤولي مكتب اعادة التأهيل التابع للولاية زار المزرعة التي انتقل اليها آل كوزيانا. وخاطب ريتشارد قائلا: "اننا نود مساعدتك كي تعود الى حياتك المنتجة. وسنلقنك كتابة العناوين على الرسائل وأنت في البيت". لكن تلك الكلمات التي لم يكن صاحبها يقصد بها سوى الخير، تركت كوزيانا حانقاً تجاه ذاته. فهو يريد أن يعود منتجاً، ولكن بطرقه الخاصة لا بطرق الآخرين. لقد عقد العزم على مواجهة الصعوبات.

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه، سار كوزيانا بهدوء الى كومة حطب بالقرب من حظيرة الماشية. وتناول فأساً ذات حدين وهوى بها على الاخشاب وهو يصر أسنانه من الألم في ذراعه اليسرى. وكان، كلما ضرب الفأس على الخشب، أحس أنه يضرب يأسه ويقصيه عنه. واستراح قليلا ثم استأنف العمل. وفي ذلك المساء أخبر زوجته أنه سيعافى وأنه، حين يستعيد صحته، سيعود تحرياً كما كان.

آلة لله – في السنة التالية، أظهر كوزيانا تحسناً مطرداً. وكان يعتني بالمزرعة ويحلب الأبقار ويمرن عضلاته الهزيلة بجمع التبن. واستعاد وجهه بسمته الطفولية، كما استرد قابليته للطعام.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، بعد نحو سنتين من الحادث، وقف كوزيانا أمام رئيسه السابق في فرقة التحريات مقدماً اليه تقارير طبية تشهد على تحسن حاله الصحية. وطلب أن يوقف راتبم كمعاق، ويوظف من جديد كما كان سابقاً.

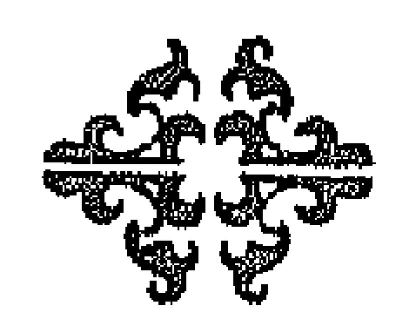
وقبل طلب كوزيانا. وبدأ يعاون المحقق المحلي داخل المكتب، وما

لبث أن انضم الى الفرقة. ولم يمضِ وقت طويل حتى ألحق بفرقة مطاردة المجرمين، ثم بفرقة مكافحة المخدرات. وفي العام ١٩٧٩ اشترك في احدى كبرى عمليات المطاردة في تاريخ ولاية فرجينيا. وعلى الاثر رقي في وظيفته، وهو الآن أحد أصغر رجال التحري سناً في فرقة تشيزابيك، وعددهم ٢٧٥ رجلا.

وباشر دروساً جامعية مسائية نال بعدها درجة البكالوريوس في علم الجريمة. ومنح كل من كوزيانا وأندرسون، وقد تعافيا تماماً، وسام جوقة الشرف الوطني تقديراً لجرأتهما.

ويقول الدكتور بروس اينس الذي أنقذ كوزيانا من الموت: "لقد كنت آلة لله تعالى، وهو أعانني وأمد كوزيانا بالشجاعة الخارقة للتغلب على محنته".

■ شلدون كيلي



العتب على النظر

غالباً ما أركب الدراجة في الجامعة بين جناح النوم وقاعة المحاضرات. غير أني، كمعظم سائقي الدراجات، لا اطيع قوانين السيّر.

وصادف ذات يوم أنّ شرطة السير الجامعية كانت تلاحق المخالفين. وما أن توقّفتُ في مكاني المعهود حتى بادرني أحدهم قائلا: "أيتها الآنسة! قفي مكانك". ونظرتُ لأرى وجهاً صارماً يحدق اليّ متوعداً. وسألني: "ألم تري اشارة المرور؟" فأجبتُ: "أجل، رأيتها". وصمتُّ هنيهة ثمّ تابعت: "لكني لم أرك يا سيدي".

عندئذ ضحك الشرطي طويلا، ومزق محضر المخالفة وأشار عليّ بأن اتابع طريقي.

ك.ا.

الندم مضيعة للوقت

لا شيء يهدر الوقت أكثر من الندم. وقد حاول طبيب نفسي من نيويورك اختصار ما واجهه خلال سني مهنته الطويلة ببضع كلمات صغيرة.

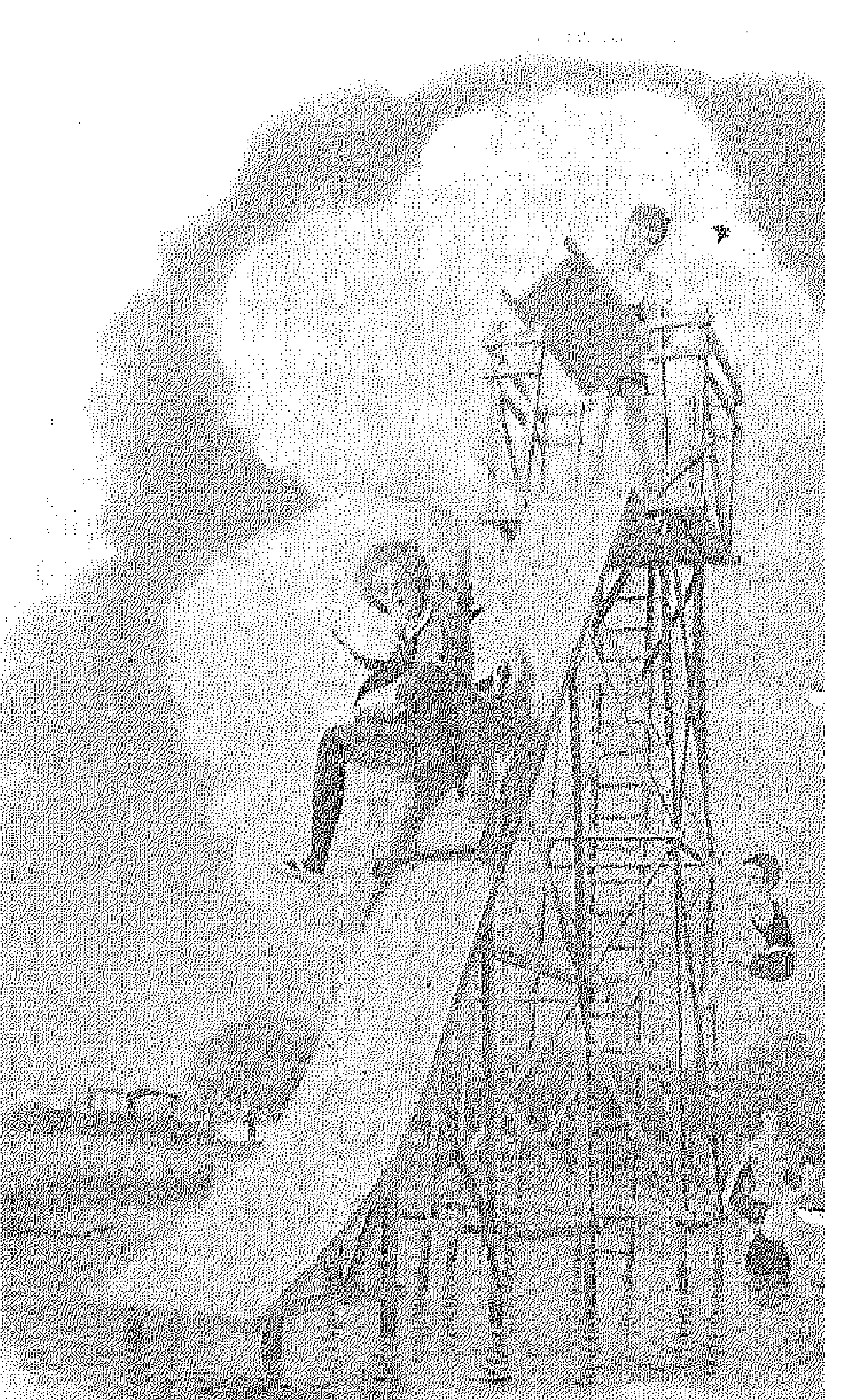
اولى هذه الكلمات "ليتني". ويقول الطبيب: "ان معظم مرضاي أمضوا حياتهم يعيشون في الماضي وهم نادمون على الفرص التي أضاعوها. فالواحد منهم يقول: "ليتني تكلمت أفضل في تلك المناسبة"، أو "ليتني أفصحت بمكنونات صدري أمام رب العمل" وما شابه ذلك".

وينصح الطبيب بحذف هذه الكلمة من قاموسنا اليومي وابدالها بالآتي: "المرة المقبلة سأفعل كذا وكذا". وعلينا تبني هذا الموقف حتى يغدو طبعاً لدينا. وهذا كفيل بنقل محور حياتنا من الماضي الى الحاضر والمستقبل.

أ.ب.

حماقة السيدة العجوز نجحت حيث اخفقت جميع خدماتها

من ذكريات الطفولة



حين استرجع ذكريات طفولتي في هاموند (ولاية لويزيانا) تبرز بينها ذكرى النزهة السنوية. كان التوتر يشتد علينا اسبوعاً بعد اسبوع خلال العطلة الصيفية، الى ان يأتي اليوم المنتظر. فنجتمع في الصباح الباكر في ساحة البلدة، حشداً رائعاً يملأه الامل والجوع واللهفة والالفة. ثم نتوزع على السيارات ونبدأ مسيرتنا بحماسة تزداد كلما اقتربنا من ماندفيل قرب بحيرة بونشارتران.

اعتاد الناظر ان يتقدم الموكب. وكان رجلا مرحاً قصير القامة يعرفه الجميع باسم الدكتور لوش. والغريب في الامر ان احداً لم يصب بأذى على رغم القيادة السيئة. وكانت السيارات من طراز "اوفرلاند" و"فورد" و"ويليس نايت" تنطلق بسرعة فائقة فترتقي الهضاب، ويقودها السائقون من جانب الى آخر، دونما اي نظام، على الطرقات المرصوفة بالحجار وكأنها مغطاة باصداف المحار. واما نحن الصغار فكنا نركع في المقاعد الخلفية ونحدق الى الخارج من نوافذ الميكة ونراهن بمبالغ "ضخمة" على السيارة التي ستصل اولا الى مكان النزهة.

وفي جميع الاحوال كنا دائماً نبلغ قصدنا بالسلامة. فتفرش السيدات اسمطة بيضاء على الطاولات الخشبية المستطيلة تحت اشجار السنديان.

غريب امر كوم المأكولات كيف كانت ترتفع فوق تلك الطاولات اذ تفرغ السيارات حمولتها: لحوم ودجاج وقدور ملأى بسلطة البطاطا والمربيات، واقراص من الكعك وفطائر متنوعة وعلب وضعت فيها

Condensed from Commercial Appeal Mid-South Magazine (July 30, 72), Memphis Publishing Co., Memphis, Tenn.

قطع الثلج والمرطبات. ونحن الصغار كنا نقف امام كل ذلك نطفح شوقاً، الى ان يعلن الدكتور لوش بدء "الهجوم".

اضعفنا ارادة كان لا يتناول اقل من دجاجة كاملة واربع كعكات ويتجرع معها ثلاث زجاجات من المرطبات. وعندما ننتهي تشرع النساء في ترتيب المكان فيما يتكىء الرجال على جذوع الشجر وقد غطوا وجوههم بالمناديل اما الشباب فيلهون بالكرة او بادخال الحدوات في الاوتاد. نحن الصغار كنا نطارد بعضنا بعضاً حول الطاولات. ونجذب اهداب اثواب امهاتنا سائلين متى سيسمح لنا بالسباحة.

الآنسة في الماء — كانت الآنسة برادفورد عنصراً غريباً وسط ذلك الاحتفال العائلي، اذ لم يكن لها انسباء. كانت في الستين من العمر بحسب تقديري — وان كنت انا في سن تنزع الى المبالغة بنحو ثلاثين عاماً في التقدير. كانت تعيش وحيدة وترتدي ملابس فضفاضة وقبعات سوداء ولا تتخلّف عن لقاء اجتماعي واحد. كانت الوحيدة بين معارفي التي تقوم فعلا بزيارة السجناء بانتظام وعزم كبيرين. ولم يكن سجن هاموند يضم عدداً كبيراً من السجناء، لكنها كانت تقصده وتقابلهم وتصلي من اجلهم برضاهم من غير رضاهم.

وكان الجميع يحترمونها ولكن من دون ان يعبروا عن ذلك عملياً. الكبار يذكرونها دائماً في ما بينهم بمحبة وثناء واحياناً ببعض الشفقة، ولكن نادراً ما كنت تلقاها في بيوتهم. مظهرها الصارم وعمرها ووحدتها كانت ترغم الآخرين على التحفظ ازاءها. فباتت تنظر الى تلك النزهات السنوية الصاخبة ببعض الانزعاج، اذ تذكرها بوضع حياتي لا علاقة لها به.

ومهما تكن مشاعرها، فلا بد ان امراً ما اعتراها في احدى تلك النزهات. فلما اشار الدكتور لوش ببدء فترة السباحة وانطلقنا نحن الصغار، لحقت بنا الآنسة برادفورد بوقار في صحبة عدد من الاهل.

لم ننتبه في البداية الى وجودها، اذ عدونا حفاة في ظلال السنديان على الرصيف الممتد في البحر. وارتدينا البسة السباحة بعجلة ونزلنا الى البحيرة نسبح ونبحث عن الاصداف والحيوانات المائية.

واذ اخذ بعضنا يتراشق بالماء، وصلت الينا دمدمة وهمسات دهشة اخذت تشتد، فتوقفنا للحال. واذ نفضنا الماء المالح من اعيننا رأيناها. كانت الآنسة برادفورد تنزل السلم الى الماء مرتدية ثوب سباحة قطنياً يخرج عن الزي السائد حتى في تلك الايام. وبدت ذراعاها كأنهما تخرجان من كميها على مضض وبشرتها البيضاء تنفر من اشعة الشمس. ومهما يكن من امر، فان ارادتها كانت حاضرة.

بعض الكبار الذين نزلوا الى الماء بحياء قدموا اليها التحية، بينما رفع بعضهم الآخر حواجبهم دهشة. وتجمعت النساء على الرصيف يتهامسن. لكن الآنسة برادفورد لم تبد اي اهتمام، وكأنها امام السجناء الذين كانوا يرفضون

صلاتها. كانت مصرة على تنفيذ قرارها.

اخذت تتخبط في الماء وتحيي الاصدقاء وترشقهم بالماء ثم تدير وجهها بصرخة لبقة اذ يرشقونها، الى ان اقبلت عليها احدى اكبر ازمات حياتها.

امر غريب - على بعد ٣٥ متراً من الرصيف، في مياه ضحلة، انتصب منزلق متداع يستفز الشبان والرجال الذين نسوا انهم لم يعودوا صبية. وكنا ننزلق عليه فوق لوح خشبي على رغم ان الدكتور لوش حذرنا من الصعود اليه. واذ بدأت الآنسة برادفورد تعتاد الماء المالح، اقترب منها احد الصبية دافعاً اليها لوحاً خشبياً وقائلا بصوت عال على مسمع من الجميع: "هيا يا آنسة برادفورد، اصعدي الى المنزلق. اريهم انك تستطيعين ذلك!"

ولا شك في ان لهجته والضحك العام الذي تلاها دفعاها الى قبول التحدي وان لم تكن تأمل النجاح. ولعلها فكرت بالشهداء القدامى في مدارج روما في العصور الغابرة واستمدت منها شجاعة. على كل حال فلا بد ان التحدي بدا لها غاية في الاهمية، اذ أن المنزلق لم يخلُ من الخطر وعليها ان تلزم الحذر كأي سيدة متقدمة في السن.

ترددت الآنسة برادفود هنيهة ثم امكست بلوح الخشب وغطست مغمضة العينين في الماء متوجهة نحو قاعدة المنزلق وصعدت الى قمة السلم. وهناك وضعت اللوح وجلست عليه، ثم حيّت المشاهدين الذين فغروا افواههم. وتلا ذلك صمت، ثم دفعها احدهم.

وما ان اجتازت الآنسة برادفورد ثلثي المنزلق حتى فقدت توازنها، وطار لوح الخشب وسقط في الماء، وسقطت الآنسة معه.

وحملها الاصدقاء الى حيث اسعفها الدكتور لوش. ولا اذكر تماماً اي عظم كسرت، ولكن اظن انها الترقوة. على اي حال فانها لازمت الفراش مدة من الزمن قبل ان تتمكن من متابعة زياراتها الى السجن.

بعضهم قال ان سيدة في سنها يجدر بها ان تمتنع عن القيام بعمل احمق كهذا. لكنني لا اعتقد ان ملاحظاتهم ازعجتها، اذ انها لم تكن لتعتمد على احد كي يشير اليها بواجبها. وحدث امر غريب.

اقدامها اليائس هذا نجح حيث اخفقت اي من خدماتها، في جعلها محببة الى قلوب الاطفال الذين اعتادوا الذهاب في النزهة السنوية. كان الجميع يحييها اذ تدخل بيت الجمعية ويحتشد الكبار حولها ليطمئنوا الى صحتها. وبدأت تدعى الى مأدبات العشاء ويستشيرها الجميع. وباتت "النزهة التي صعدت الآنسة برادفورد فيها الى المنزلق" اسطورة مثلت هي فيها دور البطولة.

ولم يفسدها الاهتمام الذي احيطت به، بل انها استمرت في القيام بواجباتها - تصلي من اجل السجناء ولصوص الدجاج وتحضر الاجتماعات حتى في اقسى الظروف. لكن ملامحها لانت وبسمتها المرحة جملت شفتيها الرقيقتين الهرمتين حتى آخر لحظات حياتها.

■ ليدل سيمز



قصة وفاء

انقذ حياتي واختفى في ادغال كمبوديا الدامية.
لكن اياً منا لم يفقد الامل باللقاء

من الصعب ان تصف كيف تنمو الصداقة بين شخصين، لانها غالباً ما تنشأ على اسس تبدو متناقضة: حاجات متبادلة وخبرات مشتركة.

قابلت ديث بران للمرة الاولى عام ١٩٧٢، عندما أوفدتني صحيفة "نيويورك تايمس" لتغطية وقائع الحرب بين "الخمير الحمر" (★) وحكومة كمبوديا. كان بران آنذاك في الثلاثين من عمره، وكان يجيد الفرنسية والانكليزية، وقد ساعد مدير مكتب صحيفتنا في سايغون (فيتنام) كمرشد ومترجم في رحلاته غير المنتظمة الى العاصمة بنوم بنه.

عندما هبطت طائرتي في ذلك اليوم من سبتمبر (ايلول) كان بران في استقبالي وفي جعبته قائمة من المقترحات المفيدة حول ما ينبغي ان أراه ومن يتعين علي التحدث معهم. وسرعان ما ارتحت اليه، وادركنا معاً ان افكارنا عن الحرب كانت متقاربة جداً. كان يؤرقنا اثر الحرب في الناس هناك: الايتام الذين لم يتجاوزوا العاشرة يرتدون الزي العسكري ويحملون بنادق تكاد تساويهم طولا، الاطفال الرضع وقد برزت عظامهم وهم يجودون بآخر أنفاس حياتهم، الجنود القابعون عند الخطوط الامامية يتلقون النار بصدورهم وقد حرموا طعم النوم. واستحوذت علي تلك الافكار، كذلك على بران الذي بدأ يدرك ان الصحافة وسيلة للكشف عن معاناة الناس وعذاباتهم.

واستمرت عجلة الحرب في دورانها، وتدهورت الاوضاع. كان بران يتحمل مني الكثير من غير ان يتبرم، اللهم الا مرة. وكنا آنذاك اجزينا مقابلة مع رئيس الوزراء، ان

(★) الخمير شعب كمبودي اوجد حضارة بلغت اوج ازدهارها بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر.

تام، الذي كان يتكلم بالكمبودية. وكانت ترجمة بران حرفية في حين كنت انا افتش بين الاحرف والكلمات عما يمكن ان يكشف من نيات رئيس الوزراء. كان بران يبادر الى اعطائي تفسيراً لاقوال الرئيس ثم يرفقه بتفسير آخر، فننطلق في جدل طويل. فانا أود معرفة رأي بران الشخصي في النقاط التي طرحها رئيس الوزراء. أخيراً قال بران: "لا يسعني ان اعطيك الحقيقة كلها. كل ما لدي هو ٨٠ في المئة منها، أما العشرون في المئة الباقية فسأحتفظ بها لنفسي".

لا تزال ذاكرتي تحتفظ بصورة يختلط فيها الوضوح بالتشويش للحدث الذي وقع صبيحة ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٥، يوم اخلاء السفارة الامريكية في بنوم بنه. في السابعة صباحاً تبين لي ان موظفي السفارة شرعوا في الرحيل. وكان لدي انا وبران فرصة حتى التاسعة والنصف نقرر في اثنائها اما البقاء واما الرحيل. كان بران يعرف اني اريد متابعة الحكاية حتى آخر فصولها، وانه سيبقى ايضاً. لكنه كان يريد أولا ترحيل زوجته واطفاله الاربعة. ولم يكن بقي سوى عشر دقائق عندما وضع عائلته في آخر شاحنة مغادرة الى مربض الطائرات المروحية التابع للسفارة. وما ان اقلعت الطائرة الاخيرة حتى خلت الساحة لنا وحدنا.

قضينا الايام الخمسة التالية متجولين في المدينة، في محاولة لتجميع معالم صورة للموقف الذي كان يزداد سوءاً واضطراباً. ثم حل ليل ١٦ ابريل (نيسان) وبات واضحاً ان سقوط العاصمة هو مسألة ساعات لا اكثر. كانت الحرائق الهائلة تجتاح المدينة وتحول سماءها برتقالية. وتدافع اللاجئون بالآلاف نحو بنوم بنه حاملين معهم اخف المتاع. وفي السادسة والنصف من صباح ١٧ ابريل (نيسان) رأيتني اكتب في مفكرتي: "المدينة تسقط". وبادرني بران: "قضي الامر، قضي الامر". واذ تبادلنا النظرات، كان يعلو وجهينا قلق عميق حول ما يمكن ان يصيبنا في اللحظات الآتية.

نهر الموت - خلال الساعات المضطربة الاولى من انتصار "الخمير الحمر" انضم الينا الصحافي البريطاني جون سوين ومعه آل روكوف وهو مصور امريكي مستقل. وركبنا السيارة الى أكبر مستشفى مدني لنكون فكرة عن عدد الخسائر في الارواح.

وفي باحة المستشفى اشار الينا جنود "الخمير الحمر" ببنادقهم للخروج من السيارة. وامرونا برفع ايدينا، فما كان مني الا ان نظرت الى بران طالباً ارشاده. اننا اجتزنا مواقف صعبة كثيرة من قبل، لكن تلك كانت المرة الاولى التي أرى الخوف واضحاً بلا لبس على قسمات وجهه. وتمتم بران ان علي ان افعل كل ما يطلبون. حينئذ بدأت ارتجف، تصورت اننا جميعاً سنلقى مصير القتل في تلك البقعة. لكن يبدو ان بران استجمع رباطة جأشه، اذ رأيته يناشدهم بلغتهم وهم يدفعوننا، ومعنا سائقنا الكمبودي، الى ناقلة جنود مصفحة.

صعدنا كلنا الى العربة باستثناء

بران الذي واصل مناشداته في الخارج. كان طبيعياً ان نظن انه يحاول التملص، لكنه ما لبث ان ركب العربة وهي تنطلق. وعاد سائقنا يشرح لنا في هدوء كيف كان بران أبعد من ان يحاول النجاة بنفسه، وانه كان يناشدهم السماح له بركوب العربة. ابلغه "الخمير الحمر" انهم لا يريدونه بل يريدون "الكبار" فقط. لكن بران كان يعلم ان فرص النجاة امامنا معدومة في غيابه. وهكذا رجاهم الا يفصلوه عنا، وكأنه يقدم حياته ثمناً لانقاذ حياتنا. فجأة توقفت العربة وفتح بابها الخلفي ليظهرجنديان صوبا بندقيتيهما الينا، وبدت خلفهما ضفة النهر الاصفر. وعدت افكر: سوف يطلقون علينا النار هنا، ثم يلقون جثثنا في مياه النهر.

ونزلنا ذاهلين مثل آلات بلا روح، في حين أمضى بران ساعة يتضرع اليهم للابقاء علينا. ورأينا ضابطاً يرسل جندياً الى مركز القيادة. وانتظرنا متذرعين بالامل، في حين واصل بران التماساته. اخيراً عاد الرسول يا للمعجزة! نكسب فوهات البنادق واطلق سراحنا نحن الخمسة. ونظرت الى بران الذي لاحت على ثغرة ابتسامة خجولة، لقد انتزع حياتنا من براثن الخطر.

وقد سألت بران في ما بعد عما حداه على الالتحاق بنا في العربة، فأجابني: "هكذا حدثني قلبي. ولو كنت مكاني لفعلت الامر نفسه من اجلي".

الرحيل - كان فندقنا مهجوراً لدى عودتنا اليه. وقررنا ان نلجأ الى مبنى السفارة الفرنسية المجاورة. كانت ابوابه موصدة، لكن ها هم الناس بالعشرات، بمن فيهم الكمبوديون، يتسلقون سور السفارة. وكان علينا ان نفعل مثلهم.

في اليوم التالي سألنا الفرنسيون عن جوازات سفرنا كي يصنفوا الملتجئين الى دار السفارة. ولم يكن لدينا سوى أمل اخير ووحيد بالنسبة الى بران. كان جون سوين يملك جوازي سفر، وتصورنا ان في وسعنا تحوير احدهما لاعطاء بران هوية اجنبية لكن الفرنسيين ابلغوا سوين ان لعبته لن تنجح، لان "الخمير الحمر" سيكشفون التلاعب وان ذلك سيعرض المقيمين كلهم للخطر. وأصروا على ضرورة مغادرة بران المكان.

اخيراً تعين علي ان ابلغ بران. وسألته اذا كان يفهم ما أقول. لقد حاولنا كل ما في وسعنا لكن الطريق مسدودة امامنا. فأجاب بران أنه يفهم ما اريد ان اقول، لكن المشكلة كانت عندي انا، انا الذي لم اكن افهم. لقد أنقذ حياتي وها اني عاجز عن حمايته. فكم اكره نفسي!

حزم بران بعض الضروريات. وعند بوابة السفارة طوقته بذراعي، وحاولت ان اقول شيئاً ذا معنى فلم تسعفني الكلمات، ولا اسعفته هو ايضاً. وعند العاشرة والربع من صباح ٢٠ ابريل (نيسان) وقفت اراقب بران وهو يجتاز بوابة الخروج. ثم اسندت رأسي الى الجدار وشرعت اضرب الحائط بقبضة يدي.

عدت الى الولايات المتحدة في منتصف يوليو (تموز) بعد ترحيلي الى تايلاند مع الرعايا الغربيين الـ٨٠٠

الاخـريـن الـذيـن تجمعوا فـي دار السفارة الفرنسية. كانت عائلة بران استـقـرت فـي سـان فـرنـسـيسكو بمساعدة صحيفة "نيويورك تايمس" ووكالة لغوث اللاجـئـيـن. وذهـبـت لازورهم هناك.

ابتهـج الاطفـال لـرؤيـتـي، لكن سير موين زوجة بران انهارت لدى لقياي ووقعت علي كلماتها كالخناجر: "ظننتك ستجيء ومعك بران".

وامضيـت الايـام القليلة التالـية اتحدث الى سير موين - بل الى نفسي - عن الحاجة الى التماسك والاعتصام بحبل الايمان، فان لدى بران من الشجاعة والذكاء والعزم ما يجنبه اي اخطار.

خلال السنوات التالية كنا نتابع التقاريـر والاخبـار الـتـي حـملهـا الهاربون من كمبوديا عن المذابح والمجاعـات هنـاك. واهتـز ايمانـي وايمانها غير مرة، فلم يكن لدينا ما يؤمل بالخير: كمبوديا كانت مغلقة في وجه العالم الخارجي، لا بريد ولا هاتف ولا تلغراف ولا حكومة ولا امكان لدخول شرعي الى البلاد.

في فبراير (شباط) ١٩٧٦ لاح أول شعاع امل: رسالة من صديق يعمل مع اللاجئين في تايلاند يقول ان بران شوهد قبل اشهر في اقليم سييم ريب. وكان الاقليم مسقط رأس بران كما كان مقصده يوم مغادرته السفارة الفرنسية.

وطنت نفسي على تأليف كتاب عن كمبوديا. لكني كنت عاجزاً عن ابعاد بران عن افكاري. كنت كل مرة افكر فيه يرتج علي ويحال بيني وبين العمل في تأليف الكتاب.

وبدلا من التأليف واصلت كتابة الرسائل مستفسراً عن أوهى اخبار بران من كل شخص وكل منظمة في امكانها المساعدة. ووزعت ١٠٠ صورة فوتوغرافية لبران على طول الحدود التايلاندية مع كمبوديـا، وعـرضـت مكافأة على اعضاء جماعة مقاومة اذا ما عثروا علـى بـران واخـرجوه مـن البلاد.

هذا ملك علي فكري كله، وكنت اشعر احياناً اني اعمل امراً مفيداً.

اروع ما سمعت - بيدان المعجزة لم تبدأ الا بعد اربع سنوات من اختفاء بران في ادغال كمبوديا. كنت احلق ذقني صباح يوم من ابريل (نيسان) ١٩٧٩ حين رن جرس الهاتف. كان المتحدث اندرياس فرويند من مكتب "نيويورك تايمس" في باريس، وقال لي: "لدي اخبار جيدة يا سيدني". ثم اخبرني ان جيرارد ليو، وهو صحافي الماني شرقي مقيم في باريس، كان مسافراً مع مجموعة من الصحافيين عبر كمبوديـا. فقابـل بـران وحمـل رسالة منه الي شخصياً - رسالة من ثماني كلمات هي اروع ما سمعت في حياتي: "ديث بران حي، يعيش في انكور، سييم ريب". وخابرت ليو في الحال. فأبلغني ان بران طلب مقابلته في انكور يوم ١٥ فبراير (شباط) قبيل عودته الى باريس، ورجاه ان ينقل الي رسالته قائلا: "انها ستجعله (ستجعلني) سعيداً". واكثر من هذا فقد طلب بران ان يلتقط ليو صورته ويرسلها الي ايضاً.

تلك الصورة التي وضعتها ضمن اطار علـى طاولة مكتـبـي بـددت مخاوفي قليلا. ولكن كان واضحاً، من

شهد بران كثيراً من حوادث الضرب وسمع عن قتل كثير. وهو يستعيد ذكرى تلك الفترة: "انهم لم يقتلوا الناس أمام اعيننا. كانوا يأخذونهم بعيداً ليقتلوهم بالعصي الغليظة توفيراً لطلقات الرصاص". وما كان اسهل تبرير هذه الحوادث.

ومع حلول شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥، كان بران عضواً في مجموعة عاملة في حقول الرز. وكان تواقاً الى تذوق اي طعام حتى انه حاول سرقة حفنة من الرز. وكشف أمره فظل يضرب بآلات مسننة تستخدم في قطع الخيزران حتى اشرف على الموت. وتم ذلك على مرأى من رفاقه البالغ عددهم ٦٠٠، ثم جرى التشهير بـ"الجريمة" التي ارتكبها.

ومن العام ١٩٧٥ حتى العام ١٩٧٧ بقي بران في دام ديك يزاول سلسلة من الاعمال الشاقة: يحمل التراب ويحصد المحاصيل ويقطع الاشجار. وكان يوم العمل يمتد من الرابعة صباحاً حتى السادسة مساء، مع ساعات عمل اضافية في مواسم الحصاد. وفي اواخر ١٩٧٧ انتقل بران الى قرية اخرى بعدما علم بان القرويين المتعصبين في دام ديك باتوا يشكون في أمره. وتحسنت ظروف حياته، فعلى رغم نظام العمل القاسي هنا ايضاً، وعلى رغم ان الطعام ظل شحيحاً، فقد رق له قلب رئيس المزرعة الجماعية فاتخذه خادماً في منزله.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨، علم بران ان الفيتناميين اجتاحوا كمبوديا، وفي ٧ يناير (كانون الثاني)



منذ التئام شمله مع المؤلف (فوق) يعمل بران مصوراً لدى صحيفة "نيويورك تايمس".

واقع اخبار اللاجئين جميعاً، ان البقاء على قيد الحياة يوماً في كمبوديا لا يعني بالضرورة ضمان البقاء يوماً آخر. ومع ذلك، فلا أنا ولا سير موين كان في وسعنا ان نتصور حقيقة التعاسة والبؤس المجنون اللذين خيما على الحياة حيث يعيش بران.

الخادم والعمدة – بعد مغادرته السفارة الفرنسية تنكر بران في زي سائق اجرة. فارتدى قميصاً وسخاً وسروالا قصيراً وانتعل صندلا خفيفاً. وفي هذا الزي منح بطاقة هوية وسافر شمالا الى قرية دام ديك على بعد ٣٠ كيلومتراً شرق سييم ريب. كانت المجاعة تضرب انحاء الريف، وفي دام ديك وصل تقنين الرز الى ملعقة واحدة لكل شخص في اليوم الواحد. واذ تملك اليأس القرويين فانهم راحوا يقتاتون بالحشرات والجرذان والعقارب ولحاء الاشجار.

١٩٧٩) استولوا على بنوم بنه. وعندما وصلوا الى سييم ريب بعد ثلاثة ايام، لاذت بالفرار وحدات "الخمير الحمر" المقيمة حول قرية بران.

واذ كانت تحدوه قناعة بان الفيتناميين لا يقتلون المدنيين وانهم سيسمحون للناس بالعودة الى قراهم، فقد سار بران الى سييم ريب بحثاً عن أقاربه. ولم يكن بقي على قيد الحياة، من اسرته المكونة من سبعة افراد، سوى امه (٦٣ سنة) واحدى شقيقاته.

واذ استولى الفيتناميون على المدن الرئيسية، فقد شرعوا يبحثون عن اداريين محليين. هنا كان التعليم الذي تلقاه بران في مصلحته، فاصبح عمدة لمدينة سييم ريب التي كانت تضم نحو عشرة آلاف نسمة.

على ان بران لم يكف ابداً عن التفكير في الهرب. وكانت تلك الفترة التي اقترب بحذر من جيرارد ليو. كان الفيتناميون امروا بران بتشكيل لجنة استقبال من خمسين قروياً للترحيب بالصحافيين الزائرين. وكان بران يخشى الكشف عن علاقته بصحيفة "نيويورك تايمس"، ولكن عندما ابتعد ليو عن الجماعة الرئيسية لالتقاط صور، قرر بران المخاطرة.

وبعد خمسة اشهر اكتشف الفيتناميون ان بران كان يعمل في خدمة صحافيين امريكيين، فأجبروه على الاستقالة. وتوترت اعصابه خوفاً مما قد يحل به.

"يا أخي" ــ الاخبار التي وصلتني عن بران في ابريل (نيسان) ١٩٧٩، وضعتني في حال من الابتهاج الشديد. ورحت افتش عن كل طريقة ممكنة لاخراجه من البلاد.

واذ كنت اعول على بقاء بران في سييم ريب واحاول انتزاعه بالسبل الرسمية، اذ به ــ بران ــ يقصد فوم تروم. وهي القرية الواقعة على بعد ٦٥ كيلومتراً الى الشمال الغربي وتكاد تتاخم حدود تايلاند، حيث كانت المقاومة تساعد الناس على الهرب. وبعد ستة اسابيع من الاستعداد، انطلق بران الى الحدود في منتصف سبتمبر (ايلول). ووصل بعد اربعة ايام، لكن كان عليه ان ينتظر ١٧ يوماً ترقباً للخطة المناسبة للعبور. اخيراً، في الثالث من اكتوبر (تشرين الاول) نجح بران في الوصول الى معسكر للاجئين على بعد ٢٥ كيلومتراً. وهناك بحث عن مندوبة غوث امريكية وحكى لها قصته، ثم طلب منها ان تبلغني رسالة عن طريق السفارة الامريكية او بواسطة هنري كام مراسل "نيويورك تايمس" في بانكوك.

وفي ٤ اكتوبر (تشرين الاول) اتصل بي هنري قائلا بعجلة: "بران في الخارج. هو في تايلاند في معسكر لاجئين بمنطقة سورين". ثم ذكر شيئاً عن جهوده مع السفارة الامريكية لادخال بران الى الولايات المتحدة. لكنني لم افهم كل ما قال، بل وجدتني ابكي في مكتبي.

وطلبت سير موين، لكنها لم تكن عادت من عملها في المصرف. فاتصلت بابنها البكر تيتوني وابلغته الاخبار.

مرت الايام القليلة التالية مثل الحلم. سافرت على الطائرة الاولى الى معسكر اللاجئن صباح ٩ اكتوبر (تشرين الاول). ها أنذا ادخل الكوخ الذي يشارك بران في سكناه، واسأل عنه بفرنسية مختلطة. ولم يكن بران

موجوداً، لكن شاباً اندفع لاحضاره وهو يهتف: "يا أخي، ثمة من يسأل عنك! الآن لاحت فرصتك".

وجاء بران راكضاً وقفز علي لافاً ساقيه على خصري ودافناً رأسه في كتفي: "جئت يا سيدني، آه، جئت اخيراً". هكذا كانت كلماته وقد خالطها النشيج. وبقينا على هذه الحال بضع دقائق حتى توقف جسده الناحل عن الانتفاض وانسدلت ساقاه الى الارض، وقال: "لقد ولدت من جديد. هذه اذاً حياتي الثانية". ودخلنا الكوخ. فتبين لي ان ساقي بران وقدميه مثخنة الجروح وان اسنانه مفككة ومنخورة من سوء التغذية. وكان يضع يديه في جيوبه معظم الوقت، فكلما اخرجها ارتجفتا كيدي رجل طاعن في السن.

ورحنا نتحدث بلا انقطاع وننتقل من موضوع الى آخر كأننا نتلمس طريقنا بحثاً عن اربع سنوات ونصف سنة ضاعت منا. وقال لي بران: "كل هذه المدة كنت احلم بانك جئت تخلصني بطائرة مروحية، واني املك جهاز راديو على الارض وانك ترشدني الى موقعك بالراديو ايضاً".

وكنت اجيبه بلا ملل ان الرؤيا نفسها كانت تراودني في احلام اليقظة. ثم نضحك لنقطع سياق الحزن.

في سان فرنسيسكو، في ١٩ اكتوبر (تشرين الاول)، كان التئام شمل العائلة: شلال من الزهر وعناق حار. ودموع تنساب من المآقي.

وبعد ايام قليلة استدعيت الى نيويورك. ومع ان الفراق كان موقتاً فقد شعر كلانا بالقلق. وفي محاولة عقيمة لتخفيف توتر اللحظة، عمدت الى استفزازه مذكراً اياه بحوارنا القديم في بنوم بنه عندما حثثته كي يخبرني "الحقيقة كلها"، وهو نقاش اصبح تقليدياً وخاصاً بيننا.

وعدت أسأله بلهجة من الاستفزاز الودود: "اما زالت النسبة عند الثمانين في المئة؟"

فأجابني برصانة: "لا، لم يعد ثمة ما يخفى. لا أسرار بيننا بعد الآن. لا تمويه ولا اخفاء. لقد اصبح يجري في عروقنا دم واحد".

■ سيدني شانبرغ

صحافي في "نيويورك تايمس" نال جائزة "بوليتزر" عام ١٩٧٦ لتغطيته احداث كمبوديا.

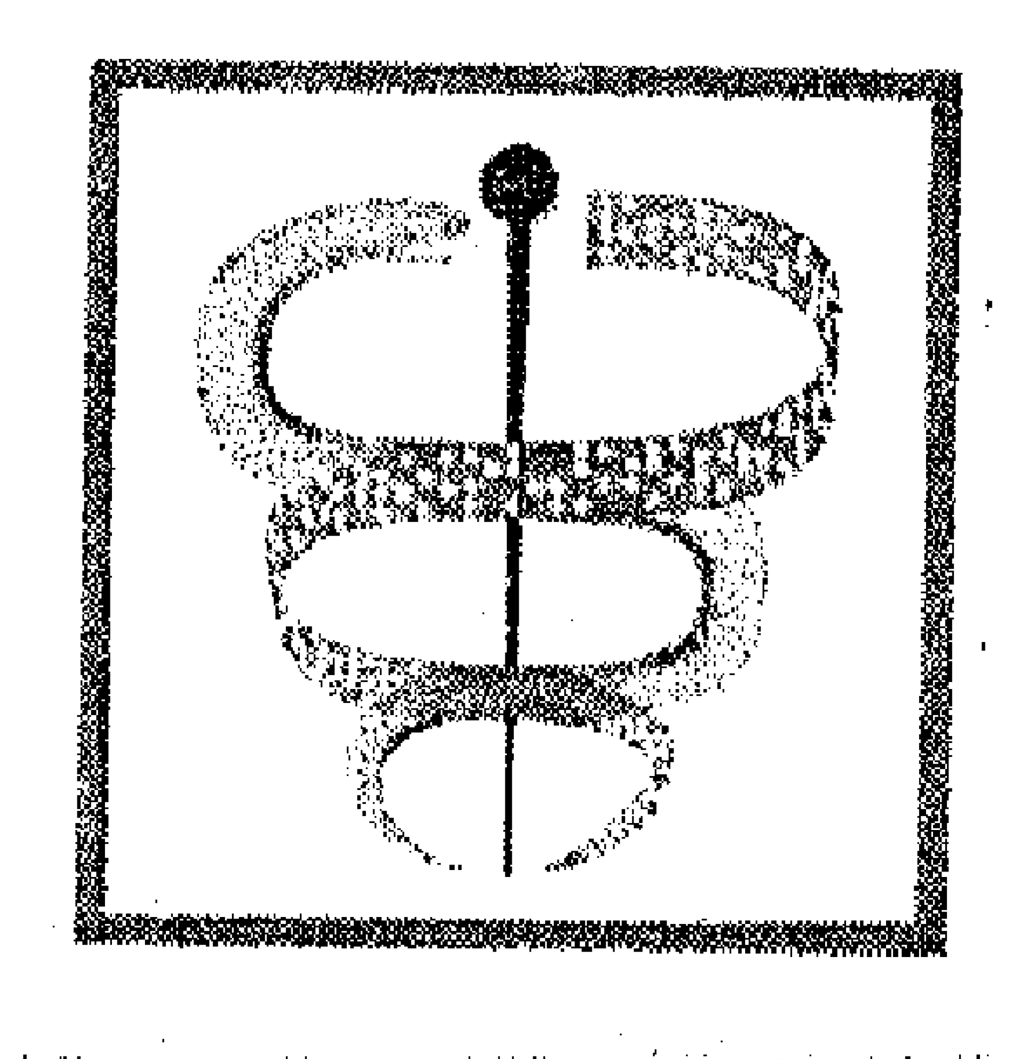
الصديق الثالث

كان صبيان جارين يمضيان وقتاً طويلا في اللعب معاً. وخرج أحدهما يوماً يسأل عن الآخر فقالت أمه: "آسفة يا عزيزي، اذ لا يمكنه الخروج هذا الصباح".

فسألها الصبي بعد برهة من التأمل: "هل يمكن أن تخرج دراجته عوضاً عنه؟"

ج.س.

أصداء من عالم الطب



موانع الحمل

بعد الضجة الاعلامية الواسعة التي نشأت حول اضرار حبوب منع الحمل، تحولت نساء كثيرات الى وسائل اخرى، كالرغوة الواقية والمساحيق والتحاميل، وان يكن أثرها أقل من أثر الحبوب التقليدية.

إلا أن مجلة الاتحاد الطبي الامريكي نشرت مقالا يتناول أثر هذه المواد القاتلة للحيوانات المنوية في تشوه الأجنة في حال الحمل بعد قطع الدواء. ففي دراسة أجريت على أطفال ولدوا لنحو خمسة آلاف امرأة في مدينة سياتل (ولاية واشنطن) خلال ١٨ شهراً، وجد أن نسبة التشوه لدى المواليد الذين تعاطت أمهاتهم هذه المواد خلال الاشهر العشرة التي سبقت الحمل هي ٢،٢ في المئة، في حين كانت ١ في المئة فيحال عدم تعاطي المواد المذكورة.

لكن النتائج التي تخرج بهاالدراسة ليست أكيدة. فالامراض التي يعانيها المواليد مختلفة، ولا تقوم بينها وبين مواد منع الحمل علاقة سببية واضحة. والى أن تُدرس المسألة على نحو أتم، يجدر بالنساء اللواتي يسعين الى الحمل أن يوقفن استعمال هذه المواد قبل أشهر من محاولتهن الحمل، وأن ينقطعن عنها فوراً اذا تأخرت العادة الشهرية لديهن.

ط ـ ٧٢ "رسالة هارفرد الصحية"

العلاج بالاصغاء

إن الأثر الشافي للاصغاء الحسن من قبل شخص عادي يضاهي أثر طبيب نفسي متمرس. هذه هي النتيجة التي تنطوي عليها دراسة أنجزها العالمان النفسيان الامريكيان هانس ستراب (من جامعة فاندربيلت) وسوزان هادلي (من المعهد القومي للصحة العقلية في روكفيل، ولاية ماريلاند). وهما درسا مجموعتين من المرضى تم علاج احداها على أيدي أساتذة جامعيين وعلاج الاخرى على أيدي معالجين نفسيين متمرسين، فوجدا نسبة التحسن لدى أفراد المجموعتين متساوية.

وكان المرضى طلاباً جامعيين غير متزوجين، تراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والرابعة والعشرين، وكانوا يعانون القلق والكآبة وفقدان الحيوية. واستثني من الدراسة الطلاب الذين حاولوا الانتحار. وكان المعالجون غير المختصين بعلم النفس أساتذة أدب وفلسفة وتاريخ ورياضيات، ومنهم من صرف أكثر من عشرين سنة في التعليم. أما المعالجون النفسيون فكان معدل خبرة الواحد منهم ٢٣ سنة. وكان الاجتماع بالطلاب الشباب يتم مرتين في الاسبوع على مدى ثلاثة أشهر أو أربعة.

ولا يذهب كاتبا الدراسة الى القول بأن "الاصغاء من قبل غير مختصين يجب ان يحل مكان العلاج النفسي". لكنهما يؤكدان أثر الاصغاء الجيد في انشاء علاقة تفهم قد تكون جزءاً مهماً من عملية الشفاء النفسي.

ج.ب.

علاج جديد للسرطان

ان سرطان المستقيم (الجزء الاخير من المعي الغليظ) هو من أقوى أنواع هذا المرض العضال التي تصيب الانسان. ولكن يبدو ان الصعوبات الملازمة له أخذت تذلل أمام علاج مكوّن من ثلاثة أقسام: الجراحة والعلاج بالأشعة والعقاقير. وفي دراسة دامت خمس سنوات على ٢٠٠ مريض في سبعة مراكز طبية، تبين ان الشفاء شمل نصف المرضى الذين تلقوا العلاج المذكور.

ويقول الدكتور فنسنت دو فيتا، مدير المعهد الوطني للسرطان في ولاية ماريلاند الامريكية: "هذا يفتح آفاقاً جديدة بالنسبة الى معالجة أحد الأمراض الشائعة. ومن بين كلّ ٢٥ اصابة سرطانية، هناك واحدة في المستقيم، ويتوقع ظهور ٣٥ ألف اصابة جديدة بهذا النوع من السرطان في الولايات المتحدة خلال ١٩٨١.

والنتائج المذكورة قائمة على معالجة أربع فئات من المرضى انتشر السرطان لديهم جميعاً خارج المستقيم أو في نقطة بين المستقيم والقولون، وهو جزء من المعي الغليظ يسبق المستقيم. وبعد علاج دام سنتين او سنتين ونصف سنة، بلغت نسبة معاودة المرض ٥٢ في المئة لدى المرضى الذين عولجوا بالجراحة فقط (وهي العلاج الأكثر شيوعاً)، و٣٩ في المئة لدى المرضى الذين عولجوا بالمواد الكيميائية فقط، و٣٢ في المئة لدى اولئك الذين تلقوا علاجاً بالأشعة. أما الذين تلقوا أنواع العلاج الثلاثة معاً فعاودهم المرض بنسبة ٢١ في المئة. وكانت الجراحة تتم اولاً، وتليها ثمانية أسابيع من العلاج بالأشعة و١٨ اسبوعاً من العلاج بالمواد الكيميائية.

ويقول الدكتور فيليب شاين من جامعة جورجتاون (واشنطن)، وهو الرئيس المشارك للجنة التي أجرت الدراسة: "ان كلا من أنواع العلاج الثلاثة هو أكثر تطوراً من الجراحة التقليدية. ولكن اذا كان عليّ ان أختار نوع العلاج، فاني أختار الثلاثة معاً".

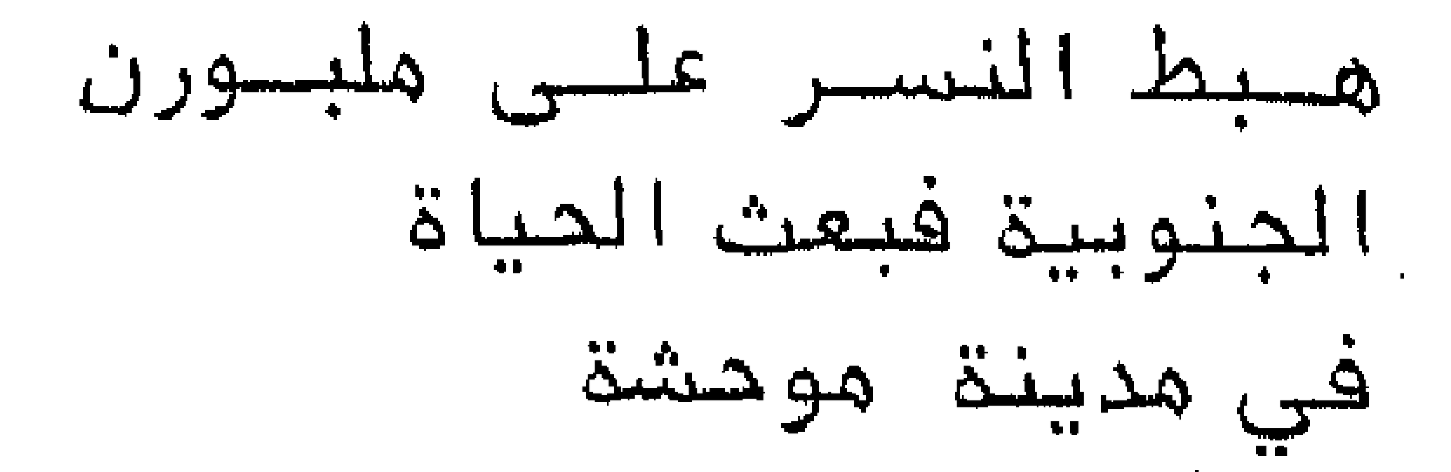
ف.ك. صحيفة "واشنطن بوست"

هل الاطباء منحازون ؟

يبدو ان الفكرة الشائعة حول كون النساء متشاكيات مزمنات وكون الرجال اهل معاناة رابطي الجأش لا تزال سائدة بين الاطباء، وعلى الاقل بين الرجال منهم. وقد راجع بعض الباحثين ملفات المرضى من الرجال والنساء الذين يعانون ألم اسفل الظهر والصداع والدوار والآلام الصدرية او الارهاق، فوجدوا ان الاطباء التسعة الرجال الذين تولوا علاج المرضى اولوا الجنسين عناية مناسبة. لكنهم اخضعوا الرجال عموماً لمزيد من التدقيق والفحص (التاريخ الطبي المفصل، الفحوص المخبرية، فحص الجسم بعناية شديدة). وهذا ينطبق خصوصاً على الرجال الذين يعانون الم اسفل الظهر والصداع.

ويقول الدكتور لورنس سنايدرمان، احد باحثي كلية الطب التابعة لجامعة كاليفورنيا في سان دييغو التي اجرت الدراسة: "ان الاطباء يبذلون قصارى جهدهم حين يصيب المرض رجلا بدلا من امرأة. اما لماذا ينال الرجل عناية اوفر من النساء، فذلك امر يستحق البحث. ولكن يبدو ان للجنس دوراً في ذلك".

مجلة "سلف"



هـبـط النسـر عـلـى ملبـورن
الجنوبية فبعث الحياة
في مدينة موحشة

الحلم الذي تحقق

براين كارتر، شاب في الثالثة والثلاثين، يشغل منصب مدير الحدائق العامة ومشروع المحافظة على الطبيعة في مدينة ملبورن الجنوبية في اوستراليا. وتبلغ مساحة المقاطعة التي وضعت في اشرافه ستة كيلومترات مربعة وهي مكتظة بالسكان اذ يبلغ عدد المقيمين فيها ٢٢ الفاً.

حاول براين عبثاً اقناع اهالي ملبورن بالمساهمة في مشروع غرس اشجار من الصنوبر تزين احياء

المدينة وتجملها. واذ ذهب يطوف الشوارع والحانات ملتمساً التأييد لمشروعه، قيل له هنا وهناك: "لا تتعب نفسك. لن تنجح في حملتك اذ لا احد هنا يبالي". وما ان بدأ براين يشعر ببعض الخيبة حتى تجاوبت السماء مع امنيته.

فبعد جولة عمل قام بها في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥، دخل عليه في مكتبه بستاني وسأله: "متى ستهتم بشأن ذلك النسر اللعين؟"

فرد براين مستفسراً :"اي نسر تعني؟"

فأشار البستاني باصبعه من النافذة الى "ساحة القديس فانسان"، وهي حديقة عامة تبلغ مساحتها قرابة عشرين الف متر مربع، وقال: "فوق الشجرة هناك يجثم النسر منذ اربعة ايام".

وعلى الفور نهض كارتر وانطلق بخطوات سريعة الى حيث اشار البستاني، فشاهد في اعلى شجرة صنوبر نسراً ملكياً ضخماً اسود يجثم متغطرساً كأنه يتحداه.

واذ حدق كارتر الى ذلك الطير الرائع ايقن انه ارسل اليه بشيراً من الاعالي. فهو رأى في النسر رمزاً للادغال، للاثير النقي، للحرية، للحياة في الهواء الطلق. وفكر في ان هذا الطائر قد يلهم سكان ملبورن الجنوبية فيكتشفون من جديد قيماً افتقدوها.

اتى ليبقى؟ — خطوة كارتر الاولى كانت سعيه الى التحقق من ان النسر قد اتى ليبقى. فالتمس لذلك مساعدة جورج دين الحارس الليلي الذي يسكن قبالة الساحة العامة. وقد بدأ هذا، منذ وصول النسر الى الساحة، يلقي اليه بقوائم الارانب الطازجة وقلوب الغنم. كما اطلق الماء من سبيل للشرب هناك لكي يستحم الطائر فيه.

كان لا بد للنسر من اسم فاعطاه كارتر اسم "سام". ولم يلقَ الطائر ترحيباً من الجميع فالنورس والغربان وطيور الذعرة اخذت تزعجه بمناقيرها. وطاردته القطط، وارتاب به بعض سكان المحلة فطالبوا برميه بالرصاص زاعمين انه يشكل خطرا على اطفالهم.

ولكن، على رغم كل ذلك، فان سام اتى ليبقى. فهو لم يكن يخشى احداً وقد دافع عن نفسه ببراثنه ومنقاره وجناحيه. لم تزعجه طيور النورس بمناقيرها لانه اقوى منها اذ يكفي ان يمد براثنه فيقضي على اكثرها سمنة ثم يجثم في اعلى شجرة او على سطح منزل وينعم بوجبة هادئة من الطعام الشهي.

ما الذي دفع هذا الطائر الضاري، سيد الفضاء، الى ان يختار حديقة عامة مسكناً له وهي التي تقع على بعد حوالي كيلومترين من وسط ملبورن التجاري وتبلغ مساحتها قرابة عشرين الف متر مربع وتحيط بها ثمانية آلاف مسكن وخمسون حانة؟

لم يستبعد موظف في قسم المحافظة على الاحياء البحرية والبرية ان تكون ساحة القديس فانسان شبيهة بالمكان الذي كان سام يقيم فيه اذ قد يكون النسر اليفاً.

ومهما يكن من امر منشأه فسرعان ما اصبح سام محور اهتمام المحلة. اذ حظي بصداقة دين وصحبه فاخذ

يمرح على المرجة الخضراء، ويقفز ليلتقط العيدان التي يرميها اليه المارة. وعندما يطير امام نوافذ المكاتب يتوقف الموظفون عن العمل وينظرون اليه مستغربين. اما الاطفال فقد توافدوا الى ساحة سان فانسان ليحدقوا معجبين الى هذا الطائر الذي اتى ليمكث في ما بينهم مجسداً في ذاته حياة البراري.

وما ان سلطت وسائل الاعلام اضواءها على سام حتى اقبلت العائلات من انحاء ملبورن ترصد تنقلاته في سماء الساحة او تشخص اليه وهو يجثم في اعلى صنوبرته المفضلة.

واهم ما في الامر ان سام اصبح، كما توقع كارتر، حافزا على تطوير برنامج تحسين البيئة في ملبورن. فقد نمت الحياة النباتية في الاقليم بسرعة فائقة بفضل المشاركة الشعبية الفعالة. وخلال العام الدراسي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ غرس كل طالب في ملبورن الجنوبية شجرة واحدة على الاقل. وفي غضون عامين فاقت الاشجار السكان عدداً.

وقبل مجيء سام كانت الحياة النباتية في الاقليم تقتصر على اصناف الاشجار النادرة المستوردة من اوروبا. واما تلك التي غرست بفضل قدومه فقد انتخبت من بين تلك التي تعيش في اوستراليا. وساعدت عملية التشجير هذه في احياء الحشرات التي تقتات منها الطيور المحلية كما استقطبت الطيور الضارية التي تفترس الطيور الصغيرة. فانضمت الى سام مثلا طيور السنونو والككتوة او الببغاء والقبرات الفضية والطيور الضارية مثل الصقور والعقبان. وهذه كلها كانت المنطقة افتقدتها منذ اجيال.

وامتلأت ساحة القديس فانسان بالطيور فاصبحت متنزها يقصده ما لا يقل عن الف شخص في عطلة آخر الاسبوع بعدما كان عدد الذين يقبلون اليها اسبوعياً لا يتجاوز العشرين او الثلاثين. والآن يقصدها الراشدون طلباً للراحة والاطفال سعياً الى اللعب بين الشجيرات التي غرست حديثاً. اما مراقبو الطيور فيقصدونها لتدوين اصناف الطيور المحلية التي اخذت تتكاثر فيها.

الى ذلك، فان وجود سام في الحديقة العامة دفع كارتر، ومعه المجلس البلدي، على احداث نشاطات من شأنها تعزيز الروابط بين المواطنين عن طريق الحفلات الموسيقية والنشاطات الرياضية. فكثيراً ما يأتي الناس الى هذه الحديقة لتناول المشاوي المجانية والاستماع الى عزف الفرقة الموسيقية او لحضور عروض بهلوانية او مباريات رياضية بين الاطفال، اذا لم يكونوا اتوا خصوصاً لرؤية سام.

وكانت البرامج تعد زوار الحديقة بتحليقات من سام يقوم بها عادة قرابة الثالثة بعد ظهر كل يوم، ويطير فوق الرؤوس ثم يستقر في اعلى الصنوبرة.

واعلن الخامس عشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) عيد ميلاد سام، الذي يصادف تاريخ قدومه الى ملبورن. وفي ذلك التاريخ من كل عام يقيم المعجبون بهذا الطائر احتفالا في ساحة القديس فانسان ابتداء من

الساعة السادسة صباحا فيرقصون ويهزجون ثم يقدمون اليه قطعاً من اللحم الطازج.

البحث عن شريكة - وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٦ تورط سام في مشكلة. فقد اخذ على عاتقه مهمة حماية الحديقة، فالتقط كلباً صغيراً من النوع المؤهل وطار به ثم القاه ارضاً والدم ينزف منه، فغضب صاحبه وتقدم بشكوى الى المجلس البلدي طالباً ابعاد سام عن الحديقة، خصوصاً ان معالجة الكلب كلفته قرابة ٤٠٠ دولار. ولكن الرسائل انهالت على اعضاء المجلس مدافعة عن سام. وكتب احد الاطفال سائلا: "كيف يمكن ان نقارن بين ٤٠٠ دولار تدفع لمعالجة كلب وقيمة نسر ملكي في حديقتنا؟" وقد وقف اعضاء المجلس البلدي بالاجماع مع النسر.

ومما قرب سام من قلوب المعجبين به بحثه تكراراً عن شريكة لحياته. ففي العام الثاني لقدومه الى ملبورن ظهرت آثار الوحدة على سام فطار مفتشاً عن شريكة. وباشر بناء عش عن طريق سد تشعب في شجرة باغصان وعيدان كبيرة يابسة. وذكر النسر يتولى عادة هذه المهمة. وما ان أكتمل العش حتى بدأ سام جولاته الاستطلاعية محلقاً الى علو نحو ثلاثة آلاف متر ثم هابطاً في عرض بهلواني رائع من شأنه لفت اناث جنسه، وذلك في دائرة يبلغ قطرها كيلومترات عدة. لكن "نداءات" سام المتكررة لم تلق تجاوباً.

وواصل سام جولاته الاستطلاعية اشهراً عدة. وامتدت هذه من خليج هبسون الى سلسلة جبال الداند ينونغ. وتوارى ذات مرة مدة اربعة ايام عاد بعدها وحيداً، جائعاً. ولكي ندرك مدى المسافة التي قطعها في تلك الفترة يجدر بنا ان نتذكر ان النسر يستطيع اجتياز ما يزيد على ثلاثمئة كيلومتر في اليوم الواحد.

واخيراً ارغم سام على الركون الى عدم وجود نسور اخرى في المناطق التي يقيم فيها، فكف عن العروض قابلا بعزلته ومستنكفاً عن الصعود الى طبقات الاثير العليا حيث تنفرد النسور في ارتقائها.

وتابع المجلس البلدي تطوير مشاريع تحسين البيئة التي كان قدوم سام الحافز الاساسي عليها فاعيد تخطيط الطرق في ملبورن الجنوبية فخفف ذلك من ازدحام السير، وغرس المزيد من الاشجار والشجيرات على جوانبها، كما اعيد تنسيق السوق القديمة في المدينة. وبدد وجود سام جو الوحدة الذي كان يخيم على المدينة فأخذ الناس يتوافدون الى الحدائق العامة فيتحادثون ويضحكون. وبات سام رمزاً للجمال والدفء والمرح في ملبورن. ولكن ما ان اشرف عيده الرابع حتى اختفى الطائر فجأة. وطال انتظاره، خصوصاً من جانب جورج دين الذي وجد تعزية في الانتظار، اذ هو توقع ان يكون سام وجد شريكة حياته وانهما يمضيان شهر العسل معا في جبال الداند ينونغ.

وصباح عيد ميلاد الطائر، اي في الخامس عشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، استيقظ براين كارتر باكراً وقصد الحديقة في الساعة السادسة كالمعتاد حاملا لحماً طازجاً

لنسره وفي نفسه قبس امل، بانه سيجد سام هناك٠ قال: "سرت في الحديقة قرابة نصف ساعة، لكن سام لم يأتِ فعدت الى البيت خائباً"٠

وفي الثانية عشرة ظهراً تلقى كارتر مكالمة هاتفية تفيد، بصوت متهدج، ان "سام قضى تحت عجلات سيارة"! واعاد كارتر سماعة الهاتف الى مكانها بارتخاء وهو يكاد لا يصدق الخبر٠ ولكن بعض دقائق اتصل به بوب روجرز، احد اعضاء الفريق المشرف على الاذاعة المحلية، وطلب منه الاشتراك في برنامج اذاعي يبث في اليوم التالي تكريما لسام٠ فلبى الدعوة ورثا الطائر شعراً، على نغم لحن "طير السماء"٠ وما ان بث البرنامج حتى تلقت الاذاعة قرابة ٦٠٠ مكالمة هاتفية من انحاء البلاد وكلها تعزي بسام٠ وقد اتصل بعضهم دامعاً، متلعثماً٠

وامر اعضاءُ المجلس البلدي بتحنيط جثة سام ووضعها في صندوق زجاجي صنعه طلاب مدرسة ملبورن المهنية٠ ولكن لا تخليد لذكرى سام افضل من تلك الحديقة العامة في ساحة القديس فانسان حيث مكث الطائر سيداً وقد غرست فيها قرابة ٤٠ الف شجرة تعشش فيها الطيور على انواعها وترفرف مزقزقة في شوارع المدينة وحدائقها، باعثة فيها الحياة٠

ولا شك في ان افضل ما يعبر عن الاثر الذي تركه سام في نفوس اولئك الذين اتاهم نزيلا هو ما قاله براين كارتر الرجل الذي استمد منه وحياً ليحقق حلمه في تطوير الحياة النباتية في الاقليم٠ قال كارتر بنشوة المنتصر: "بفضل سام حققنا ما لم يكن احد يصدق انه سيتحقق٠ اني متيقن ان سام قد اتى الى ملبورن برسالة٠ وهو اتى عندما اصبحنا مستعدين لتلقي رسالته٠ ولا اظنها كانت مصادفة٠ فهو جاءنا في الوقت المناسب٠ علمنا ان نعطي البيئة الطبيعية التي تحيط بنا ما تستحقه من اهتمام ورعاية٠ ان مجيئه برهن لنا اننا نستطيع احياء المدينة فنحصل على سكون الطبيعة وسلامها٠ نخرج اليها ونلقى الجار في كنفها ونتحدث اليه٠ وبفضل سام ادركنا هذا البعد الآخر في حياتنا، بعد الطبيعة الحرة وسط ضجيج المدينة٠

ولا شك في ان اهم ما في الامر هو ان سام مكث بيننا في كمال بهائه٠ واذا ما رأيت نسراً يحلق في الفضاء فانك تدرك اهمية ذلك٠ انه لا يرفرف باجنحته بل ينزلق حائماً في الاثير٠ النسر حر في حرية مهيبة"٠

وحاول كارتر ايجاد الكلمات المناسبة لوصف بهاء النسر المحلق، فاتت ملامح وجهه معبرة ببلاغة تفوق كل عبارة عما تركه سام في نفسه من اثر: الشعور بالخشوع والوفاء٠

■جون باورز

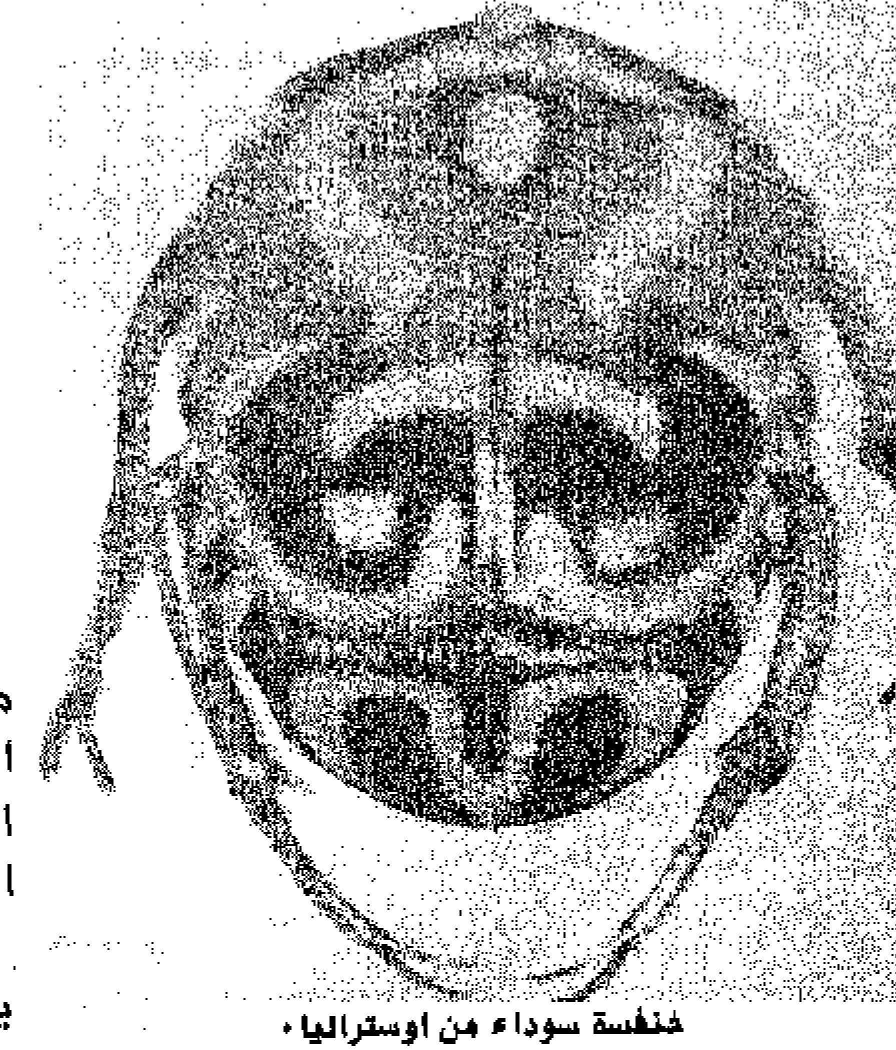
التعليم الميداني

أسدى استاذ في علم النبات النصيحة الآتية الى زميل مبتدىء: "عندما تأخذ طلابك الى الحقل، أحرص على السير أمامهم لكي تدوس كل نبتة لا تعرف اسمها"٠

الحسن يتجلى بأسمى معانيه
في جمال الطبيعة

دانتي

عالم الحشرات



خنفسة سوداء من اوستراليا، انها تشاهد خلال النهار تقضم الازهار.

علاقتنا بالطبيعة تظهر في موقفنا من الحشرات: "اف! آه! ها حشرة امامك. اهرسها!" ويبدو ان الدعسوقة والفراشة وحدهما من بين الحشرات تستثنيان من اشمئزازنا هذا.

من المعروف ان العداء والخوف ينتجان من الجهل. ولا شك في ان نفورنا من الحشرات لا يخرج على هذه

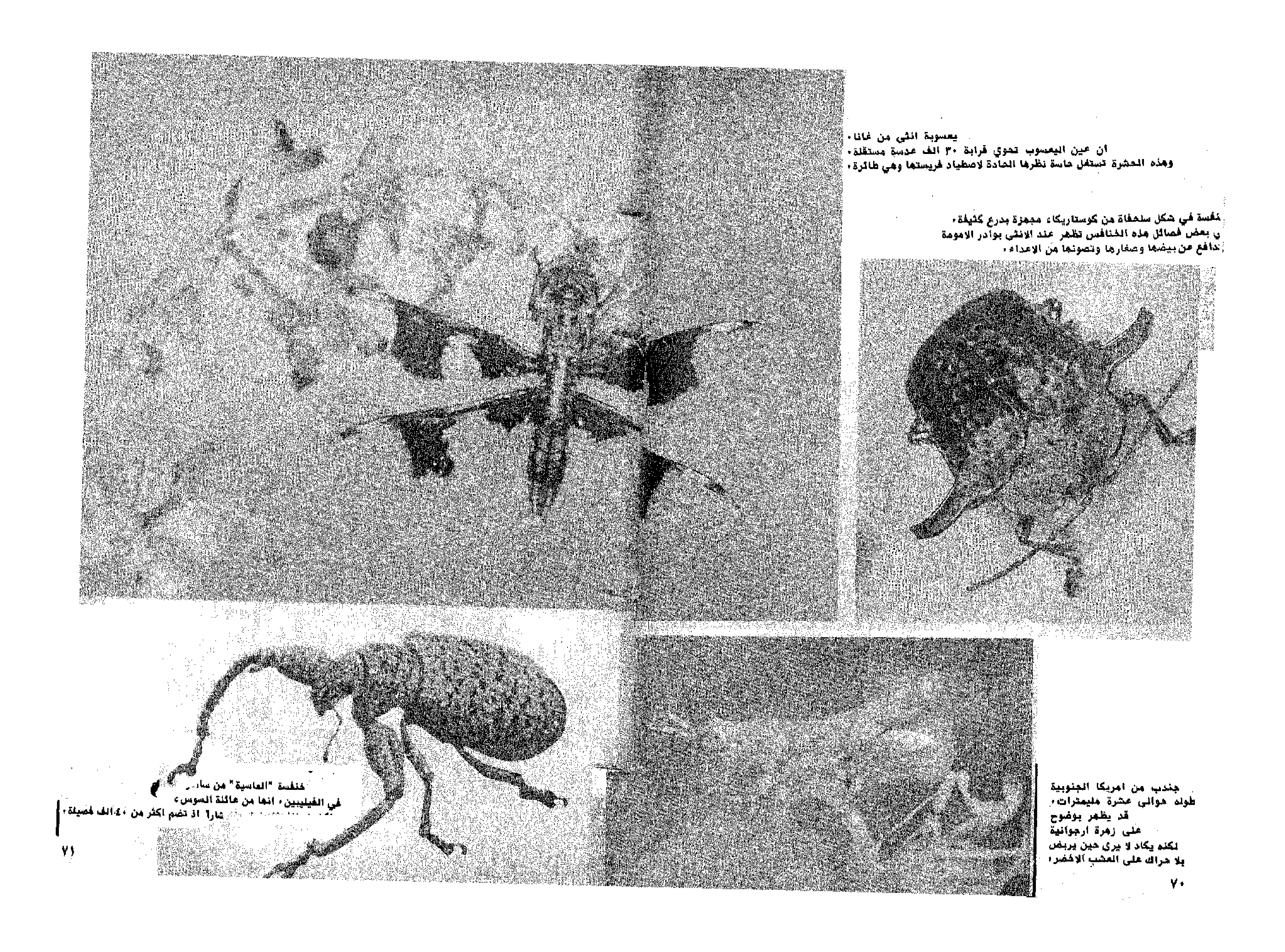
بقة تقطن امريكا الجنوبية، تناسقها مذهل كما يبدو تحت المجهر.

القاعدة، نحن لا ننفي ان الحشرات مزعجة، فلسعاتها مؤلمة وهي قد تنقل الامراض. ولكن اذا تأملنا في الامر بموضوعية لاعترفنا بان الحشرات جميلة - حتى الضارة منها.

الصور في هذه الصفحات تظهر جانباً من الاثارة التي تصادف عالم الحشرات يومياً.

ان علم الاحافير يفيدنا بان الحشرات تسكن الارض منذ نحو ٤٠٠ مليون سنة. ونحن نراها بكثرة في كل مكان اليوم، حتى ان المستكشفين عثروا عليها في طبقات الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي وعلى ذرى الجبال السامقة.

النحل والدبابير والنمال تعيش في



يعسوبة انثى من غانا ·
أن عين اليعسوب تحوي قرابة ٣٠ الف عدسة مستقلة ·
وهذه الحشرة تستغل حاسة نظرها الحادة لاصطياد فريستها وهي طائرة ·

ـنفسة في شكل سلحفاة من كوستاريكا ، مجهزة بدرع كثيفة ·
ي بعض فصائل هذه الخنافس تظهر عند الانثى بوادر الامومة
ـدافع عن بيضها وصغارها وتصونها من الاعداء ·


خنفسة "العاسية" من سا...
في الفيليبين ، انها من عائلة السوس ،
... شارا اذ تضم اكثر من ٤٠ الف فصيلة ·

جندب من امريكا الجنوبية
طوله حوالي عشرة مليمترات ،
قد يظهر بوضوح
على زهرة ارجوانية
لكنه يكاد لا يرى حين يربض
بلا حراك على العشب الاخضر ·

خنفسة رائعة تعيش في الصين وتلقب "الخنفساء المقرقعة" نسبة الى الصوت المسموع الذي تحدثه اذ تقوم وضعها بعد قلبها على ظهرها، قافزة الى علو ١٥ سنتيمتراً،

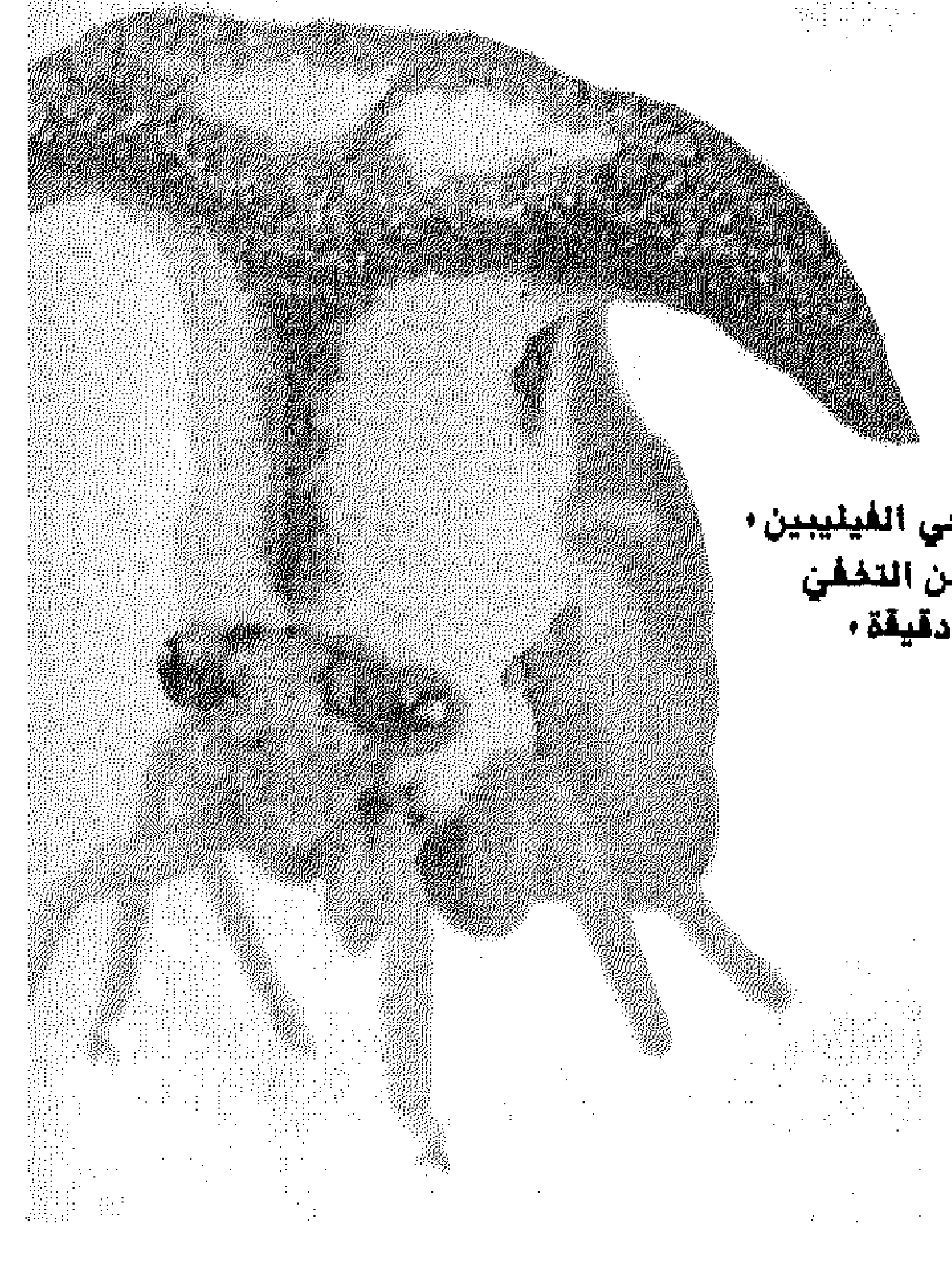
"هل من احد في الداخل؟"
هذا الجراد المزعج له رأس غريب مثلث،

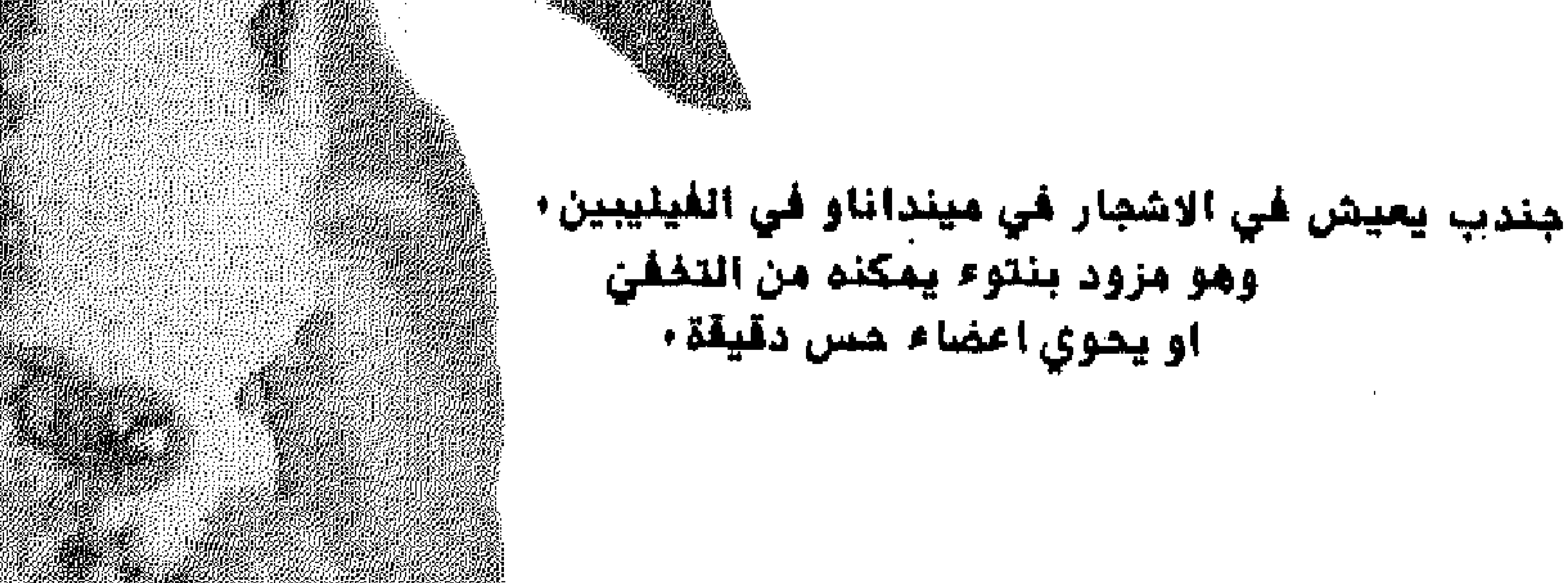
يسروع يتحول عثة سمجة، وهو من الحشرات التي تفتن الاطفال اذ تسحب قوائمها الخلفية الاربع نحو قوائمها الست الامامية ثم تمد هذه الى الامام فتنسل على الارض،





نفسة مدرعةمن جزر الباهاما ،
شرات ذات الوان زاهيةكهذه
حتاج الى حماية وافية ٠





جندب يعيش في الاشجار في ميناناو في الفيليبين ٠
وهو مزود بنتوء يمكنه من التخفي
او يحوي اعضاء حس دقيقة ٠

مجتمعات معقدة حيث يناط بكل عضو دور يؤديه، من جمع المؤن الى الدفاع والتناسل٠ وحياة النحلة العاملة، مثلا، تأتي في مراحل تمتاز كل منها بوظيفة معينة: في الاسابيع الثلاثة الاولى توكل الى العاملة الصغيرة مهمة العناية بشؤون الملكة والبيض٠ فتنظف القفير وتبرده اذ تخفق باجنحتها في المدخل وتهاجم الدخلاء٠ ولا يسمح لها بترك القفير لجمع الرحيق الا بعد ان تجتاز مرحلة التدرب هذه٠

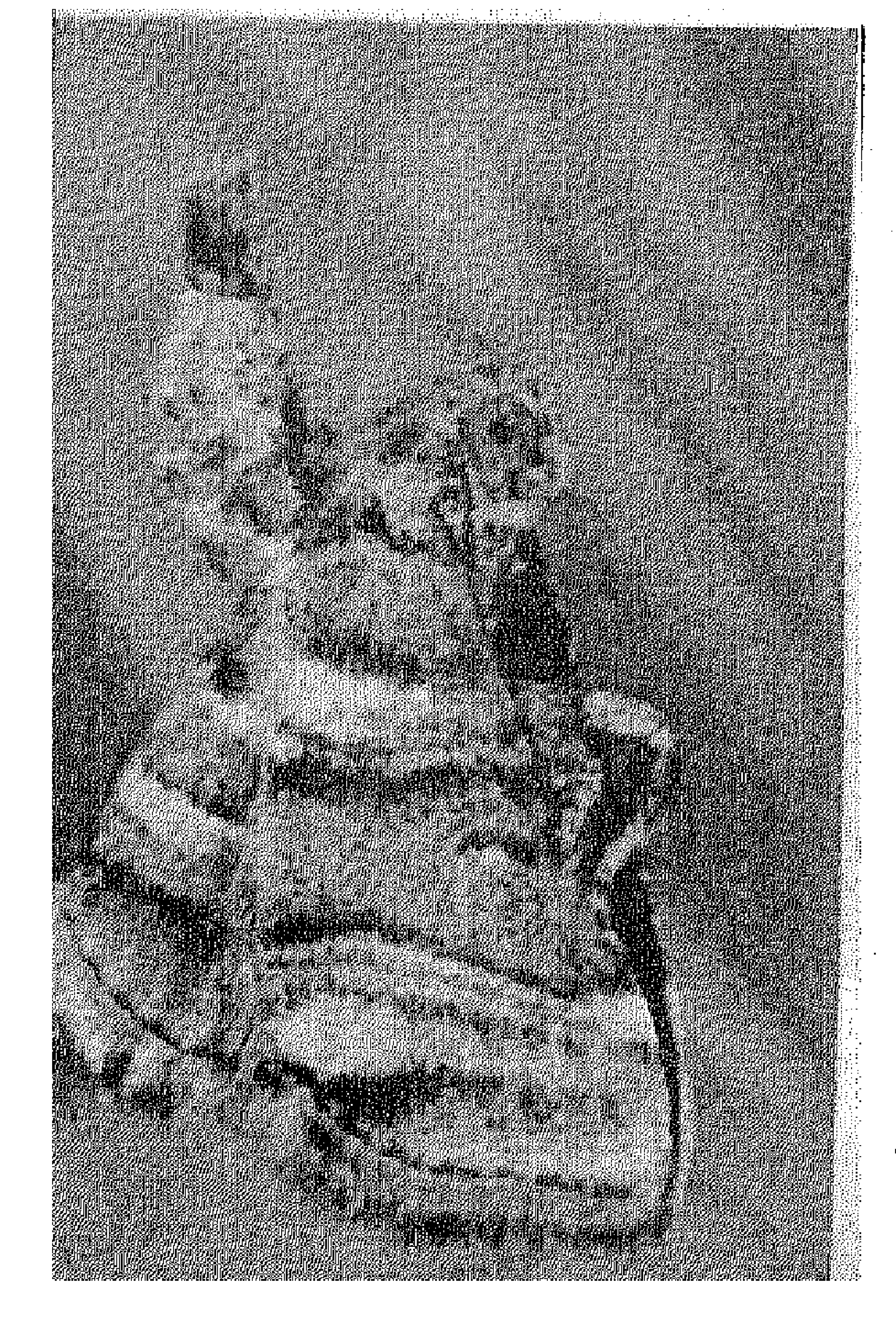
بعض اصناف النمل تستخدم فتات اوراق النبات كملاعق تحمل فيها المؤن الطرية الى اوكارها٠ وهكذا بدأنا ننعت الحشرات بالذكاء ونقيم مقارنات عدة بين مجتمعات الحشرات والمجتمع الانساني٠

ويؤسفني ان اجد الناس يحرمون انفسهم لذة التمعن في "اناقة" الحشرات٠ حتى العادية منها تبدو غاية في الحسن٠ لحظة نقضيها مع العدسة المكبرة تدخلنا عالماً جديداً متقن الجمال٠

■ الصور: كجيل ساندفد

النص: مايكل امسلي

عثة صغيرة من غينيا الجديدة٠ الجزء الاخير من جسمها مرتفع بحيث لا يبدو جسم حشرة، فتتخفى على جذوع الاشجار



فوشون: المتجر الأسطوري

متجر فرنسي يجمع أشهى ما في العالم من طعام وشراب: صلصة الخل من تكساس وعصارة جوز الهند من ماليزيا والبرتقال الذهبي من المغرب. ولا عجب اذا رأيتم في واجهته يوماً طبقاً من ألسنة العصافير!

عندما بلغ ألكسي كوسيغين (١) السن الستين، أرسل اليه الرفاق في السفارة السوفييتية في باريس سلة كبيرة تحتوي على ٤٠ زجاجة من الشراب المعتق منذ سنة ميلاده (١٩٠٤)، والكمية كلها جاءت من متجر واحد. اما غريس، أميرة موناكو، فكلما اشتهت طعم الحبوب الامريكية اتصلت بالمتجر عينه طالبة رقائق خبز الذرة (كورن فلايكس)؛ كذلك الملياردير اليوناني ستافروس نياركوس، مالك الاسطول التجاري الضخم، فانه من حين الى آخر يأمر بنقل ما يريد من هذا المتجر الى يخته على طائرة خاصة.

مصدر كل هذه السلع المميزة متجر في ساحة "المادلين" في باريس تظلله ستيرة خضراء عليها حروف بيضاء تؤلف اسم "فوشون" (٢).

في كل فصول السنة، خصوصاً في موسم عيد الميلاد، يحتشد الناس صفوفاً متراصة امام الواجهة حيث تعرض المأكولات الشهية، لينظروا مشدوهين ومعربين عن أعجابهم بتلمظ وزفرات. انه في الواقع من اجمل معارض المدينة.

في هذا المتجر الرائع يغطي حيز المبيعات ٤٧٠ متراً مربعاً، وهو مفروز ستة أقسام مختلفة ويجمع ١٦،٥٠٠ صنف من الاطعمة الشهية المستوردة من انحاء العالم لتلبية طلبات أشهر الشخصيات في المجتمع الدولي وكل من يهوى الطعام الفاخر.

ذلك لأن فوشون هو متجر الترف والشهية القروية التي تزخر بالعافية. يقول ادمون بوري الذي يدير المتجر منذ ثلاثة عقود: "ثلاثة أرباع زبائننا هم من الناس العاديين الذين يقصدوننا باحثين عن الاجود". ويهتم موظفو المحل بهؤلاء اهتمامهم بالاثرياء. ويلخص بوري سر نجاح تجارته قائلاً: "انا لا أبيع سلعاً بل جودة".


منذ ان ابتاع بوري وشريكه جوزف بيلوسوف المتجر عام ١٩٥٣ ظلت الجودة هي النهج المتبع في فوشون. فالمحل يحصل على الافضل ويكون في

في محل "فوشون" تعرض الخضر والفواكه بأناقة اللوحات الفنية.

---

(١) رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي السابق.

(٢) FAUCHON


IMPORTÉ
CEYLAN

ذلك الاول ثم يبيع البضاعة باللباقة والاناقة. حتى الثمار والخضر تعرض بالحذق الفني الذي تتصف به اللوحات الزيتية. هناك صناديق تفاح "كوكس أورانج ببين" المكتملة الشكل وأطباق من الامليد المجدولة تحمل أكوام الفريز البري (الفراولة) وسلال ملأى بالثمار الاستوائية وأجناس من الخس تفوق في تنوعها حد التصور. يقول بوري باعتزاز: "بعض انواع الثمار والخضر يحسب موعد نضجها بدقة تصل حتى نصف يوم". وعندما تشتري الاجاص (الكمثرى) او ثمر زهرة الآلام يسألك الموظف: "أتريد ان تأكلها الليلة أم غداً؟" ثم ينتقيها لك وفقا لطلبك.

الجدة الطيبة ـ منذ البداية كان محل فوشون رائداً في استيراد الجديد. كان المتجر الاول في فرنسا الذي يوفر لزبائنه ثمر الافوكادو والمانغو بانتظام. ففي منتصف الخمسينات كانت هذه الثمار نادرة، ولا يزال بوري يتذكر وصول أولى ثمار الافوكادو عام ١٩٥٥: "أُرسلت بالقطار من كاليفورنيا الى نيويورك، وهناك وضعت في مخزن المؤونة على متن الباخرة الفخمة "ايل دوفرانس" المتوجهة الى الهافر، ومن هناك نقلت بالقطار الى باريس".

لم يلبث بوري ان أقنع شركة الخطوط الجوية الفرنسية بأن تجارة المستقبل ستعتمد شحن المحاصيل الزراعية جواً. وكلما عادت الى باريس طائرة من منطقة نائية وغريبة المناخ، كانت لبوري شحنة من طلباته محشورة في عنبرها. وبعد مدة وجيزة دهش الباريسيون حين وجدوا في مدينتهم في شهر ديسمبر (كانون الاول) الفريز الشتوي الوارد من اليابان والكرز الآتي من تشيلي والاناناس المستورد من هاواي.

للحصول على ثمار المانغو طوال



مارة "يتلذذون" برؤية الاطباق في واجهة "فوشون".

السنة يلاحق بوري دورة الشمس من الهند الى مالي فمصر فالبرازيل فمدغشقر فالكونغو فكينيا فشاطىء العاج وفقاً لتبدل الفصول والمواسم. ان فوشون هو اليوم المستورد الوحيد لثمار المانغو من نوع "آلفونسو" المميز الذي ينمو في الهند.

اما الرجل المكلف شراء الثمار والخضر فهو اندريه جورجيه.

معظم الباريسيين يكونون يغطون في نومهم عندما ينهض جورجيه ليقود سيارته الى رونجي، وهي سوق البيع بالجملة للخضر والفاكهة واللحوم خارج باريس. يقول جورجيه: "الفطر تشتريه بعد اختباره باللمس، فالبوليطس (٣) مثلا يجب ان يكون صلباً جداً. بعد ذلك تأتي ثمرة زهرة الآلام، وهذه احكم عليها من مظهرها. انها كالجدة، تطيب كلما تجعد جلدها".

اذا لم يجد جورجيه ما يبتغيه في رونجي، فانه يعقد ترتيبات خاصة مع مزارع "البيوت الزجاجية" في فرنسا وبلجيكا. ثم ان طائرات الخطوط الجوية الفرنسية العاملة بين لوس انجلس وباريس تأتي مرة او اثنتين كل شهر محملة بالرمان والبطاطا الحلوة وسواهما من المحاصيل التي ينتقيها عملاء فوشون في الولايات المتحدة.

في مجال الطواف حول الارض، لا يتفوق اي من أقسام فوشون على قسم البقالة. فمن بين ٤٥٠٠ صنف مستورد من ٥٠ بلداً، تجد صلصة الخل من تكساس ودقيق المانيهوت (الكاسافا) من البرازيل وعصارة جوز الهند من ماليزيا. من ايران يأتيه الفستق، ومن المغرب البرتقال الذهبي، ومن مصر المربيات (خصوصاً مربى التين) والفول المدمس وعصير الفواكه والمانغو والملوخية والباميا.

ويقول جاك روش مدير محل فوشون: "انه مكتبة غذائية جامعة يعرض فيها أطيب ما في بلدان العالم". وهذا القول ينطبق على فرنسا نفسها حيث المأكولات الاقليمية المميزة تقع في نطاق بحث فوشون الدائب عن كل ما هو رائع وممتاز.

رغبات خفية – عندما يستقر رأي المسؤولين في فوشون على نوع جديد من النتاج اومورد جديد للبضاعة، فانهم لا يتركون مجالا للمصادفة. كل واحد من الـ١٦٥٠٠ صنف المتوافرة في المتجر يختبرها المسؤولون ورئيس الباعة في القسم المختص. ثم ان فاحصاً متذوقاً من المدرسة الفندقية في باريس، وهي احد أبرز المعاهد الفندقية في فرنسا، يقدم تقريراً خاصاً عن البضاعة.

وبعد ان تختار مؤسسة فوشون مورداً يستمر البحث عن النوعية. فالطاهي الاقليمي الذي يصنع فطائر اللحم الجاهزة للتسخين (وهي فطائر تقليدية فرنسية تصنع من اللحم والخضر) عليه ان يحضر الى مطابخ التجارب في باريس حيث يقرر هو والهيئة المختصة في فوشون التطييب النهائي. وحجم قطع اللحم وطريقة تحضير الخضر. بعد ذلك يعود الطاهي الى مطبخه ليكدس مصنوعاته من الفطائر في أوعية زجاجية تزدهي بها رفوف فوشون.

---

(٣) فطر لذيذ ينمو في ظلال السنديان.

Photos: S. Weiss/Rapho

وهذا لا يعني ان المحل يتقاعس عن طهو طعامه الخاص فطهاته يعدون من المأكولات الفاخرة نحو ١٥٠ صنفاً ترضي أشد الاذواق تعنتاً.

هل تحتاج الى مساعدة في انتقاء ما ترغب فيه؟ تلك مسؤولية مدير قسم الذواقة كريستيان هيو. قد تبدأ طلباتك بقطعة من لحم الضأن او الديك الرومي تليها فطيرة حلوى (تارت) لذيذة تختارها من بين اثني عشر صنفاً.

انت تحب السمك؟ هناك سمك موسى والقاروس والترس والسلمون والترويت، كذلك الكركند (جراد البحر) ولك ان تحصل على هذه مسلوقة او مشوية او محشوة او مدخنة او مطهوة في صلصة البندورة (الطماطم). اما اذا كنت تنتظر ضيوفاً فقد تختار فطائر اللحم بالعجين او زوجاً من طائر السلوى (السماني) المحشو. ويسألك هيو ووجهه يشرق حبوراً: "أهذا كل شيء؟"

الجانب الخفي لهذا الانتاج الغذائي الرائع هو المطبخ الناشط في الطبقة السادسة من المبنى. مديره رئيس الطهاة المرح لوسيان ادريان. وحول موقد ذي ٢٢ مشعلا يتحلق ١٩ طاهياً ومساعداً يعملون تحت امرة ادريان. بعضهم يعنى بقدور نحاسية ضخمة والبعض الآخر يعمل وراء منصات من الالمنيوم. وفي ركن بعيد عن الازدحام ينزوي المزخرف الرئيسي العامل مع ادريان واسمه جان بيار ليغلان، حيث يعمل بصبر وجلد في لصق شرائح من القرع بسماكة الورق تكون "حراشف" لسمك السلمون المسلوخ والمسلوق. وبعد ساعتين توضع اللمسات الاخيرة وتنزل الاسماك الى واجهة العرض حيث يحملق اليها الزبائن معجبين ويشترونها بسعر ٢٥ فرنكاً (٤،٥ دولارات) لكل مئة غرام.

شهرة فوشون الواسعة تجعل من العسير على المرء أن يصدق ان هذا المتجر كان على شفا الكارثة قبل ٢٨ سنة. في العام ١٨٨٦ أسس أوغست فوشون المحل وصادف نجاحاً باهراً للحال. غير ان السنوات العجاف خلال الحرب العالمية الثانية وعجز مؤسسه عن التكيف مع تبدل الازمنة جعلت حال المحل تتدهور.

وفي العام ١٩٥٣ باعت العائلة المتجر للسيدين بيلوسوف وبوري، ومن ثم بدأ عهد جديد. اختفت من المتجر واجهة القصابة ومنصة بيع الالبان والاجبان كذلك اختفت مساحيق التنظيف وعصي المماسح. ويتذكر بوري ذلك :"كان علينا ان نتحرر من فكرة المتجر القائم في زاوية شارع. وكان على فوشون ان يبيع شيئاً يجعل الناس يقصدونه من اطراف المدينة،بل ومن الريف ايضاً".

انطلق بوري في محاولة تأسيس متجر فريد في نوعه. وفي هذا يقول: "جبت كل الانحاء واحضرت اي شيء يمكن ان يلفت الناس: دلاء الثلج ومطاحن الفلفل وأوعية التوابل وسواها كثير". وسرعان ما اخذ الزبائن يتوافدون وان لمجرد مشاهدة ذلك العرض. في الوقت نفسه تحول بوري الى الاصناف الغريبة الجذابة والى الثمار والخضر "التي تلبي الرغبات الخفية في نفوس الناس".

وفي بداية الستينات انطلق فوشون. جودة وتفان - حدث واحد فقط دهم "فوشون" على حين غرة وكاد ان يؤدي الى مأساة. عند الساعة الخامسة صباحاً من ١٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ اقدمت مجموعة ارهابية على نسف المحل، فدمر انفجاران الطبقة الارضية وأشعلا النار في ناحية من المبنى كما حطما نوافذ المنازل في دائرة واسعة حوله وأحالا المتجر خراباً. ولم يوقع التفجير خسائر في الارواح، لكن حدوثه قبل عيد الميلاد بستة ايام كان ضربة ساحقة.

لم يرهب هذا الحدث بوري او مستخدميه، فأكبوا على العمل بجهد مضاعف. وقال بوري حاثاً عماله: "لن تفوتكم اكراميات العيد وستدفع اجوركم بكاملها. هيا الآن، لنعد الى العمل".

ومن حسن الطالع ان الطلبات الواردة بالبريد نجت من الحريق. فراح الموظفون يعملون في مكاتب بلا نوافذ وارسلوا ٧٢،٠٠٠ طرد وزعت في انحاء اوروبا والولايات المتحدة واليابان. وهكذا تمت تلبية كل الطلبات . وقد اظهر حادث التفجير ان مخزونات فوشون المتنوعة والوافرة ما كانت لتجدي لولا تفاني موظفيه. ويقول روش: "العثور على العمال الاكفياء أصعب كثيراً من الوقوع على البضاعة الجيدة". ولذا لا توفر مؤسسة فوشون جهداً من اجل الاحتفاظ بعمالها . والترقية ضمن سلم الرتب سياسة ثابتة. فمدير التصدير جاك مليون بدأ العمل عام ١٩٦١ كبائع خضر بينما مدير شؤون المستخدمين مارسيل ديفورك بدأ عام ١٩٥٤ كسائق شاحنة لتسليم الطلبات.

أصبح فوشون اليوم مؤسسة عالمية توزع منتجاتها عن طريق ٨٠٠ متجر مستقل في فرنسا تم اختيارها بعناية ونحو ١٠٠ مخزن فخم في اكثر من ٢٥ بلداً. فبفضل فوشون يباع الكركند والخبز الفرنسي وشاي التفاح في اليابان التي باتت السوق الكبرى لمنتجات فوشون. وخلال موسم الاعياد في ربيع ١٩٨١ كان متجر "تاكاشيمايا" في طوكيو يبيع كل يوم ٢٠،٠٠٠ علبة من شاي التفاح، وهو مزيج اختصت به مؤسسة فوشون. وحيثما يرفع شعار فوشون تتكرر القصة عينها: في متجر "فايزر" في هلسنكي (فنلندا) و"ايستان" في سنغافورة و"مايسي" في نيويورك. تضاف الى هذه المجموعة على الدوام اسماء متاجر وبلدان جديدة.

في العام ١٩٨٠ توفي بيلوسوف وورثت ابنته جوزيت النصف الذي كان يملكه في المحل. اما بوري (٦٩ سنة) فبدأ يلمح الى احتمال تقاعده، ولكن لم تبدُ عليه دلائل اي تهاون في البحث عن الاصناف الجديدة المثيرة.

حتى الاطعمة المجلدة سيقدمها محل فوشون لزبائنه. غير ان بوري وفريقه، في تطويرهم لهذه الاطعمة، يلتزمون المبادىء التي عادت عليهم بالخير العميم في الماضي: الجودة والتجديد وسبق الآخرين. هذا يعني ان الذين يطلبون الافضل من الاطعمة المجلدة سيجدون انفسهم متوجهين الى ذلك المتجر الاسطوري ذي الستيرة الخضراء.

■ ساموئيل بركينز

روّاد الغـوص في اعـماق البحـار

اعمال الحفر النفطية
تحت الماء،
من الشرق الاوسط
الى بحر الشمال،
خلقت جيلا من الرواد
في الغوص تحت الماء.
وفي عملهم لتلبية حاجات العالم
النهم للطاقة،
باتت حياة هؤلاء الغواصين
نضالا مستمراً
في ظروف تتجاوز احياناً
حدود المعرفة الانسانية

"قف! قف! قف!" تردد هذا الصراخ المرعب على متن سفينة دعم الغوص "سلتك سرفايور" منطلقاً من قاع البحر على عمق ٣٧ متراً. كان واضحاً ان الغواص بيتر والش يواجه خطراً عند خط الانابيب تحت عباب بحر الشمال البارد. وللحال قفز الغواص الرديف بيتر كارسون الى الماء ليتحرى الأمر. ومرت الدقائق ثقيلة من دون أن يسمع له صوت، فقفز الغواص الرديف الثاني ستيف ونستون الى البحر ايضاً. ولما وصل الى فوهة خط الانابيب عثر على بيتر والش منزوع القناع وشعره هائم في المياه.

تقدم ونستون لمساعدة زميله، واذا بقناعه ينزع بعنف عن رأسه وتجذبه قوة خفية الى الظلمة الحالكة في جوف الانبوب الفولاذي الذي يبلغ قطره ٩١ سنتيمتراً. وهنا قام صراع بين البراعة والهلع. ولحسن الحظ ان ونستون ظل قادراً على التنفس من خلال الانبوب المتصل بقوارير الهواء المشدودة الى ظهره.

وتلاشت القوة الجاذبة المرعبة تدريجاً وأدرك الغواص ان عليه ان يدور حول نفسه. لكن القوارير علقت داخل النفق الفولاذي الضيق. فجاهد ونستون للتغلب على الذعر الذي تملكه وتملص من أربطة القوارير، ثم أخذ يزحف داخل الانبوب وهو يعض انبوب التنفس ويجر القوارير وراءه. وقطع هكذا مسافة ٦٠ متراً نحو فوهة الانبوب. فجأة استحال الظلام الدامس في عينيه رمادياً، فأدرك انه قد نجا.

بعد انتشال جثتي والش وكارسون قدّر المهندسون ان فقاعة هواء ضخمة تجمعت داخل الانبوب وعندما نفّسها تحول المد البحري، جذب الفراغ الغوّاصين كأنهما عودا كبريت في بالوعة ماء.

كان ونستون شاباً في الخامسة والعشرين من عمره، ناحل الجسم مفتول العضلات. وهو امضى تسع سنوات كغواص في خدمة الاسطول البريطاني في بحر الشمال، واكتسب بالمعاناة خليطاً غريباً من المعرفة بتحولات المد والجزر والاسعافات الاولية ووظائف الجسد والمتفجرات ولحم المعادن وتركيب الانابيب والهندسة الميكانيكية. وهي معلومات يستعين بها الغواص في اية لحظة داهمة. وهو، فوق كل شيء، تعلم انّ الاحتفاظ برباطة الجأش قد يكون الفاصل بين الحياة والموت.

انه مثال عن ٢،٥٠٠ غواص يعملون في بحر الشمال لعلهم أشد الرجال بأساً على الارض. انهم يعملون في

الاعماق الباردة وسط تيارات مائية وعواصف لم يختبرها انسان من قبل. انهم رواد في أحد احدث مجالات العمل في هذاالعالم. ولما كان احتياط النفط والغاز في بحر الشمال هو المنقذ الوحيد لدول المنطقة من الافلاس، فان هؤلاء الرجال يلعبون اليوم دوراً حاسماً في السباق الشاق للحصول على الذهب الاسود. ان هذاالنفط وفر لميزان المدفوعات البريطاني عام١٩٧٩ نحو ٨،٢٥مليارات جنيه استرليني (١٧ مليار دولار).

رائد الماء - الغواصون البارعون يتقاضى كل منهم ٢٥،٠٠٠ جنيه استرليني (٤٨ الف دولار) في السنة. ولا ريب في انهم يستحقون كل قرش يقبضونه من هذا العمل المضني. فحياة الغواص العملية قصيرة، اذ عندما يبلغ الاربعين يسعى عادة الى الحصول على عمل على الشاطىء او على وظيفة استشارية. ثم ان الغواص الذي ينحدر الى عمق ٣٠٠ متر ويتنفس مزيجاً من الاوكسيجين والهيليوم تتوقف حياته على هامش دقيق من السلامة. ومع ان بريطانيا وضعت أنظمة قاسية للغوص، فان ٤٥ غواصاً لقوا مصرعهم في مياه بحر الشمال منذ العام ١٩٧١. وهذا المعدل يفوق بعشرة اضعاف ما يتعرض له عمال مناجم الفحم في بريطانيا.

قبل ان يبدأ برج الحفر العمل، على الغواصين ان يتأكدوا من خلو قاع البحر من العوائق. وهم يتولون تركيز أجهزة الحفر في مواقعها ووصل الانابيب من الآبار الى منصات الانتاج والمساعدة في مد الانابيب التي تنقل النفط الى الشاطىء.

من اجل مساعدتهم في مهماتهم المتطورة هذه تطفو على مياه بحر الشمال ٢٠ سفينة دعم حديثة تبلغ كلفة كل منها عشرة ملايين جنيه استرليني (١٩،٥ مليون دولار). وهي مصممة خصيصاً لانزال رجلين الى قاع البحر في "اجراس" غطس مضغوطة يصل وزن الواحد منها الى عشرة اطنان. يبقى احد الرجلين داخل "الجرس" ليراقب غاز التنفس (الاوكسيهيليوم) فيما يجوب رفيقه القاع موصولا بأنبوب كالحبل السري طوله ثلاثون متراً ويمد الغواص بغاز التنفس وبالماء الساخن الذي يقيه التجلد في لباس الغوص الذي يرتديه.

لم يعد غواص هذه الايام مثقلا بالخوذة النحاسية والاحذية المحشوة بالرصاص التي كانت تعوق حركات سابقيه. فهو بات مجهزاً بزعانف تمكنه من التحرك بحرية في الاعماق. كما ان جسده قادر على احتمال الضغوط التي، عند عمق مئة متر، تفوق الضغط الجوي على سطح الارض بـ١١ ضعفاً. ومع ان حزاماً من الاثقال الرصاصية يحد من ظاهرة العوم الطبيعية عنده، فانه يشعر بانعدام الوزن الذي يختبره رائد الفضاء. وعندما يعمد الغواص الى فك قطعة ما او تركيبها، فعليه ان يلف ساقيه حول أنبوب ثابت ليسلم من الانجراف في الظلمة الكثيفة.

على متن سفينة الدعم يصغي مراقب الغوص الى تنفس الغواص الذي يبلغه كهسيس جهاز اللاسلكي عند الاستنشاق تليه بقبقة عند الزفير حين يطرد الهواء في المياه.

يقول برايـن بـاول: "علـى رغـم معرفتك أنك تـخضع لمراقبة دقيقة، فان قاع البحر يبدو لك اكثر بقاع الارض وحشة. ومهما تكرر الغوص، فانك لا تألفه أبداً وتبقى دائماً متوتر الاعصـاب تتـوقع ذلـك الانقـبـاض الصدري الذي يعني خللا في امداد غاز التنفس، ولن تنسى قط ان ثواني معدودة تفصل بين غوصة آمنة خالية من المتاعـب وأخـرى هـي كابـوس مرعب تحت الماء".

في هذه الظروف القاسية تعلم الغواصون ان يتوقعوا القيام بأعمال بطولـية خـارقة فـي نجدة بعضهـم بعضاً.

"اسحبوه" ــ في الساعات الاولى من صباح يوم عاصف في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، كانت سفينة الدعم "ستـار كانـوبـوس" علـى بعد ٣٢٠ كيلومتراً الى الشمال الشرقي من آبردين (اسكوتلندا) ترفع غواصين الى سطح البحر في جرس غطس. واذا بهبة ريح عاتية تدفع السفينة بعيداً. وكانت الصدمة قوية بحيث تقطعت الكابـلات الـرافعة والكابـل السري الرئيسي على سلاسل مرساة سفينة اخرى في الجوار. وسقط جرس الغطس واصطدم بقاع البحر على عمق ٨٥ مـتـراً. ولـدى انعدام الضـوء وانـقطاع الاتصـال والـمـاء الحـار لتسخين بـذلات الغوص، لـم يـبـقَ للرجلـين مـن اسبـاب الحيـاة فـي محبسهما سوى كمية من غاز التنفس خصصت للحالات الطارئة وتكفي مدة ١٤ ساعة.

خلال دقائق التقطت السفن الاخرى نداء الاستغاثة من "ستار كانوبوس" وهـرعـت الـى الـنجدة. وبعد أربع ساعات تمكنت غواصة صغيرة من تحديد مكان سقوط الجرس. عندئذ تقدمت سفينة دعم اسمها "تندر كارير" الى الموقع المحدد وانزلت جرس غطس خاصاً مليئاً بالمعدات الضـرورية لمهـمة الانـقـاذ. داخـل هذاالجرس كان دوغالد ماثيسون (٢١ سنة) وزميله فيليب بايلي يترقبان بقلق. فالغواصون لا ينزلون الى الماء في مثل هذه الظروف، لكن الموقف غير عادي، وهناك رجلان مهددان بالموت في عمق البحر.

توقف جرس المنقذين عند نقطة تعلو قاع البحر بـ١٨ متراً، الى ان أصبح ضغط الهواء داخله مساوياً لضغط البحر في ذلك العمق. عندئذ انفتح باب في قعر الجرس انسل منه ماثيسون خارجاً. وللحال أرسل بايلي اشارة الى سفينة الدعم بأن "الغواص يغادر الجرس". ورأى ماثيسون حوله عالماً كثيـف الظلـمة تـتخلله دائـرة قطرها ٢٥ متراً من ضوء خافت كأنه نور الشفق ترسله مصابيح الجرس الكشافة.

فـي الاعـمـاق بـدا الجرس العاثرجاثماً. وتلمس ماثيسون طريقه اليه وحدق الى الداخل، فلم يرَ سوى ذراع لا حياة فيها ممتدة عبر كوة وطرق جدار الجرس فلم يلقَ رداً. ولما كان تنشـق الاوكسيهـيلـيـوم يعجل فقدان الجسم حرارته، فقد ادرك الغواص ان الرجلين المحتجزين كانا خدرين وذاهلين بسبب البرد. وللحال امسك بطرف حبـل الانـقـاذ وشـرع يربطه بقمة الجرس. وبعد ٤٥ دقيقة من الجهد امكنه ان يبلغ سفينة

الدعم: "اسحبوه بالرافعة الكبرى".

فوق سطح الماء كانت تهب عاصفة هوجاء بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة، والسفينة "تندر كاريز" تعلو وتهبط فوق امواج بلغ ارتفاعها ستة امتار. لذلك فما أن توتر كابل الرافعة حتى اخذ الجرس العاثر يعلو ويهبط ويضرب الارض مرة بعد اخرى كأنه مطرقة ضخمة. وفجأة قذف جسد احد الغواصين من الجرس، واصطدم بقاع البحر اولا ثم طفا الى سطح الماء. وغالب ماثيسون الهلع الذي تملكه وواصل تعليماته لرفع الجرس المعطوب حتى ارتفاع عشرة امتار فوق القاع. وعندما اخذ العياء منه كل مأخذ، سبح عائداً الى جرسه.

وحان دور بايلي للهبوط. فنزل وتسلل بمشقة الى الداخل من خلال الحبال والانابيب المتشابكة. فوجد الغواص الآخر في الرمق الاخير. وشعر بايلي فجأة انه هو ايضاً في وضع خطر، فحين تسلل الى داخل الجرس أعطب صمام الماء الساخن في بذلته وبدأ يفقد حرارته. وهبطت الحرارة في بذلته بسرعة الى ٤٫٥ درجات مئوية وهي برودة تقتل المرء خلال أقل من ساعة. ومع ذلك فانه واصل وزميله العمل بالتناوب حتى تمكنا من سد ثقوب الجرس المعطوب باحكام يكفي لرفع الغواص فيه الى سطح البحر. وعندما بلغا متن السفينة علما ان الغواصين فارقا الحياة.

اقسى التحديات - هناك مبالغ خيالية مرهونة بالاستكشافات البحرية. لذا فان الغواصين غالباً ما يجدون أنفسهم في مواقف مثيرة. ففي خريف ١٩٧٨ خططت شركة "شل" اكمال خط أنابيب طوله ١٥٣ كيلومتراً بكلفة ٩٣٠٫٠٠٠ جنيه استرليني (١٫٨ مليون دولار) لكل كيلومتر، لتصبح أول شركة توصل النفط الى البر في "سالوم فو" وتستخدم المصب الجديد للنفط في شاتلاند (اسكوتلندا) الذي بلغت تكاليف بنائه ٩٥٧ مليون جنيه استرليني (١٫٨٧ مليار دولار).

قبيل مباشرة الضخ أظهرت فحوص الهواء المضغوط ان هناك صدعاً في خط الانابيب على بعد حوالي ٧٥ كيلومتراً في عرض البحر. لم تكن المشكلة مجرد خسارة ملايين من براميل المال، بل ان شتاء بحر الشمال الداهم قد يؤخر تدفق النفط اشهراً عدة.

استدعت شركة "شل" فريقاً من ١٥ رجلا من شركة "كومكس" للغوص.

عمل الغواصون هبوطاً وصعوداً في جرس غطس على عمق ١٢٨ متراً. فاستخدموا متفجرات مائية لكشف خط الانابيب البالغ قطره ٩١ سنتيمتراً. ثم استعانوا بهياكل رفع لنزع الانبوب من مرقده، وكسروا غلافه المصنوع من الاسمنت بسماكة سبعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر. وعلى الوهج البرتقالي لمشاعل الاوكسيجين، خرقوا أنبوب الفولاذ وسماكته ٢٫٥٤ سنتيمتر حتى تمكنوا من اخراج الوصلة المعطوبة وطولها ٣٧ متراً. ثم عمل غواصون اختصاصيون، في مشغل مفرّغ من الماء تحت البحر، في لحم وصلة بديلة وزنها ١٨ طناً.

استمر العمل ليل نهار الى ان أطلق بحر الشمال أحد أعاصيره العاتية التي تدوم اسبوعاً في العادة وتهب فيها

ريح هوجاء بسرعة ٩٧ كيلومتراً في الساعة. وخلال احدى فترات الهدوء سارع الغواصون الى العمل على تغليف نقاط اللحم بالقار الواقي، ثم أنزلوا الأنبوب الى مرقده من جديد. استغرقت هذه العملية أربعة اسابيع وتمكنت "شل"، بفضلها، من ايصال نفطها الى "سالوم فو" قبل منافسيها بسبعة أيام.

أقسى تحديات بحر الشمال للانسان هو "الغوص الطويل الأمد". فكلما اوغل الغواص في العمق، اضطر الى قضاء وقت أطول في عملية خفض الضغط داخل غرف فولاذية خاصة، وذلك لتفادي المشكلات الناشئة عن تمدد فقاقيع الغاز في مجاري الدم وأنسجة الجسم(١) فبعد الغوص الى عمق ١٥٠ متراً لمدة خمس ساعات، على الغواص ان يقضي خمسة ايام في غرفة خفض الضغط فيألف جسمه الضغط الجوي العادي. ومن اجل توفير هذا الوقت، تعتمد شركات الغطس في بحر الشمال أسلوباً يوجب ابقاء الغواص شهراً كاملا في جو مضغوط مواز لضغط قاع البحر.

ووصف ذلك غواص يدعى رون التقيته في احد مقاصف آبردين: "الغوص الطويل الأمد هو عيش قاس وغير طبيعي". وكان عليه في اليوم التالي للقائنا ان يخرج الى عرض البحر ليبدأ دورة من الغوص الطويل تستمر ٢٨ يوماً.

قال رون: "عندما ينتهي عملنا في قاع البحر نتجمع، كل أربعة معاً، داخل غرفة فولاذية لخفض الضغط طولها ثمانية امتار وارتفاعها متران. في هذه الغرفة الضيقة نأكل وننام ونغتسل ونحيا. تنشق غاز الأوكسيهيليوم يجعل رنة صوتك كصوت "دونالد داك" في الرسوم المتحركة. ولا يمكننا الاتصال بالعالم الخارجي الا عبر جهاز الكتروني. في ذلك الجو المشبع بالرطوبة، كجو الغابات الاستوائية، تنتقل الجراثيم الى الآخرين بسرعة. الجروح لا تلتئم الا بعد وقت طويل واي عرض جلدي سرعان ما يحكه المرء فيتفتح قروحاً".

الطب البحري – على رغم قسوته على الناس والمعدات، حقق بحر الشمال مكاسب مهمة في مجال المعرفة الطبية، وغدت آبردين بالتالي مركزاً رئيسياً لطب الغوص. ومن أجل دراسة المشاكل الفيزيولوجية(٢) أنشأت جامعة آبردين معهداً للطب البيئي وأمراض البحر. في أيةحال طارئة يمكن شركة "العون الطبي في عرض البحر"، وهي شركة خاصة تابعة للمعهد، ان تستدعي اطباء لتقديم الاسعافات في أي من انحاء بحر الشمال.

وذات يوم واجه طب الغوص احد أرهب التحديات، وذلك في ليلة عاصفة من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦. وصل الاطباء على متن طائرة مروحية الى برج حفر قائم على بعد ٣٠٦ كيلومترات من آبردين، وهناك نقلوا في سلة ضخمة الى متن سفينة الدعم "سميت لويد ١١٢" التي كانت تترفع مع الامواج. وكانت الريح

(١) فيحال الانتقال السريع من الضغط القوي في العمق الى الضغط الجوي عند سطح البحر تتمدد فقاقيع النيتروجين في الانسجة والاوعية الدموية.

(٢) الفيزيولوجيا هي علم وظائف الجسد.

الهوجاء والامواج الصاخبة افقدت جرس الغطس أثقاله فطفا من الاعماق الى سطح الماء خلال ٤٢ ثانية.

داخل الجرس تمزقت رئتا احد الغواصين نتيجة الهبوط المفاجيء في الضغط وقضى نحبه للحال. اما الغواص الآخر ديريك بانيستر فنقل بسرعة من الجرس الى غرفة خفض الضغط، وكان في الرمق الاخير وفي غيبوبة كاملة. ونصبت له قطّارة مصل في الوريد فيما توجهت سفينة الدعم نحو آبردين. واستوجب العلاج قبل كل شيء خفض ضغط بانيستر ببطء متناه، بحيث أن سفينة الدعم ظلت راسية في الميناء ثلاثة أيام قبل ان يتسنى نقل المصاب الى سيارة اسعاف وحمله الى العيادة الملكية في آبردين حيث تجمع فريق من الاختصاصيين العالميين للاهتمام به. ولم يسجل قبل ذلك حادث مماثل نجا فيه المصاب من الموت.

أعطي الغواص المصاب جرعات كبيرة من العقاقير مثل "دكستران" و"ستيرويد" رافقتها جلسات خفض الضغط في المستشفى: وافلح الفريق الطبي في تطهير جسد بانيستر المشلول، تدريجاً، من بقايا أنسجة الدم المتجلط. وقد اشترك اكثر من ٢٠ طبيباً في المعالجة الدقيقة. واليوم لا يزال بانيستر مشلولا، لكنه يستطيع التجول على كرسي ذي عجلات.

هذه الحادثة، سجلت في تاريخ الطب.

ان معرفتنا عن الغوص تزداد يوماً بعد يوم. وبفضل بحر الشمال تقدم العلم في العقد المنصرم اكثر مما فعل خلال الوف السنين منذ أن بدأ الانسان الغوص تحت الماء. ويقول اندريه غاليرن رئيس "الشركة الدولية لمتعهدي الاشغال تحت الماء": "كنا في السابق نختار الغواصين اعتماداً على عرض مناكبهم. أما الآن فاننا نختارهم على اساس قدراتهم العقلية وشهاداتهم الهندسية. يجب ان يكونوا في المستوى المطلوب ففي جهدهم لتلبية طلبات هذا العالم النهم للطاقة باتت حياتهم نضالا مستمراً في ظروف تبلغ حدود المعرفة الانسانية وتتجاوزها".

■ ديفيد مولر

منطق زوجة

عندما طلبت من زوجتي غسل سترتي التي اشتريتّها حديثاً، نظرت الى التعليمات الخاصة بتنظيفها وقالت: "يبدو انه يجب غسلّها وحدها. ولتوفير الكهرباء والماء، سأنتظر حتى نخلع لباساً آخر يجب تنظيفه وحده، وأغسل الاثنين معاً".

ج.غ.

غلطة الشاطر

وقف استاذ شاب محاضراً للمرة الاولى، فقدم نفسه كما يأتي: "اسمي الاستاذ جواد، وأودّ أن تنادوني هكذا". وكان ذلك خطأ كبيراً من جانبه. ذلك أنّ التلاميذ، طوال وجوده في المدرسة، لم ينفكوا عن دعوته: الاستاذ هكذا".

د.ت.



الضحك خير دواء

تفسير حلم

أفاقت المرأة من نومها لتقول لزوجها:
"كنت أحلم أنك أهديت الي عقداً جميلاً من الجواهر الاصيلة. فما تفسير هذا؟"
فأجاب الزوج: "ستعرفين مساء".
وفي المساء، عاد الى البيت ومعه رزمة صغيرة أعطاها لزوجته. ولم تعرف كيف تفضها... لتجد فيها كتاباً عنوانه "تفسير الاحلام".

صحيفة "لو هيربسون"، فرنسا

رأي صريح

كنت اجرب قميصاً في محل عندما سألتني زبونة عن رأيي الصريح في رداء أزمعت على شرائه. فقلت لها: "اذا كنت تريدين رأيي صريحاً، فاني أراه ضيقاً جداً عند الوركين".
ـ آه... أنني أجرب القميص. فالتنورة هي لي.

د.ر.

عائلة معمّرة

قال الطبيب للمريض: "أنت في حال ممتازة بالنسبة الى رجل في الستين".
ـ ومن قال اني في الستين؟ ان عمري ٨٣ سنة.
"يا للعجب! إذاً، لقد عمّر والدك طويلا".
ـ من أخبرك أن والدي توفي؟ انه في السنة الرابعة بعد المئة من عمره.
"عظيم! وكم عاش جدك؟"
ـ أقلت لك انه مات؟ ان جدي له من العمر ١٢٤ سنة، وهو سيتزوج الشهر المقبل.
"بحق السماء! ما الذي يجعل رجلا في هذه السن يريد الزواج؟"
ـ وهل قلت لك انه يريد الزواج؟

ا.س.

حال غير طبيعية

الطبيب للمريض: "ان ضغط الدم طبيعي لديك، ولا أثر للقرحة ولا للاجهاد. يؤسفني ان أرفع تقريراً بحالك الى رب العمل".

مجلة "الطبيب الجندي"

نصيحة زوجية

قالت المرأة لزوجها: "استشرت الطبيب اليوم، فنصحني بتمضية شهر على شاطىء البحر. فالى أين تنصحني بالذهاب؟"
ـ الى طبيب آخر.

مجلة "فرانس ربر"، فرنسا

ضيافة جمركية

"كونياك؟ ويسكي؟ سجائر؟"... قال المفتش الجمركي للسائح.
فأجاب هذا: "شكراً على ضيافتك! اني لا اريد سوى فنجان قهوة".

صحيفة "لو هيربسون"، فرنسا

متاعب الفنادق

بعد أسبوع أمضاه رجل في أحد الفنادق الفخمة، سئم دفع الاكراميات للحجاب والخدم. وذات يوم سمع ضرباً قوياً على الباب وصوتاً يقول: "اني أحمل برقية لك يا سيدي". فصرخ الزبون من داخل الغرفة: "ادفعها تحت الباب".
- لا أستطيع أن أفعل ذلك.
"ولماذا لا تستطيع؟"
- لأن البرقية موضوعة على طبق كبير.

ج.و.

مهنة لا تطعم خبزاً

أمضى نجار بضع ساعات في منزل محام لاصلاح بعض قطع الأثاث. ولما فرغ من عمله سلمه الفاتورة. فقال المحامي مندهشاً: "كيف تتجرأ على طلب مئتي دولار في الساعة؟ هذا المبلغ لا أتقاضاه أنا نفسي".
فأجاب النجار: "ولا أنا تقاضيت هذا المبلغ عندما كنت محامياً".

ب.ب.

الملعقة اللعينة

كنا على وشك مغادرة المنزل لتناول العشاء لدى أحد الأصدقاء عندما عانيتُ نزفاً من أنفي. فوضعت زوجتي ملعقة مجلدة على مؤخر عنقي. وبعد قليل انقطع النزف، فانطلقنا في طريقنا وقد نسينا أمر الملعقة. ولما هممنا بالانصراف ووقفنا نودّع صديقنا وزوجته، سقطت الملعقة من سروالي على الدرج وأحدثت رنيناً قوياً.
كان ذلك قبل عام. ولا ندري ان كان صديقانا اقتنعا بالتفسير الذي اعطيناه آنذاك، لكنهما لم يتصلا بنا منذ ذلك الحين.

ف.د.

حديقة "حيوان"

كاد شاب أن ييأس من العثور على وظيفة عندما طلبت منه حديقة حيوان أن يحل محل غوريلا ماتت وكانت تستقطب زبائن كثيرين. وفي عرضه الأول، راح يقفز داخل القفص وهو يقلد حركات الغوريلا ويرتدي جلدها وشعرها. وفجأة انفتح باب خرج منه أربعة أسود كبيرة. فأخذ الشاب يصرخ: "النجدة! النجدة! أكلتني السباع". وللحال جاءه صوت من أحدها يقول: "اخرس أيها المغفل، والا خسرنا وظائفنا جميعاً".

ج.ل.ب.

حلاوة اللسان لا تكفي

عندما كنتُ حبلى بطفلي الأول قررتُ وزوجي ألا نتخاصم على مرأى من أولادنا. ومنذ ذلك اليوم بات كل منا يمهد للخصام بعبارة لطيفة من نوع: "يا حبيبي" أو "يا حياتي".
ولكم دُهشت حين احتكم اليّ ولداي، وهما في الخامسة والثالثة، بعد خصام بينهما. ولما سألتُ عمن بدأ ذلك انبرى احدهما قائلا: "هو الذي دعاني "يا حبيبي" أولا".

ج.ل.

جنرال متطوع

دخل رجل أبيض اللحية مكتب التطوع العسكري، معلناً رغبته في الانضمام الى الجندية. فسأله الرقيب: "كم لك من العمر؟".
- اثنتان وستون سنة.
"لكنك تعرف جيداً أن هذه السن متقدمةجداً بالنسبة الى مبتدىء".
- ربما كان هذا صحيحاً في ما يخص الجنود. ولكن ألا تحتاجون الى جنرال؟

مجلة "بلاغ"، فرنسا



الأميرة

كانت جريحة وجائعة عندما عثر عليها الجنود لكنها ما لبثت ان اصبحت اشهر تميمة في تاريخ الجيش الكندي

بعد اسبوعين اعتبرا من اشد ما ذاقه الجنود الكنديون في ايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية توقف القتال فجأة في الحقول التي تمتد قرب بلدة كوريانو على ساحل ايطاليا الشرقي. هناك ظهيرة يوم من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٤٤ تسلق عدد من الجنود بحذر هضبة صغيرة متوجهين مع معداتهم الى حيث تقبع دبابة معطلة كلفوا اصلاحها. وفي طريق العودة صادفوا مهرة بنية نحيلة، لم تتجاوز اشهرها الاولى، مصابة بجروح نازفة. وكانت ترتجف خائفة وجائعة وهي تحوم حول امها التي كانت نفقت على اثر اصابتها بقذيفة من تلك التي انهارت على كوريانو. قال بايرون كلارك، وهو عامل ميكانيكي في الجيش، "امسكناها شفقة بها وجررناها ببطء بالرغم منها، اذ انها كانت ستنفق هي الاخرى لو بقيت هناك. وجذبناها بحبل الى ان ابتعدنا بها عن امها فانصاعت".

وبينما تناوب الجنود مهمة جرها الى جانب سيارة الاستكشاف، راحوا يقدرون المبلغ الذي قد يجنون من بيعها ويعرضون امكانات انفاقه. ولكن ما ان التحقوا برفاقهم في فرقة "الهوسار"، وهي المجموعة الثامنة من هوسار الاميرة لويز، حتى طرأت لهم فكرة اسمى. فقد اقترح احدهم ان تصبح هذه المهرة تميمة (١) وحدة الهوسار.

واخذت المهرة الى طبيب الوحدة

---

(١) التميمة او المسخوطة هي الشخص او الحيوان او الشيء الذي يظن انه يجلب الحظ.

Illustration: Huntley Brown

القائد توم داليمبيل الذي كان امضى اياماً تحت القصف في بيت حجري، حوله مستوصفاً للعناية بالجنود المرضى والمصابين وبكل من يقصده من سكان القرى المجاورة.

قال مساعد الطبيب الرقيب جيرالد كيلي: "كان القرويون يأتون الينا باطفالهم المرضى، ويطلبون معالجة اسنانهم وجروحهم وكل شيء تقريباً". وضمد داليمبيل جروح المهرة خصوصاً جرحها البالغ الذي كان مزّق جلدها بطول ١٨ سنتيمتراً.

وتسكيناً لآلامها اعطيت المهرة قليلا من شراب الرم الذي كان يمد به الجيش كجزء من المؤن. وقدم اليها الجنود طحين الشوفان والحليب المجفف واحاطوها بعناية فائقة. وعندما تقدم الكثير من الايطاليين لاستعادتها، زاعمين انها ملكهم، قرر الكنديون الابتعاد بها عن الجبهة. في تلك الاثناء كانت المهرة قد دخلت طور النقاهة.

المهرة الاميرة ـ والقي عليها عفويا اسم "الاميرة لويز" نسبة الى الاميرة لويز كارولين البرتا الراحلة وهي الابنة الرابعة للملكة فيكتوريا. وقد عرفت بحيويتها وبساطتها.

واصبحت المهرة "اميرة" واريد لها ان تكون كذلك في تصرفاتها اكراما لكنيتها. فاطلقت في الحقول وكانت موضع حفاوة في خيم الطعام. وخصت بسائس هو الجندي جاكسون الذي سرعان ما لقنها اصول السلوك العسكري. اما هي فقد الفت حياة الجنود ووجدت في رفقتهم حماية وطعاماً. وما ان التأمت جروحها، بعد اسابيع، حتى اشركت في عرض عسكري هو الاول بالنسبة اليها، وقد مد شريط على ظهرها يحمل اسمها. وعندما توجهت الفرقة شمالا صوب الساحل الادرياتيكي، انتقلت المهرة معها.

ثم في شباط (فبراير) ١٩٤٥ تلقى الفيلق الاول في الجيش الكندي اوامر للالتحاق بالجيش الاول العامل شمال غرب اوروبا. ولم يسمح للجنود باصطحاب اي حيوانات اليفة. وقد وصف بوب ماكلويد الذي اصبح في ما بعد ملازماً، وقع هذه الاوامر على الجنود فقال: "لم تراود احداً منا فكرة التخلي عن الاميرة لويز. فاقمنا فاصلا اضافياً خافياً في مؤخر احدى الشاحنات ووضعنا فيه طعاماً وماء واصعدنا المهرة اليه ومعها الجندي جاكسون". وزود هذا بالتعليمات اللازمة بما فيها طريقة منع المهرة من الصهيل عن طريق الامساك بلسانها!

وعلى مرأى من الشرطة العسكرية حمّلت الشاحنة المغطاة بقماش مشمع على سفينة. وبعد ثلاثين ساعة من الابحار انزلت "الاميرة" سالمة في مرسيليا ثم نقلت بشاحنتها الى جبهة اخرى.

وفي هولندا التي اضناها الجوع، خاض الجنود معارك مثيرة والمهرة تتبعهم.

وعند حلول السلام في شهر ايار (مايو) لازمتهم "الاميرة" خلال الاشهر الطويلة التي قضوها هناك ينتظرون العودة الى كندا. كانوا آنذاك في بلدة ايلدي القريبة من غرونينجسن المحررة. وكانت هذه البلدة محطة انتظار مناسبة. ففي

مراعيها الخضراء الخصبة سرحت "الاميرة" فاكتسبت سمنة وبدت عليها امارات الصحة. وذات يوم لمحت فرقة من جنود الهوسار تمر بقربها في عرض عسكري، فقفزت فوق السياج والتحقت بها. واشتركت هذه المهرة في كل العروض المماثلة متباهية بجلدها الاملس اللامع وبشعر عنقها الممشط. واعطيت بزة خاصة هي ملاءة زرقاء تحمل اسمها وشارة الوحدة التي تنتمي اليها ثم شارة الفرقة الخامسة من الجيش وهي رقعة من القماش البني، اضافة الى شرائط تشير الى سنوات خدمتها في الجيش واخرى الى عدد جروحها في اثناء الخدمة.

ولما حان الرحيل لاحت مشكلة اخرى، اذ ما توافر من وسائل نقل كان غير كاف لاستيعاب الالوف المنتظرة. كذلك اصطدمت فرقة الهوسار التي كانت عقدت العزم على نقل "الاميرة" الى كندا، بقيود متشددة في ما يتعلق بالحيوانات.

وفي اواخر عام ١٩٤٥ ودعت المهرة ايلدي في احتفال تكريمي منحها خلاله عمدة البلدة مخطوطة تحمل خاتم المدينة الرسمي.

المواطنة الكندية — وعندما وصلت فرقة الهوسار الى ساسيكس في ولاية نيو برونسفيك الكندية في يناير (كانون الثاني) ١٩٤٦ كانت "الاميرة" لا تزال في هولندا في رعاية قسم الطب البيطري في الجيش الملكي البريطاني. لكن رفاقها لم ينسوها. فهم لجأوا الى شتى الوسائل واستخدموا ضغوطاً مختلفة لتأمين انتقالها الى كندا. وقد اثمرت جهودهم فوصلت المهرة الى نيويورك في شهر مارس (آذار) في شاحنة هولندية. وكان في استقبالها الجندي جاكسون. واستقل الاثنان القطار الى سانت جون.

واحيطت "الاميرة" بحفاوة بالغة لم تشهد كندا مثلها من قبل، وسار بها قدامى الهوسار في عرض عام في شوارع المدينة اشتركت فيه الملالات. ومنحها العمدة حرية التنقل في المدينة. وفي ضاحية روتساي المجاورة للمدينة اخرج الاطفال من المدارس لكي يشاهدوها. وعندما وصلت الى مقرها الجديد في هامبتون توجهت الى قصر العدل (مبنى المحكمة) يحف بها حرس الشرف وهناك تليت سيرة حياتها ومنحت بالة من التبن وكيس شوفان ورفشا ومشطاً. وقرأ احد المسؤولين شهادة تمنحها الجنسية الكندية وتعلن انها مواطن حر من قرية هامبتون "لها ملء الحق في ان تسرح بحرية في الهضاب والسهول وتأكل ما طاب لها".

وعندما بصمت الاميرة بحافرها على طلب الانتساب الى الفيلق الكندي الملكي في هامبتون، ورد في الطلب ان اقرب انسبائها هم "٣٤٠٠ جندي من جنود الهوسار".

ولقنها ثاد ستيفنس، وهو من المحاربين القدامى الذين اشتركوا في الحرب العالمية الاولى، كيف تؤدي التحية وتقفز وتقبّل مصافحها وتعلن عمرها بضربات من حافرها.

واصطحبها ستيفنس الى مآدب الفيلق والى حفلات الضباط والرقباء حيث كانت تتلذذ بالحلوى والسكر والسجاير والتبغ والبسكويت

والبرتقال وما اليها باستثناء الجبن الذي لم تكن تحبه.

واحيانا كانت ترتكب هفوات عابرة. فعندما زارها حاكم الولاية اللورد الكسندر، مضغت "الاميرة" جزءاً من باقة زهر قدمت الى الليدي الكسندر. وذات يوم تركت المهرة "اثراً" امام مبنى المحكمة في فريدريكتون. وكانت تستقبل الزوار الرسميين متلهفة الى قطع السكر التي كانوا يأتونها بها وقد سها ذلك يوماً عن احد الضباط فكادت ان تعض قفاه.

عموماً، كان سلوكها لائقاً، خصوصاً في العروض الرسمية. وهي كانت تسير في مقدم الفرقة مباشرة وراء القائد والضابط المساعد والرقيب الاول. وعندما تقف الفرقة في حال التأهب كانت هي تأخذ مكانها الى يمين الصف. ويزعم ثاد ستيفنس انها "تلم باصول العروض العسكرية كاي عسكري مدرب فتقف جامدة لا تبدي حركة".

"الاميرة الثانية" — ومع مرور الزمن اصبحت "الاميرة" محور مشكلة اخرى هي الوراثة الملكية، فجنود الهوسار تمنوا ان تمنحهم وريثا. لكن العترة (٢) التي اضفت عليها ذلك الجسم الضخم والمناكب العريضة والقوائم القصيرة كانت مجهولة. ولم تجد الكتابة الى عمدة كوريانو. فكل ما استطاع الرجل افتراضه هو ان "الاميرة" وامها لا بد ان تكونا من الجياد التي سرقت في جنوب ايطاليا بينما كان الالمان يخلون روما. ولما قاربت المهرة عامها العاشر زاوجها القائمون عليها من جواد عربي اصيل. وذات صباح من عام ١٩٥٤ دخل حارسها تيودور آندرسون مربطها فوجدها وضعت مهرة بنية نحيلة القوائم.

وفي الصيف التالي اشتركت "الاميرة لويز الثانية" مع امها في العرض العام وقابلت رئيس الاركان الجنرال جي سيموندز. وبدت على "لويز الاولى" ملامح الفخر والاعتزاز. ولكن ما ان بدأت المهرة الصغيرة تحوز الاهتمام الرئيسي حتى دفعتها جانبا. اذ لا مانع لديها في ان تشاطرها ابنتها اضواء المجد ولكن ضمن حدود.

وحان وقت التمجيد. ففي العام ١٩٥٨ وهبت "الاميرة" الام ابنتها، في احتفال رسمي، لفرقة جديدة في الجيش هي فرقة الهوسار الثامنة. بعد ذلك وضعت "لويز الاولى" مهرين آخرين، فخصيا وارسلا الى مزارع مجاور. واعجب الفنان جون هاد بقصتها، وكان بارعا في نحت الاحصنة، فنحت لها تمثالا وضع في قاعة طعام القادة. وسجلت هيئة الاذاعة الكندية سيرتها على شريط تلفزيوني. وعندما حصلت فرقة الهوسار على حق دخول ساسيكس عام ١٩٦٩، قدمت اليها كعكة في عيد ميلادها الخامس والعشرين مصنوعة من شوفان وسجاير وجزر ومغطاة بالسكر المعقود. قالت ماري بكرتون امينة سر اتحاد الهوسار: "كان هناك ما يكفي من السكر المعقود كي يغمرها".

وفي ذلك اليوم — وكانت "الاميرة" بلغت الخامسة والعشرين — بدا عليها الضعف على رغم مظاهر الوقار التي

---

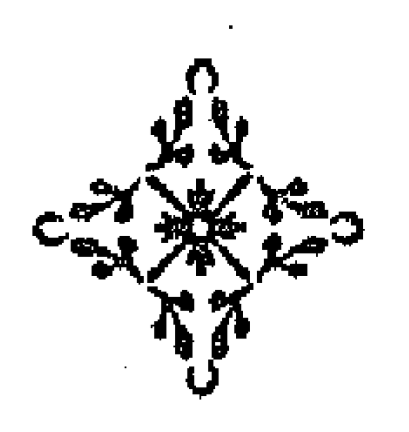
(٢) الاصل الذي تحدرت منه.

احتفظت بها. وقد ثقلت خطاها تدريجاً فصعب عليها الاشتراك في العروض فاكتفت بالوقوف الى جانب منصة الشرف. وبلغت عامها الثلاثين سنة ١٩٧٣ وظهر بوضوح ان ايامها باتت معدودة. وذهب تاد ستيفنس يتفقدها يوماً في احدى المزارع وطلب منها قبلة. وهو قال عن تلك اللحظة: "كانت مضطجعة هناك وقد قاربت من النهاية. ولكنها رفعت رأسها وقبلتني".

وعندما قربت نهايتها اتفق الهوسار مع اعضاء فرقة هامبتون على دفنها قرب النصب التذكاري لشهداء الحرب في القرية. وهكذا كان، فدفنت هناك في صباح احد ايام شهر اغسطس (آب) ورغب رفاقها في لفتة اخيرة نحوها، فاجروا عرضاً عسكرياً كبيراً ادعوا انه تكريماً لشهداء الحرب بل كان هو في الواقع من اجل ذكراها، وحضر العرض جمهور غفير من المدنيين والعسكريين اضافة الى رجال الهوسار، وانتهى الاحتفال بوضع لوحة تذكارية فوق المكان الذي رقدت فيه "الاميرة".

وقال غوردون بكرتون الرقيب الذي كان رافقها في عدد لا يحصى من العروض العامة: "اغرورقت عيناي بالدمع واني لواثق من انني لم اكن الوحيد".

■ دوغلاس هاو



الدولة الحرة هي التي لا يُجْبر مواطنوها على الاصغاء عندما يتكلم الحكام.

ك.ف.

بساطة البابا

• كان البابا يوحنا الثالث والعشرون رجلا مرحاً ودؤوباً. وحببته شخصيته الى الناس حتى بات لدى وفاته اكثر المسيحيين المعاصرين شهرة واحتراماً.

ولم يكن البابا يوحنا يتورّع عن انتقاد نفسه. وبعد اعتلائه السدة البابوية سُمع مرة يقول لنفسه: "يجب الا يغيب عن بالي بحث هذا الامر مع البابا. لكني انا البابا! لذلك ينبغي بحث المسألة مع الله".

وعندما كانت الحشود تتزاحم بالمناكب لرؤيته في الفاتيكان كان يسأل رجال الشرطة: "لماذا تدفعون هذه الجموع الى الوراء؟"

ـ لأسباب أمنية!

"أسباب أمنية؟ ومن قال لكم أني سأؤذيهم؟".

س.س.ن.



الحبّ من اللمسة الأولى

ذبذبات خفية
تنتقل بين الطفل وامه
ساعة الولادة.
والرباط المتين الذي ينشأ
في تلك اللحظات
يقرر جوانب كثيرة
في حياة العائلة

"لمست خدها... كان ناعماً وملساً كزهرة الفاردينيا".

"بعدما حضنته ضحكت وصحت: أؤمن الآن بالعجائب!"

"نظر الي. وقعت عيناي على عينيه، ووقعت في حبه".

هل هذه ذكريات لقاءات رومنطيقية؟

كلا، فاولئك نساء يتذكرن اللحظة التي حملن وليدهن الجديد.

لقد أدرك الاباء والامهات قبل زمن

بعيد عظمة الدقائق والساعات الاولى بعد الولادة. والآن يصرح العلماء بان هذه الفترة هي فرصة سانحة لتنمية ما يسمونه "الرباط"، اي تلك المودة الحميمة والمستمرة بين الطفل ووالديه. وقد وصف هذه الظاهرة عام ١٩٧٢ طبيبا الاطفال مارشال كلاوس وجون كينيل من كلية الطب في جامعة كيس وسترن رزيرف في كليفلاند. وأيدت دراسات أخرى الفكرة المتعلقة بأهمية هذه الفترة التي يكون خلالها الوليد الجديد وابواه مستعدين للاندماج معاً.

عند الولادة يُثار الطفل في اثناء مروره المضطرب عبر قناة الولادة، وغالباً ما تكون أمه غير المخدرة في حال من الاثارة كذلك. يكونان متلهفين لرؤية احدهما الآخر - هي كي تدمج صورة مخيلتها للطفل الذي حملته بصورته الحقيقية، والطفل كي يعود الى مكان دافىء وأمين.

ان تعبير الطفل عن حاجته يثير رداً جسدياً طبيعياً لدى امه. فصرخته ترفع حرارة ثدييها، وفي بعض الحالات تولد تنقيطاً مفاجئاً للحليب منهما. الدفء ورائحة الحليب يجذبان الطفل فيرضع بحماسة وشهية، وتحفز رضاعته زيادة في نسبة الاوكسيتوسين (هرمون الولادة) في جسم امه، وهو هرمون يؤدي الى تقليص الرحم ويساعد في خروج المشيمة(★) ووقف نزف ما بعد الولادة. ان هذا التفاعل المريح يمتن الرباط بين الام والطفل.

نشوة وتملك - يكون الطفل يقظاً بعد الولادة مباشرة. يستلقي بهدوء وينظر حوله - هذا اذا ابقي دافئاً وامسك برفق - وسوف يتبع وجهاً يتحرك ببطء على بعد عشرين سنتيمتراً من وجهه، ويتفاعل مع الضوء والأصوات واللمسات الناعمة. يدير وجهه في اتجاه صوت مرتفع، كالنغم الذي يعتمده العديد من الآباء للتحدث مع اطفالهم. الطفل يمكنه ان يفعل كل هذا في ساعاته الاولى بعد الولادة.

يقول الدكتور هيو جولي من مستشفى شارينغ كروس في لندن: "ليس صحيحاً أن الأم تحتاج الى الراحة بعد الولادة، بل هي تحتاج الى طفلها. ويجب ان يوضع الطفل السليم في أحضان امه بعد ولادته مباشرة فتلاطفه وهو على صدرها".

ان ملاطفة الام طفلها وملامستها جسمه تحية طبيعية هي من أمتن عوامل الرباط بينهما.

وتقول شيلا كيتزنغر، وهي مرشدة في شؤون الولادة، ان دقائق التعرف الى الطفل تبرز لدى الام عواطف كامنة. ففي البدء تحمل الأم الجديدة طفلها بجمود مثل باقة زهر، ثم تبدأ أناملها الاكتشاف. تتبع محيط الوجه باصبعها وتتحسس أطرافه وتمسد جسمه بكفها.

انها اكثر من لحظة اطمئنان وسعادة تلك التي يولد طفل سليم. انها لحظة نشوة ونوع من التملك غالباً ما يصاحبها تعليق فرح: "أنظر الى الفم الصغير! أنظر الى الاظفار الصغيرة! إهلا بك أيها الصغير..."

هذا التلامس الساحر في ذاته يبدو مفيداً لمدى أبعد. ففي احدى الدراسات حضنت الامهات مواليدهن

(★) غشاء الجنين الذي يخرج معه عند الولادة.

لمدة ساعة خلال الساعتين الاوليين بعد الولادة. وفي الايام الثلاثة اللاحقة حضن اطفالهن ولاطفنهم مدة خمس ساعات يومياً. وقد قورن هذا الفريق من الامهات بآخر خضع لانظمة المستشفى التقليدية (لمحة خاطفة للطفل بعد ولادته، ومن ثم ارضاعه ورؤيته مرة كل أربع ساعات). فوجد أن الفريق الاول من الامهات يحضن اطفالهن وينجحن في تهدئتهم عندما يبكون وينظرن الى عيونهم خلال الرضاعة اكثر من الفريق الثاني. وبعد مرور سنتين على ذلك بدا ان التفاعل بين امهات الفريق الاول واطفالهن ما زال اغنى، فكن يطرحن عليهم اسئلة اكثر ويجبنهم بدقة ولا يأمرنهم كما تفعل سائر الامهات.

وللاب دور في "الرباط" كذلك. فحضوره في اثناء الطلق والولادة ينمي توقه الى حماية طفله. ويقول احد الآباء: "لا يسعني الادعاء اني احسست على الفور بحب نحوها. لكنني عندما حملتها وهي تبكي، فكرت في اني لا اريد ابداً ان يؤذي شيء هذه الطفلة الجميلة".

الدكتور مارتن غرينبرغ وهو طبيب نفساني من كاليفورنيا، والاستاذ نورمان موريس من مستشفى شارينغ كروس في لندن، عرّفا الرباط الخاص بين الرجل وطفله بـ"الانهماك" الذي يجمع الاهتمام والاندماج الناتجين من اتصالهما الاول. ويدعم هذا الرأي تصرف الآباء الذين اتصلوا باطفالهم في الساعات الاولى من ولادتهم. يقول أحدهم: "دهشت عندما رأيتها تنظر الى ما حولها وتمسك الاشياء، وعندما لمستها ادركت فجأة انني لم أصبح مجرد اب، بل اب لفتاة صغيرة".

وقت للتعارف – ان ادراك اهمية هذا الرباط يسفر اليوم عن تغيرات مهمة في انظمة المستشفيات. الخوف من العدوى في دور الحضانة كان حوّل كثيراً منها قلاعاً حصينة يُعزل داخلها الاطفال. اما اليوم فان مستشفيات التوليد تركز على تمتين الرباط العائلي.

بعد دراساتهما حول هذا الرباط، اقترح كلاوس وكينيل الآتي:

□ على الابوين طلب ارشادات حول الولادة في اثناء فترة الحمل كي يتجنبا القلق. كما ان حضور الأب عند الولادة يطمئن الام ويسهل ولادتها.

□ ان يوضع الوليد بين يدي امه في أسرع وقت ممكن (يُستثنى من ذلك الطفل الذي يعاني ضيقاً). وفي مركز بوث للتوليد في فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا) تجرى جميع المحاولات لتلبية حاجة الام الى الاتصال بطفلها. فيوضع الطفل على بطن امه فور ولادته وهو مغطى بملاءة، ويمنح الاثنان الوقت الكافي ليتعارفا.

□ ان يجتمع افراد العائلة الجديدة في أسرع وقت ممكن. ويفضل ان تعتني الام بطفلها اذا امكن، على ان تهتم الممرضات بها ويساعدنها عند الحاجة.

□ أن تزور العائلة – واذا امكن الاخوة الصغار – الام وطفلها غالباً. وتذكر احدى الامهات، وهي ام لسبعة اطفال، "سعادة" اللحظات التي اجتمع زوجها واطفالها حول الطفل الجديد، وتضيف: "اني اؤمن بان الرباط يتكون بين الطفل والابوين وجميع الحاضرين حوله".

لغة الحب – يبدأ الرباط عفوياً بين

الام والطفل اذا وجدا معاً، ولكن يتعذر ذلك في حال الولادة القيصرية والولادة قبل الاوان. فهنا يجب ابعاد الطفل عن امه لانقاذ حياته. وغالباً ما يكون الطفل الخديج اقل استعداداً لمقابلة أبويه من الطفل الكامل النمو. تتفاعل ام الخديج في بادىء الامر مع طفلها وهو معزول في الآلة الحاضنة ضمن محيط غريب في غرفة العناية الفائقة. كما ان الام التي خضعت لجراحة قيصرية تحت تخدير عام، تعجز عن الاهتمام بطفلها للحال بل تحتاج الى ساعات من الراحة قبل ان تمكنها مشاهدته.

ولحسن الحظ حدث تقدم لتسهيل العلاقة بعد الولادة القيصرية والولادة قبل اوانها. فيعتبر الاطباء ان العملية القيصرية هي ولادة وليست جراحة، كما يسمحون بحضور الاب في غرفة الولادة. وتقول رامونا مرسر من كلية التمريض في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو: "ان حضور الاب الولادة القيصرية يطمئن الام الى ان هناك من سيرحب بطفلها على النحو الذي ارادت هي ان تفعله".

كما تشير الدكتورة ندى ستوتلاند، وهي مستشارة نفسانية في قسم التوليد والامراض النسائية في مستشفى مايكل ريز في شيكاغو الى ان الام غير المخدرة كلياً خلال الولادة القيصرية تمكنها مراقبة طفلها وهو يرفع من جسمها. كما يمكنها حمله في اثناء خياطة بطنها. وفي جميع الاحوال يجب وضع الطفل في مكان يسعها منه مشاهدته وملامسته. وتلح الدكتورة ستوتلاند: "يجب ان يبقى الطفل وامه معاً".

اما بالنسبة الى الطفل المولود قبل الاوان، فقد احدثت اجراءات لتمتين العلاقات العائلية. فيشجع الابوان على زيارة غرفة العناية الفائقة والاهتمام بطفلهما. وتفيد هذه الزيارات كلا من الابوين والطفل، فملامسة الطفل ومفاجأته وهزه بلطف يساعدان تنفسه وراحته ونموه.

كلمة اخيرة حول الابوين الذين تبنيا طفلا. ينمو الرباط مع طفلهما تدريجاً وباشكال مختلفة (يؤثر عليه، مثلا، عمر الطفل المتبنى). ويقول فالماي هاوي الكنز وهو مرشد في شؤون الولادة: "ان العلاقات الانسانية شديدة الدقة والتعقيد، ولا يسعنا تحجيمها في قالب. والرباط ظاهرة حقيقية، وأنسب وقت له فترة ما بعد الولادة مباشرة. لكن الانسان كائن متكيف ويتفاعل بطرق مختلفة. كل ام فريدة وكل طفل فريد، كذلك هي لغة الحب بينهما".

■ **فريديل مينارد**

كل ما يتمنى المرء يدركه

الناس دائماً يلومون الظروف لما هم عليه. أما أنا فلا اؤمن بالظروف. وأعتقد أن الذين يشقون طريقهم في هذا العالم هم الذين يسعون الى الظروف التي يشاؤون، حتى اذا لم يجدوها أوجدوها.

برنارد شو

الطويل العمر

كان رجال الجبال جماعة
صلبة المراس،
معتزة بالنفس،
حيكت الاساطير
حول كشوفاتها
وبطولاتها.
وهذه قصة واحد
من هؤلاء الرجال

كان هيو غلاس (٤٠ سنة) يتصف بالعناد والاستقلالية مثل كل سكان الجبال. وفي ذلك الصباح المشهود من اغسطس (آب) ١٨٢٣ كان مسافراً مع عشرة رجال آخرين عبر السهول شبه القاحلة في ما يعرف اليوم بولاية داكوتا الجنوبية، ليعبروا بعد ذلك النهر الكبير قاصدين جبال روكي.

كان غلاس سبق المسافرين باحثاً عن ثمار التوت البري، عندما فاجأته انثى دب مرقطة ومعها صغيراها. وتحفزت الدبة الام فسددت اليه ضربة بقائمتيها الاماميتين، فتهاوى الرجل وسقط. وعادت الدبة تضرب جسده الملقى وتمزق لحمه. وعندما وصل



رفقاؤه مسرعين على صيحاته، ألفوه يمزق بسكينه جسد الدبة الغاضبة وهي تنهشه وتعمل براثنها في جسده. واطلق الرجال عليها رصاص بنادقهم الى ان خرّت بلا حراك.

دهش الرجال اذ وجدوا غلاس حياً. كانت ضلوعه انسحقت، وفي عنقه جرح غائر كان يبقبق كلما تنفس، وقد تمزق جسده شر تمزيق. كل جرح من جروحه الخمسة عشر كان كفيلا بقتل انسان. فلم يسع الرجال الا ان يرسموا على شفاههم بسمة باهتة حزينة اعجاباً برجل يصر على العيش وان لبضع دقائق. وقرروا من ثم ان يحطوا رحالهم في المكان، فبعد دفن رفيقهم لن يبقى لديهم وقت لمواصلة الرحيل في اي حال.

ولكن في الصباح كان غلاس لا يزال متمسكاً باهداب الحياة. وحار الرجال في امرهم. كان مؤثراً ان يعيش رفيقهم هنيهات، ولكن ان يبقى طوال الليل على قيد الحياة فأمر ينذر بالخطر. فالهنود هاجموا القافلة قبل ايام وقتلوا رجلين.

هكذا اتخذ قائد الفريق، الرائد اندرو هنري، القرار المحتوم. فالهنود قد يظهرون في اي وقت، ومن هنا كان الخروج من ذلك المكان امراً ضرورياً. فليس من الحكمة التضحية بحياة عشرة رجال انتظاراً لموت رجل محتضر. وكان الرجال قلقين فعلاً، لكن هنري لم تطاوعه نفسه في التخلي عن رجل ما زال حياً. وتوصل الى حل وسط. فطلب تطوع رجلين للبقاء مع غلاس حتى يموت، فيتوليان دفنه ثم يلحقا بالقافلة.

وللحال أبدى شاب في التاسعة عشرة رغبة في التطوع. كان اسمه جيم بردجر. ونظر هنري الى الآخرين. فانبرى جون فتزجيرالد قائلا ان ذلك ليس عدلاً. فأي رجل يتخلف في هذه البقعة انما يعرض فروة رأسه للسلخ، بل يمكن ان يفوته موسم الصيد في الخريف اذا لم يبلغ الحصن بالسرعة الكافية. واضاف ان الامر قد يكون مغرياً اذا منح هنري المتطوع بعض المال. وهنا اعلن هنري انه سيدفع ٤٠ دولاراً للرجل الذي يبقى. فابدى فتزجيرالد استعداده للبقاء. فاربعون دولاراً كانت اجر شهرين او ثلاثة في العمل. ورحل الجميع تاركين بردجر وفتزجيرالد كي يدفنا غلاس.

"لقد دفناه" — انبلج الصبح والجريح ما زال حياً. ماذا لو تماسك غلاس العجوز وتشبث بالدنيا اسبوعين؟ وما عساهما فاعلان في هذا الامر؟

في صباح اليوم الرابع لم يكن بردجر متأكداً اذا كان غلاس حياً او ميتاً. لقد بدا المحتضر كأنه ركن الى نوم قريب من الموت. عصر ذلك اليوم لمح فتزجيرالد الى انه هو وبردجر رفيقان غاية في طيبة القلب اذ بقيا كل هذا الوقت مع غلاس والخطر يترصدهما. ان عملهما يستحق بلا شك اكثر من ٤٠ دولاراً.

في الصباح التالي فتح غلاس العنيد عينيه. وبدتا زجاجيتين فتساءل بردجر اذا كان الرجل يرى، واخبر فتزجيرالد الذي بدأ حزم متاعه.

اجابه فتزجيرالد: "انا راحل من هنا يا بردجر. لقد تجاوزنا الوقت المطلوب منا. فلم يكن هنري ليطلب

الينا ان نبقى خمسة ايام في مقابل اربعين دولاراً. هو الآن يعتقد اننا فارقنا هذا المكان منذ زمن، والذي حدث أمر غير معقول".

لم ينبس بردجر بكلمة بل نظر الى غلاس الذي كان رأسه يهتز. قد يكون في حال من الهذيان، لكن ربما كان يرى ويسمع ما يحدث حوله. وحدق بردجر الى وجه الرجل الجريح.

وتناهى اليه صوت فتزجيرالد: "انا راحل الآن. اتأتي أم تبقى؟".

اجابه بردجر في فتور: "بل انا باق هنا".

– انت تدرك جيداً ما سيفعله الهنود بك. سيغرزون ابر الصنوبر في لحمك ويشعلونها كي تحترق ببطء. او قد يسلخونك حياً.

ظل بردجر صامتاً. فأمره فتزجيرالد: "لنذهب من هنا، فلست مستعداً للتضحية بكل شيء في سبيل جثة هامدة".

نظر بردجر الى فتزجيرالد غير مصدق. فنهره هذا: "هيا خذ البندقية والسكين وكل ما هناك، فلا يجوز ان تترك امتعة رجل ميت بعد ان تواريه الثرى. فنحن قد دفنا غلاس العجوز. دفناه! فتذكر هذا جيداً ايها الشاب".

سار بردجر بجانب حصانة شارد اللب كالمسحور. وبعد اجتياز بضعة كيلومترات عاد الى رشده، فتملكته نوبة غضب عنيف واحساس بالغثيان.

شعور مزدوج – عندما افاق غلاس من غيبوبته، ادرك ما حدث تماماً: "لقد ذهب الملاعين وتركوني بعدما اخذوا كل ما أملك". وامضى بقية يومه يفكر في امره. ومع مطلع الصباح التالي عقد العزم على ان يسوي حساباته مع بردجر وفتزجيرالد.

قدر غلاس انه قطع مع فريق الصيادين حوالى ٤٠٠ كيلومتر منذ ان غادروا حصن "كيوا". لكن هذا الحصن كان اقرب اليه من حصن "هنري" حيث توجه الفريق. كذلك فان الطريق نزول الى حصن "كيوا".

قبل انقضاء اليوم الاول، انهار غلاس من فرط الارهاق. فهو بدأ الزحف في موازاة جدول صغير. وكل دقيقة كان جرح في جسده ينفتح وينزف. وكاد ان يفقد وعيه مرتين من شدة الالم، ومن فرط الضعف شعر كمن يحمل صخراً فوق كاهله. من هنا لم يكن في وسعه ان يقطع اكثر من كيلومتر طوال اليوم. وفي اليوم الثاني قطع كيلومتراً آخر، وفي اليوم الثالث تصور انه قطع شوطاً ابعد، ولكن ما كان له ان يقطع ابداً ٤٠٠ كيلومتر على هذا المنوال.

بعد يومين صادف غلاس ذئاباً تنهش لحم جاموس. وبعدما شبعت الذئاب الضخمة تعكز غلاس على عصا كبيرة ساعدته في النهوض، واطلق صرخة هائلة فولت الذئاب الادبار.

وعندما وصل الى الفريسة، ركع ببطء حتى لا ينفتح مزيد من جروحه. وتراءى له ان الدم الذي كان يفقده من جسده سيستعيده هنا. ومزق اللحم النيء وبدأ يأكل. وناجى نفسه: "سوف أحيا، سوف تكتب لي النجاة!".

وعندما ترك الذبيحة بعد ايام، كان غلاس يسير على قدميه. وهذا ما جعله يشعر كأنه سيد من اللوردات، فها هو في وسعه ان يقتل ارنباً او غريراً اذا ساعده الحظ وخدمته

السرعة. وقد تحسنت حال جروحه، فان مشى بخطى بطيئة وثابتة، فسيمكنه قطع ١٥ كيلومتراً في اليوم. بيد ان خواطره كانت موزعة بين بهجة الشعور بالحياة والحقد على من تركاه وحيداً كي يموت. ورافقه هذا الشعور المزدوج حتى مصب النهر الكبير، حيث يلتقي هذا نهر ميسوري، وحيث الطرق المؤدية جنوباً الى حصن "كيوا". هناك سوف يتزود بمتاع جديد ثم يستدير على عقبيه صعداً مع النهر فيلحق بالذين تخليا عنه.

طلب الثأر – بلغ غلاس حصن "كيوا" في الاسبوع الثاني من اكتوبر (تشرين الاول) بعد انقضاء سبعة اسابيع منذ ما هاجمته الدبة الرقطاء، عاش ستة منها وحيداً بلا انيس أو معين، ونهض بعدما اشرف على الموت ليزحف ثم يمشي حوالي ٤٠٠ كيلومتر في ارض معادية، ليس في يده ما يمكنه من اقتناص الحيوان او يحميه من غارات الهنود. كل هذا نزل كالصاعقة على اسماع التاجر في حصن "كيوا".

بعد يومين انطلق غلاس باحثاً عن غريميه. اجتاز جبالا مغطاة بالثلوج، وعبر نهري ميسوري ويلوستون الى منطقة القرن الكبير. وهو قطع اكثر من الف كيلومتر في اقل من ١٢ اسبوعاً.

وعثر على بردجر الشاب في الليلة الاخيرة من ديسمبر (كانون الاول) ١٨٢٣، اذ كانت فرقة الرائد هنري تحتفل بالسنة الجديدة في الحصن. وما ان دخل غلاس قاعة الاحتفال حتى توقف الصخب تماماً. وحدق غلاس الى ملامح الرجل الذي ظل يتقفى آثاره مسافة ١٥٠٠ كيلومتر.

"أنا غلاس يا بردجر. غلاس الذي تركته يموت وسرقت أمتعته التي كان يمكن ان تعينه على البقاء حياً. تركته وحيداً عاجزاً مسجى في تلك السهول. ها اني قد عدت لابر بقسمي: ان اوريك انت جنبات الثرى".

وعلت ملامح بردجر نظرة رجل مستعد للاعدام، بل للذهاب الى الجحيم تكفيراً عن خطيئة مهلكة اقترفها. ولم يتفوه بكلمة، بل بدا شاباً صغيراً يستأهل الرثاء.

وارتجف غلاس وهو يقول: "ارى انك تشعر بالخزي والاسف. لكن اظن انك ما كنت لتفارقني لو لم يضغط عليك فتزجيرالد. فهون عليك، ولا تخش مني شراً. لقد غفرت لك، فلست الا حدثاً غراً".

ارتاح غلاس وانفرج ضيقه بعدما تفوه بكل هذه الكلمات دفعة واحدة. وجلس، فناوله احدهم كوب شراب، وبعد دقائق قليلة غاب عن الوعي.

وتملك بردجر احساس بالغثيان يخالطه شعور بالذنب والعار. ها هو ينجو لمجرد انه حدث غر. اما كان افضل له ان يموت؟

انقضت ستة اشهر اخرى اجتاز خلالها غلاس ١٥٠٠ كيلومتر قبل ان يعثر على جون فيتزجيرالد في حصن "اتكنسون" في منطقة كونسل بلاف. فرحة غامرة تملكت غلاس اذ عثر على غريمه، لكنه ما لبث ان اكتشف ان فتزجيرالد بات جندياً في جيش الولايات المتحدة وقتله يعرضه للاعدام. وعصفت كلمات غلاس في مكتب النقيب رايلي طالباً الانصاف.

فأمر النقيب باحضار فتزجيرالد.
اخيراً ها هو فتزجيرالد ينتصب أمامه، وجهه مخضب بالعار كما كان غلاس يريد. والغريب ان غلاس لم يكره فتزجيرالد في تلك اللحظة كما عقد العزم على ان يفعل. وسدد اصبعه اليه متهماً: "انت مشيت على جسدي المائت. لقد ارتعدت فرائصك فوليت الادبار. انت سرقت ما كان يمكن ان يعينني على الحياة. اعتقد ان هناك اموراً لن تنساها ما حييت".
صرف النقيب فتزجيرالد ثم قدم عرضاً الى غلاس. سيعيد اليه بندقيته ومتاعه ويزوده بما يلزمه من مال كي يبدأ مسيرته من جديد، هذا اذا صرف النظر عن موضوع الثأر. وقبل غلاس العرض.
طفق غلاس طوال تسع سنوات يمارس الصيد في جداول الجنوب الغربي ومقاطعة يلوستون. وفي العام ١٨٣٣ قتله الهنود وسلخوا فروة رأسه. الا انه بات اسطورة ذائعة على كل لسان. لقد رفض ان يموت، فاظهر من المهارة والجلد والشجاعة ما يستعصي على التصديق.

■ ونفرد بليفنز

جمهور عنيد

بعدما أدى مغني اوبرا من المرتبة الثانية دوره، سمع صوتاً بين الحضور يقول: "أعدها". فأعاد القطعة كلها. وانطلقت صيحات اخرى تقول: "أعدها"، فأعادها كلها مبتهجاً.
وأخيراً عاد الصوت الاول يزمجر: "أعدها! أعدها حتى تؤديها من دون أخطاء".

ف.ب.

طبيب عليل

ذات صباح شاهد رئيس اللجنة الفاحصة لقيادة السيارات امرأة ترتكب خطأ فادحاً أدى الى عرقلة السير. فمد رأسه من سيارته وصاح: "سيدتي، من أعطاك رخصة القيادة؟" وللحال عرفته، فصرخت: "أنت! أنت".

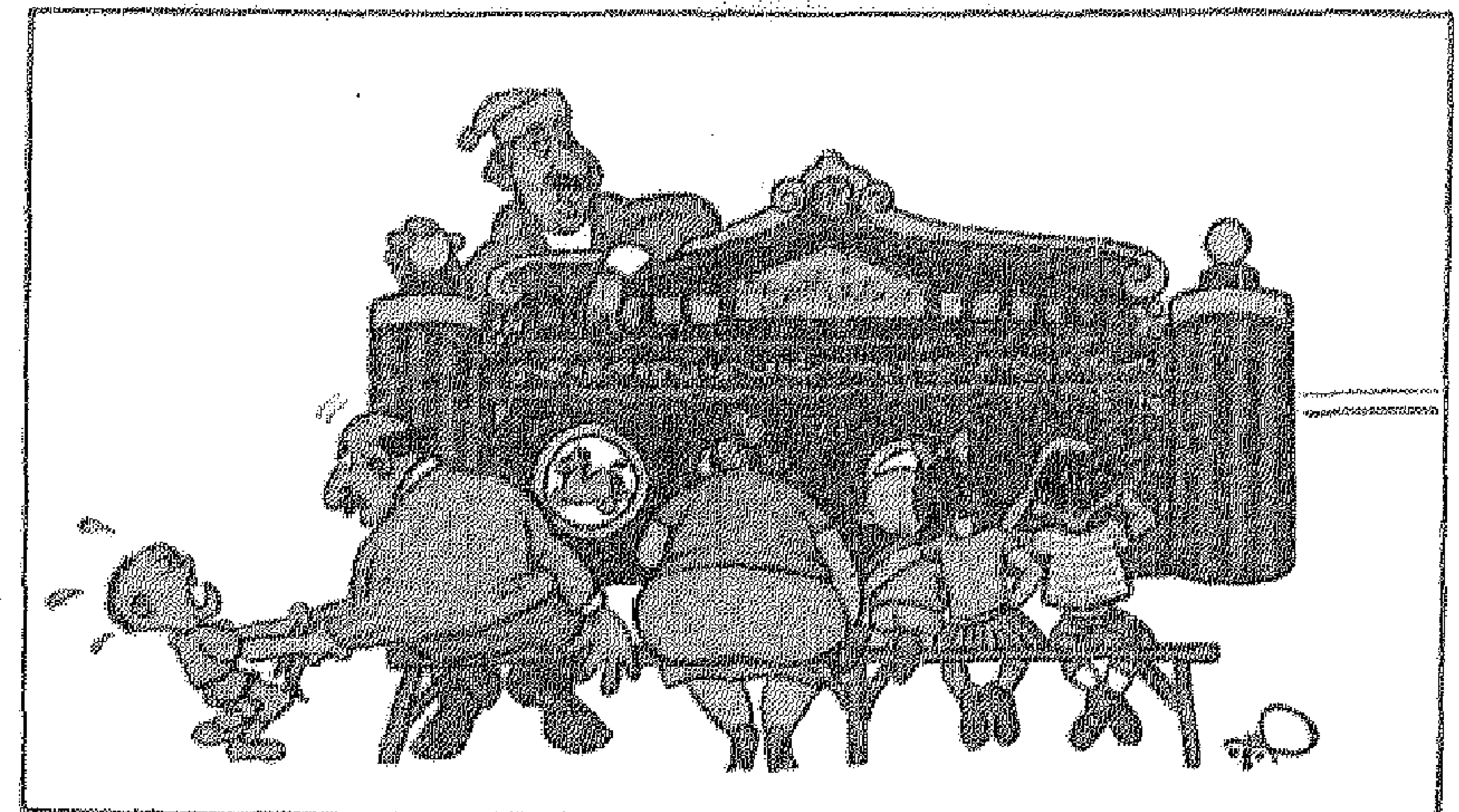
ف.ف.

"شتاء" روسيا

عندما أعيد رسم الحدود بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا، تبين أن الخط الفاصل يمر في أرض مزارع. وأعطي هذا حق اختيار مواطنيته، فقرر الحصول على الجنسية الفنلندية. لكن الروس اغتاظوا من هذا الامر وراحوا يصفون له حسنات العيش في بلادهم. فقال لهم: "إن كل ما تقولونه حق، وأنا أود كثيراً البقاء في روسيا الام. لكنني سئمت شتاء روسيا القاسي، ولا أظن أني أتحمله في هذه السن".

صحيفة "ديلي تلغراف"، لندن

صور من الحياة



لا غنى عنها

كان على رجل في عقده الثامن ان يجتاز امتحان قيادة السيارات من اجل تجديد اجازته. فقاد السيارة مسافة قصيرة من دون صعوبة، فيما كان الممتحن جالساً الى جانبه. وبعد قليل قال الاخير: "يؤسفني ان اعلمك بأنك لم توفق في هذا الجزء من الامتحان".

فدهش العجوز واستفسر عن الخطأ، فأجابه المسؤول انه كان دائما يجتاز تقاطع الطرق من غير ان ينظر الى يمينه ليرى اذا كانت هناك سيارة آتية. فقال صاحبنا بحزم: "لكن هذا ليس ضمن اختصاصي. انه مسؤولية زوجتي التي تجلس في هذا المقعد".

م.م.

افضل العلاج...

كتب الجنرال دوغلاس ماك آرثر في مذكراته عن دورة تدريبية اشترك فيها عندما كان لا يزال تلميذاً في المدرسة الحربية:

"كان المقطع الاول من الدرس يتناول العلاقة بين الزمان والمكان، التي شرحها اينشتاين لاحقاً في نظرية النسبية. وكان النص معقداً ولم اتمكن من فهمه. فوجدت ان افضل حل هو حفظه غيباً.

"وحين طلب الي الكلام في الصف حول ذلك الموضوع، رحت استعيد من ذاكرتي ما جاء في الكتاب كلمة كلمة. فنظر الي استاذنا الكولونيل فايبرغر باندهاش وسألني: "هل انت فاهم هذه النظرية؟" ولم اتردد في الاجابة: "كلا يا سيدي".

"وران صمت عميق على الغرفة، فوجدت نفسي انتظر حدوث امر ما. وما لبث الاستاذ ان قال بتمهل: "وانا كذلك لا افهم هذه النظرية يا سيد ماك آرثر. اذاً، لنحذف هذا القسم من الكتاب".

صلاة مجانية

كان الطقس غاية في السوء بأمطاره ورعده وبرقه وعواصفه. وكان الافق امامنا متلبداً بالغيوم السود حين اوقفنا السيارة امام محطة محروقات للتزود بالبنزين. ورحنا نتكلم مع عامل المحطة وهو يملأ خزان السيارة، وقلنا له اننا ذاهبون في رحلة طويلة. وحين فرغ من ملء الخزان فحص عجلات السيارة ومستوى الماء والزيت فيها، ثم سأل اذا كنا نحتاج الى اي شيء آخر. فقلت له بمرح: "كلا، لقد اتممت واجبك على احسن وجه".

فما كان منه الا ان القى نظرة على سيارتنا البالية، ثم حدث الى السحب التي تحمل نذر الشؤم وقال: "هناك امر واحد لم افعله بعد، ولكن من دون مقابل فلا تقلقا. ان صلاتي مجانية".

ا.ل.ك.

البرازيل:
طموح القوة العظمى

عشية رأس السنة من كل عام، يزحف الوف المؤمنين بديانة الفودو الى شواطىء مدينة ريو دي جانيرو وهم يحملون الشموع والهدايا لتقديمها الى ييمانجا، الاهة البحر، ممارسين طقوس عبادتهم الوثنية في أكبر بلد كاثوليكي في العالم: البرازيل.

من ناحية اخرى، تتقاطر الوف السيارات والشاحنات يومياً من مصانع سان باولو، حيث تزدهر صناعة السيارات... هذه هي البرازيل أيضاً.

انها بلاد مترامية الاطراف، متنوعة الاشكال. في جنوبها تقوم مراعي الماشية وفي الشمال الشرقي أراض زراعية ليس فيها ما يكفي من الماء، يتعهدها مزارعون أميون يعانون سوء التغذية. وعلى أطراف مدينة الريو تتناثر أكواخ حقيرة، بينما تشرئب الابنية العصرية في العاصمة الجديدة برازيليا.

هذه هي البرازيل: دار اوبرا أنيقةوسط أدغال الامازون. وهي حقاً بلد الفخامة: في المساحة والتناقضات والنمو والمشاكل. فهي أكبر بلدان امريكا اللاتينية من حيث عدد السكان. وعدد سكانها الحالي، الذي يبلغ ١٢٠ مليون نسمة، يشهد زيادة ثلاثة ملايين سنوياً. أما مساحة هذه البلاد، وهي ثمانية ملايين ونصف مليون كيلومتر مربع، فتجعلها خامس بلد في العالم. ولقد غدت عملاقاً زراعياً يهز اوروبا كلها في هذا المضمار. وفضلا عن كونها أكبر منتج للبن في العالم، فان عدد رؤوس الماشية في البرازيل اليوم يبلغ ضعفي ما في الارجنتين، وانتاجها من السكر يفوق حتى انتاج كوبا. وهي، في العالم (١٩٨١)، صنعت عدداً من السفن يفوق ما يصنعه أي بلد آخر باستثناء اليابان. والاقتصاد البرازيلي يحتل المرتبة العالمية العاشرة، اذ بلغ الدخل القومي ٢٤٢ مليار دولار للعام ١٩٨٠. وفي نصف الكرة الارضية الغربي تحتل البرازيل المرتبة العسكرية الثانية. ويبلغ عدد أفراد جيشها ٢٧٢ ألفاً، وهممزودون بأسلحة عصرية معظمها من صنع وطني.

سعي الى العظمة – لقد وضعت البرازيل العظمة هدفاً قومياً لها طوال

فنزويلا
كولومبيا
غيانا
سورينام
غيانا الفرنسية
الاكوادور
بيليم
سان لويس
بيرو
الامازون
الطريق الرئيسية عبر الامازون
رسيف
سلفادور
بوليفيا
برازيليا
شلالات ايغوازو
ريو دي جانيرو
سان باولو
الأطلسي
التشيلي
الأرجنتين
نهر بارانا
بورتو اليغري
الاوروغواي

العقود الاربعة الاخيرة. ويقول المعلق الصحافي البرازيلي المرموق كارلوس كاستيلو برانكو ان جميع العناصر التي اعترضت الطريق الى تلك الغاية "وضعت جانباً أو أزيلت".

وفي اعقاب الانقلاب العسكري الذي حصل عام ١٩٦٤، تحركت الحكومة سريعاً للسيطرة على الوضع في تلك المرحلة المضطربة.

لكن السعي الى الاستقرار والعظمة لم يتم بلا ثمن. وعلى رغم أن جميع قطاعات المجتمع حققت كسباً مادياً خلال العهد الحالي، الا ان ثمة شقاً واسعاً بين الاغنياء والفقراء. والفئة المحظوظة اليوم هي خمس عدد السكان وفي أيديها ثلثا الدخل القومي. وهناك أكثر من عشرين مليوناً يعيشون في فقر مدقع. أما نسبة الأمية ووفيات الاطفال فهي مرتفعة جداً بالمقارنة مع بقية البلدان المتقدمة في امريكا الجنوبية.

هذا الظلم الاجتماعي، في بلد تتجاوز نسبة الكاثوليك التسعين في المئة، جعل الكنيسة تتخذ موقفاً نقدياً من الاوضاع السائدة. ويقول باولو ايفاريستو، اسقف سان باولو، ان الوضع "زاد سوءاً في السنوات الاخيرة تبعاً للنظام الاجتماعي — السياسي الذي يجعل من التنمية الاقتصادية هدفاً له، وبهذا يضع البحبوحة فيأيدي قلة ضئيلة بينما الاكثرية الساحقة تعاني البؤس". وقد هب رجال الدين في جميع المناطق الرئيسية الى تأسيس خلايا للعمل الاجتماعي.

تبديد الثروة — يشارك القطاع العام في النشاطات الاقتصادية والصناعية الرئيسية. وفي احصاء اجري عام ١٩٧٨ وشمل الشركات الخمسمئة الكبرى في البلاد، تبين أن القطاع العام حقق ثلث المبيعات.

ومن أجل تطوير الصناعة المحلية عولت البرازيل على رؤوس الاموال الاجنبية. وقد توافدت الشركات المتعددة الجنسيات الى البرازيل بخبراتها التكنولوجية والادارية والتسويقية، يحدوها نظام البلاد الضريبي المغري ووضعها السياسي والاقتصادي المستقر نسبياً. وفي العام ١٩٧٨ أصبحت هذه الشركات تسيطر على ٩٩ في المئة من صناعة السيارات و٨٤ في المئةمن صناعة الادوية و٧٦ في المئة من صناعة المشروبات والتبغ و٦٨ في المئةمن صناعة النسيج.

وعلى رغم أن الشركات المتعددة الجنسيات أعانت البرازيل على تطوير صناعتها وتوسيعها، الا أن هذا النمو تم على حساب امور اخرى. وعندما تسلم العسكريون الحكم عام ١٩٦٤، كانت نسبة التضخم ٩٠ في المئة. وما أن انخفضت هذه النسبةحتى عادت الى الارتفاع حين زادت منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك) أسعارها عام ١٩٧٣. وقد باتت نسبة التضخم في البرازيل اليوم ١١٤ في المئة، علماً أن ديونها الى الخارج تبلغ ٥٥ مليار دولار، وهو أعلى رقم بالنسبة الى البلدان النامية.

ترى أين يكون الخطأ؟

للاجابة عن هذا السؤال، يقول بينتو نوغيرا أحد كبار موظفي وزارة التصميم ان هناك ثلاثة عوامل:

أولا، "لقد صرفنا مبلغاً كبيراً في

وقت قصير"٠ ووقعت الحكومة تحت عجز كبير بعدما بددت المبالغ الطائلة في صناعة الفولاذ والمواد البتروكيميائية والسدود والجسور والمعونات الزراعية٠

ثانيا، لقد تضاعف ثمن النفط المستورد خلال سنة ونصف سنة، حتى باتت البرازيل تدفع مبلغ ٣٠ مليون دولار يومياً لمايأتيها من نفط أجنبي٠

ثالثاً، لقد كان المحصول الزراعي ضئيلا جداً خلال اثنتين من السنوات الثلاث الاخيرة بسبب رداءة الطقس٠

النظرة العملية والانتاج - ماذا فعلت الحكومة البرازيلية لمواجهة مشكلة تطول بقاء الأمة بالذات؟

ان المثال الذي قرر احتذاؤه هو السياسة العملية٠ ويقول نوغيرا:"تبذل الحكومة ما في وسعها لخفض مصاريفها واستثماراتها وزيادة دخلها٠ اننا نحاول خفض التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية٠ وقد ألغينا الجزء الاكبر من مراقبة الاسعار وتقييد الفوائد المصرفية"٠

وتحاول الحكومة أن تجعل الحد الاقصى للنفط المستورد ٧٥٠ ألف برميل في اليوم بعدما بلغ ٩٤٩ ألفاً عام ١٩٨٠٠ كما تحاول خفض عدد موظفيها وتعزيز الزراعة ودفع عجلة التصدير٠

والحق أن ما تصدره البرازيل، خصوصاً من مواد مصنعة، يشكل جانباً مشرقاً من اقتصادها٠وقبل عشر سنين كانت السلع المصنوعة محلياً تشكل نسبة ١٥ الى ٢٠ في المئة من صادرات البلاد٠ أما اليوم فهي تتجاوز الـ٥٠ في المئة٠ وتحتل السيارات المرتبة الاولى من المصنوعات المصدرة، تليها السفن والمنسوجات واللحوم المعلبة والاحذية٠

وفي سعيها الى تحقيق العظمة صممت البرازيل على بلوغ الاكتفاء الذاتي في صناعة الاسلحة٠ وهي اليوم تزود قواتها المسلحة بعتاد عصري زهيد الكلفة: وفي العام ١٩٨٠ صدرت البرازيل أسلحة بقيمة ٧٠٠ مليون دولار٠ ومعظم صناعتها الحربية تتم بالتعاون مع خبراء اوروبيين٠وقد بنى البرازيليون بارجتين باعتماد التكنولوجيا البريطانية٠ كما حصلوا على ترخيص من بلجيكا لصنع مدفع مضاد للدبابات من عيار ٩٠ مليمتراً ورشاشات آلية وأسلحة اخرى٠ وبترخيص ايطالي تنتج البرازيل مسدسات من نوع "بيريتا" ورشاشات شبه آلية٠

وتزمع البرازيل على انتاج غواصات مجهزة بالطاقة النوويةوصواريخ ارض - جو وأرض - ارض٠ ومصانعها الجوية تصنع اليومطائرات مروحية وطائرات ركاب وطائرات حربية، فضلا عن أعتدة عسكرية اخرى٠

الأمازون والطاقة - ربما كانت أعظم محطة على طريق العظمة التي انتهجتها البرازيل عزمها على اختراق منطقة الأمازون، وهي ثلاثة ملايين ونصف مليون كيلومتر مربع من أرض عذراء لا يقطنها سوى ستة ملايين نسمة٠ ولا أحد يدري حقاً ما هي الخيرات المخبوءة في هذه الارض النائية٠ لكن الحكومة عقدت العزم على خوض غمارها٠ وجدير بالذكر ان سبعين في المئة من سكان البرازيل يكتظون في المناطق الساحلية ضمن ١٦٠ كيلومتراً مربعاً من الارض٠

ومن البرامج التي تلاقي نجاحاً في الامازون التسهيلات الضريبية التي تمنحها الحكومة لمربي الماشية وأصحاب المشاريع الزراعية في المناطق المتخلفة. كما تنفق الحكومة مئات الملايين على مشاريع الطاقة والمواصلات وتنمية الموارد. وفي العام ١٩٨٠، استخرجت من منطقة الامازون كميات كبيرة من خام الحديد والبوكسيت (وهو صخر يستخرج منه الالمنيوم) والتنك والنكل والرصاص والمنغنيز والبوتاسيوم والذهب.

ولدى البرازيل عشرة في المئة من احتياط العالم من الحديد الخام، وهي تكاد تضاهي اوستراليا في تصدير هذه المادة. ومن أجل نقل الحديد من منطقة الامازون الى ميناء سان لويس في الشمال، تبني الحكومة سكة حديد يبلغ طول خطها ٨٨٥ كيلومتراً. وهي تتوقع أن يبلغ انتاج البوكسيت، في اواسط الثمانينات، تسعة ملايين طن سنوياً. لذلك باشرت بناء سد "توكوروي" الضخم الذي يؤمن ٨٠٠٠ ميغاواط من الطاقة الكهربائيةلتصنيع البوكسيت.

أما نقطة الضعف في الاقتصاد البرازيلي فهي اعتماده النفط المستورد. ومن أصل مليون ومئة الف برميل استهلكتها البلاد يومياً خلال ١٩٨٠، لم ينتج محلياً سوى ٢٠٠ ألف برميل. وتبحث السلطات البرازيلية عن النفط في المناطق البحرية آملة رفع الانتاج المحلي الى ٥٠٠ ألف برميل يومياً عام ١٩٨٥.

في هذه الاثناء نصحت المصانع الرئيسية بزيادة الاعتماد على الفحم الحجري، على أن تستغني كلياً عن النفط بعد ثلاث سنوات. وقد بنت شركة "وستنغهاوس" محطة نووية بالقرب من ساحل الريو.

ويتم أيضاً تطوير الطاقة الكهربائية. وقد بدأ العمل، منذ العام ١٩٧٦، على اقامة أكبر محطة كهرمائية في العالم، وذلك بالقرب من شلالات ايغواسو الشهيرة. وهذا المشروع الذي يبنى بالشراكة مع باراغواي، سيكلف ١١ مليار دولار وينتج ١٢٦٠٠ ميغاواط من الطاقة.

ومن المبتكرات البرازيلية الطريفة التي تهم البلدان المحتاجة الى النفط، اعتمادها الكحول لتشغيل السيارات. وفي العام ١٩٨٠ تم صنع ٢٦٥ ألف سيارة ذات محركات تعمل على الكحول، تلاها انتاج نحو ٤٠٠ ألف سيارة مماثلة عام ١٩٨١. ويؤمل رفع عدد السيارات التي تعمل على الكحول المستخرج من قصب السكر الى ٨٠ في المئة.

حيث يكون المال — انسجاماً مع سلوكها كقوة نامية، تنتهج البرازيل سياسة خارجية مستقلة. وهنا أيضاً تسود النظرة العملية. ويقول مسؤول حكومي كبير: "اننا لا نحكم على الدول الاخرى من خلال العقيدة التي تتبناها. ان علاقتنا مع الحكومات الاخرى هي علاقة عمل". ويشير أجنبي مقيم في البرازيل الى ان "البرازيليين يذهبون حيث يكون المال".

وللبرازيل علاقات مع الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية، وهي تتفاوض حالياً مع الاتحاد السوفييتي لبيعه الاحذية

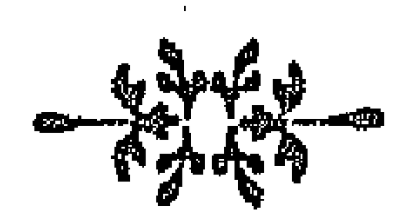
والمنسوجات والجلود والسكر والكاكاو والبـن، على أن تستورد منه آلات التنقيب عن النفط واقامة السدود وطريقة استخراج الكحول من الخشب.

كما رسمت البرازيل سياستها الخارجية، هكذا باشرت اعادة رسم سياستها الداخلية. وفي الافق مشروع طويل الامد أطلق عليه شعبياً اسم "ابيرتورا"، أي "المدخل"، وهو يشير الى اعادة استيعاب الاحزاب المعارضة في التركيبة السياسية. لكن المستقبل وحده كفيل باظهار جدية هذه الخطة والوقت الذي يلزم لتحقيقها.

طالما قال الهازئون ان البرازيل بلد ذو مستقبل عظيم، وانه سوف يبقى هكذا على الدوام، أي من غير أن يحقق ذاته.

ولكن يبدو أن هزء هؤلاء أخذ ينقلب عليهم. فالبرازيليون اليوم مصممون على تحقيق الامكانات الهائلة التي تزخر بها بلادهم، ونقلها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل.

■ جاي ميلين



نبوءة فورد

قال هنري فورد، مؤسس شركة "فورد" الشهيرة للسيارات، في مقابلة أجريت معه عام ١٩٢٩: "يمكننا استخراج الوقود من الفاكهة... من التفاح والطحالب ونشارة الخشب والسمّاق النامي على جوانب الطرق، ومن أي شيء آخر تقريباً! وكل ذرة خضر يمكن تخميرها تنطوي على مادة وقودية. ان حقلا من البطاطا ينتج كمية كحول كافية لتسيير الآلة التي تفلح الحقل مئة سنة. ولكن يبقى أن يبتكر أحدنا طريقة لانتاج هذا الوقود وتسويقه تجارياً، بحيث يحل مكان الوقود الحالي لتفوّقه عليه ورخصه".

صحيفة "هاروسميث"، كندا

كورسيكي في فرنسا

صادف رجل من جزيرة كورسيكا الفرنسية صديقاً قديماً، فبادره هذا بقوله: "هل سمعت الانباء الاخيرة؟"

- كلا! وماذا تقول؟

"يبدو أن الناس على الارض الفرنسية الأم يلتقطون المال بالمجرفة".


- انك تهذي.

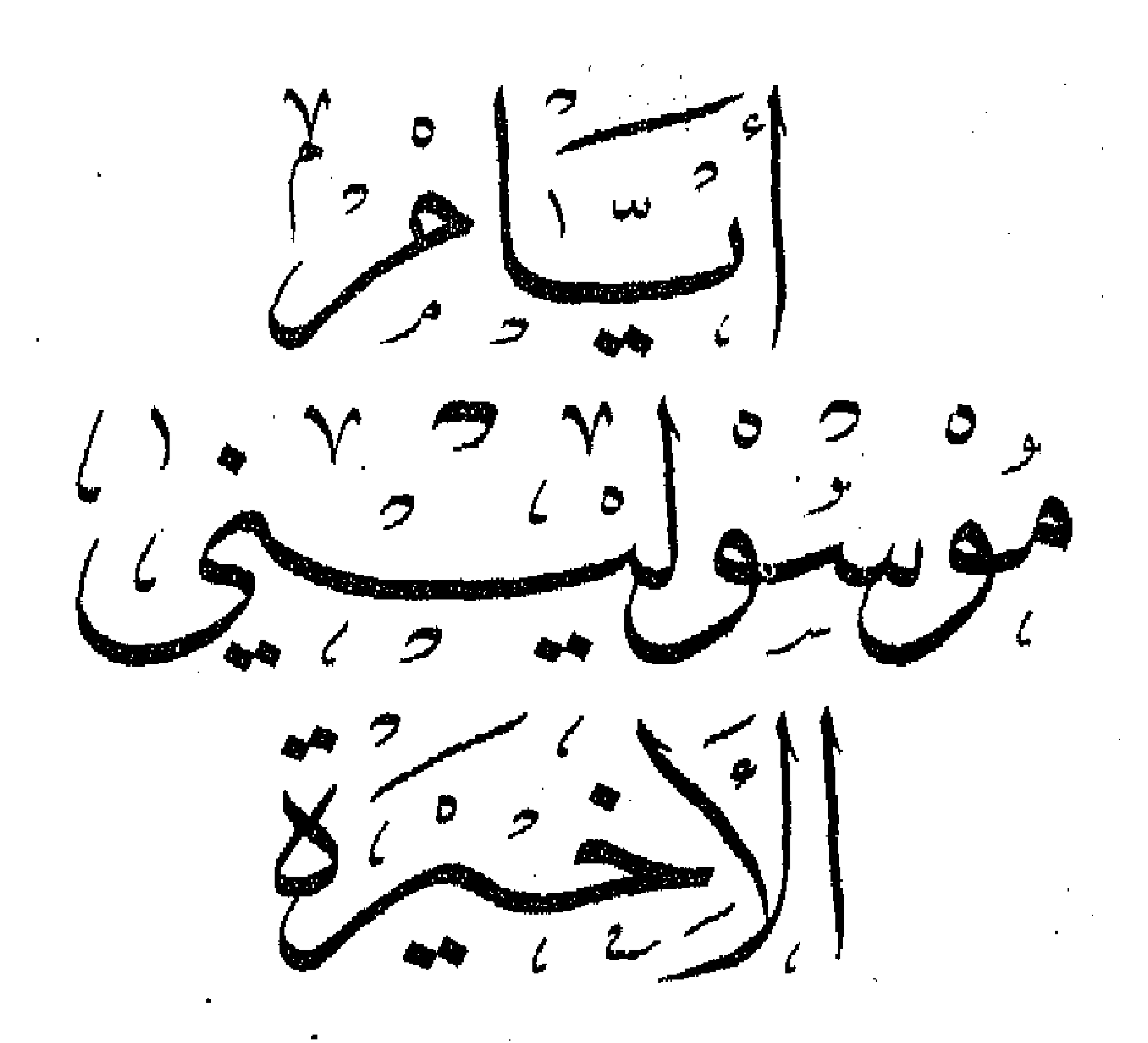
"لا بل أؤكد لك أنها الحقيقة".

وفي اليوم التالي ركب صاحبنا الباخرة الى مرسيليا. وما أن وطىء رصيف الميناء حتى عثر على قطعة نقدية من فئة المئة فرنك. وللحال تذكر ما أخبره اياه صديقه عن التقاط المال بالمجرفة. فترك ورقة المئة فرنك مكانها وهو يقول في نفسه: "حسناً! يجدر بي ألا أبدأ العمل في اليوم الاول لوصولي".

مجلة "لوي"، فرنسا

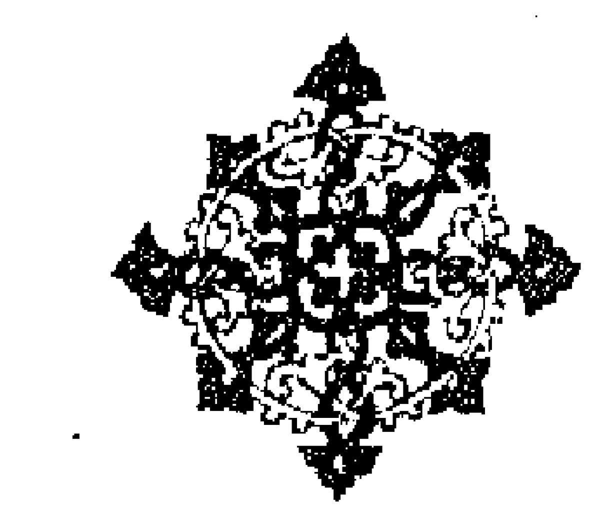

نحوّل همسك صراخاً...
النهار العربي والدولي


كتاب الشهر
أيام موسوليني الأخيرة
ملخص من كتاب
بقلم ريتشارد كولير



في وقت من الاوقات، كان بنيتو موسوليني، أبو الفاشية، يقف على شرفة مقره في روما أمام الجماهير المحتشدة لتحيته. وبدا "الدوتشي"، أي "القائد" كما كانوا يحيونه، قيصر الأزمنة الحديثة في أعين كثيرين من أنصاره.
لكن تحالفه مع النازية جر الهزيمة على ايطاليا وجعله دمية في يدي هتلر.

هنا يعيد ريتشارد كوليير صياغة الأحداث المروعة التي شهدتها المرحلة الأخيرة من حياة موسوليني، اعتماداً على مئات المقابلات الشخصية. وهي أحداث تكشف النقاب عن مرحلة حاسمة من الحرب العالمية الثانية



في قصر فينيزيا، مقر الحكومة الايطالية في روما، اجتمع أعضاء المجلس الاعلى ومعظمهم على حس بالخطر الداهم. وكان أحدهم، دينو غراندي، صرف الساعات الاثنتين والسبعين الماضية يوزع عليهم جدول أعمال للجلسة. واذا أُقرّ هذا الجدول، فهذا يعني تجريد بنيتو موسوليني، حاكم ايطاليا الديكتاتوري طوال السنوات العشرين المنصرمة، من جميع سلطاته.

وإذ يتصرف المجلس على هذا النحو، وهو مؤلف من ٢٨ عضواً بينهم وزراء وفاشيون بارزون، فهو إنما يمارس حقاً منحه إياه دستور البلاد. هذا من ناحية نظرية. لكن موسوليني، في الواقع، طالما هيمن على المجلس وحمل اعضاءه على الاذعان. وحين أعلن الحرب على بريطانيا وفرنسا في يونيو (حزيران) ١٩٤٠ تأييداً لحليفه ادولف هتلر، فهو لم يستشر أحداً من أعضاء المجلس.

وفي ذلك الاجتماع الاخير الحاسم، راح أحدهم يختلس النظر الى الآخر وهو يتساءل عما اذا كان غراندي سيتجرأ على طرح جدول أعماله وكيف سيحاول موسوليني التغلب عليه. أما غراندي نفسه فقد دخل القاعة وهو على استعداد لمواجهة أسوأ الاحتمالات، إذ علق قنبلة يدوية بفخذه ليقتل نفسه في حال استدعاء أفراد الميليشيا للقبض عليه.

وانطلقت تحية "سالوتو آل دوتشي" فيما كان موسوليني يدخل القاعة مرتدياً بزة قائد الميليشيا الأعلى ذات النسيج المقصب على الكتفين. وبدا رأسه الكروي الحليق وفكه البارز كعهدهما، وإن يكن صدره الضخم ضمر قليلا. وأدى الرجال التحية الرومانية الصارمة دونما تفكير في ما يفعلون، ثم أخذ كل مكانه حول طاولة نصف دائرية.

وكان محبو موسوليني والمتملقون له على السواء حذروه، طوال أشهر، من مكيدة يدبرها له أعضاء هذا المجلس. وقبل يوم واحد، قدم اليه قائد الشرطة ملفاً كاملا حول اجتماعات سرية لهذا الغرض، لكن الدوتشي وضعه جانباً وهو يقول: "هؤلاء الرجال موجودون لأني أنا موجود، وهم يعيشون في ظل مجدي. ويكفي أن ألقي خطاباً واحداً كي أحملهم على الخضوع".

أجل! هذا كان يصح في الماضي. والحق أن قدرة موسوليني على الخطابة الحماسية ميزته عن سائر أترابه وهو حدث بعد. وذات يوم سمعته أمه ينطلق بحديث مسرحي صاخب وهو وحده في غرفة النوم، فظنته جن. إلا أن بنيتو الصغير هدأ من روعها قائلا: "اني أعد العدة ليوم تهتز ايطاليا كلها على صوت كلماتي".

وكان موسوليني عنيفاً بطبيعته، وقد طرد من المدرسة لأنه طعن رفيقاً له بسكين كما كان متعطشاً الى السلطة، واستغل الفوضى الاجتماعية التي سادت ايطاليا في أعقاب الحرب العالمية الاولى. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢، زحف على رأس الميليشيا الفاشية الى روما، فارضاً حكومة من الفاشيست على الملك

فيتوريو ايمانويل الثالث، ومنذ ذلك الحين غدا لقب موسوليني "الدوتشي"، أي القائد، مما يعني عصمته عن الخطأ.

لكن الأمجاد الاولى، ومنها اخضاع اثيوبيا عام ١٩٣٦ واعلان "الامبراطورية الرومانية الثانية" وسط صيحات ٤٠٠ ألف محتشد: "يحيا الدوتشي"، ضاعت كلها الآن في فوضى الحرب العالمية الثانية. فقد مُني جيشه بهزيمة في شمال افريقيا، وهلك القسم الأكبر من قواته الجوية والبحرية، وباتت روما عرضة لقصف الطائرات. وقبل اسبوعين (التاسع من يوليو - تموز ١٩٤٣) أنزل الحلفاء عدداً من الجند في صقلية.

في اجتماع المجلس الاعلى ذاك، تكلم موسوليني نحواً من ساعتين بنبرة خطابية مملة، محاولا تبرير تحالفه مع المانيا وسياسته الحربية ومعززاً موقفه بالأرقام. فأشار الى الكميات الهائلةمن المواد الخام التي تم استيرادها من المانيا منذ ١٩٤٠، والاسلحة التي صُنعت محلياً في الأشهر الأحد والثلاثين الأخيرة. ولكن تبين من كلامه أن الجيش لم يبقَ فيه سوى فرقتين قويتين، وان عدد طائرات السلاح الجوي أصبح مئتين ،وان البحرية لم تعد تجسر على القتال. إلا أنه تجنب الخوض في هذه الامور وانتقل الى مسائل غير ذات بال.

والحق أن وضع موسوليني النفسي كان مضطرباً في الآونة الأخيرة. وعندما استسلمت قوات المحور في افريقيا في ١٣ مايو (ايار)، ذهب الى منزله الصيفي حيث أمضى أياماً يجمع قصاصات من الصحف ويعلم بالحبر الازرق أو الاحمر تحت المقالات. وكان موسوليني اداريا من الطراز الأول، لا يعرف الوهن سبيلا اليه. أما الآن فبات يتوانى أسابيع قبل اتخاذ قرار مهم.

وراح يذرع القاعة فيما أعضاء المجلس الاعلى يتهامسون. أما دينو غراندي فضاق ذرعاً بالانتظار. وكان قد استشار ١٤ شخصاً من أعضاء المجلس الثمانية والعشرين، فوافق اثنا عشر منهم على مشروعه. وأخيراً حان دوره للكلام. انها الفرصة الوحيدة لتحقيق غايته.

نهض غراندي واستهل الكلام: "ان الشعب الايطالي خانه موسوليني يوم بدأ جرمنة ايطاليا. هذا هو الرجل الذي قادنا الى أحضان هتلر وجرنا الى حرب تتحدى كرامة الشعب الايطالي ومصالحه ومشاعره".

وبدت القاعة الكبيرة أشبه بمسرح للموت. أيمكن رجلا أن يخبر موسوليني الحقيقة العارية ويبقى حياً؟ أما الدوتشي فغرق في مقعده على المنصة بلا حراك ويداه تحجبان عينيه.

وأضاف غراندي بنبرة حاقدة: "دعني أخبرك أن ايطاليا ضيعت ذاتها يوم وضعت شارة الماريشال على قبعتك. اخلع هذه الزينة المضحكة. انزع عنك هذه الرياش. كن زعيمنا نحن من جديد".

وجلس غراندي في مكانه بعدما دام حديثه ساعة كاملة. وتكلم آخرون، من غير مناقشة تُذكر. وفي منتصف الليل اقترح موسوليني تأجيل

الجلسة حتى اليوم التالي. لكن غراندي قاطعه قائلا: "كلا، كلا! يجب أن نتخذ قرارنا الليلة. لنبقَ هنا ونطرح القرار على التصويت".

ورفعت الجلسة ١٥ دقيقة حصل خلالها غراندي على تواقيع اضافية، بحيث أصبح مؤيدو مشروعه ١٩ عضواً.

ولما عاد الجميع الى مقاعدهم استأنف موسوليني كلامه، محاولا اثارة الشفقة هذه المرة. وأعلن مسؤوليته الكاملة عن الحرب وتكلم عن انجازاته طوال عشرين سنة، قائلا انه يحسن به "انهاء هذه المهمة الرائعة" وهو في الستين من عمره. لكنه ما لبث أن استعاد ثقته، فأضاف: "الا أني لن أقدم على هذا الأمر. فالملك معي، كذلك الشعب. وغداً سأخبر الملك عن هذا الاجتماع. واني لأتساءل ما الذي سيحدث غداً لاولئك الذين وقفوا ضدي هذه الليلة".

وصرخ غراندي: "يا لها من خديعة! انه يرغمنا على الاختيار بين ولائنا القديم لشخصه والولاء لايطاليا. ولكن، أيها السادة، لا يمكننا التردد: اننا نختار ايطاليا!"

وبدأ التصويت. وتحسس غراندي القنبلة على فخذه وتذكر مخاوفه الاولى: ان الدوتشي سيعتقلهم جميعاً.

وغلف الصمت القاعة بينما كانت الاصوات تفرز. وأخيراً أعلنت النتيجة: "تسعة عشر صوتاً مع الاقتراح، سبعة ضده، واحد ممتنع". (وكان أحد الاعضاء صوت على مشروع اقترحه شخصيا).

ورفع موسوليني رأسه قليلا وقال: "لقد أقر مشروع غراندي وأقفلت الجلسة". وحدق الى غراندي بعينين حاقدتين وهو يقول: "لقد قتلت الفاشية".

"أصابته قذيفة مدفع"

عصر اليوم التالي انطلق سائق سيارة موسوليني عبر شوارع روما، حاملا الدوتشي الى فيلا سافويا، قصر الملك فيتوريو ايمانويل الذي يبعد نحو ثلاثة كيلومترات ونصف كيلومتر عن وسط العاصمة ويقوم على أرض مساحتها ١٢١ هكتاراً.

واستعاد موسوليني تبجحه الديكتاتوري بعدما زال خوفه. وقال لقائد الميليشيا: "لقد كان الملك الى جانبي على الدوام". ورفض اعتقال المنشقين، قائلا لأحد مؤيدي غراندي: "ان قراركم لا أهمية له على الاطلاق. فالمجلس الاعلى يلتئم لابداء الرأي فقط. واني متأكد من هذا بعد مراجعة القوانين".

وللملك، كما للمجلس، حق المطالبة باقالة موسوليني. لكن الملك، كلما واجهه هذا الأمر، كان يغض النظر عنه محاولا انقاذ سلالة سافوي التي دام ملكها ألف سنة، ومتذرعاً بالآتي: "اني اقف مع موسوليني لأنه صاحب حظ، سواء أكان محقاً أم مخطئاً".

وكان موسوليني، حفاظاً على الشكليات، يقصد القصر مرتين في الاسبوع حاملا الوثائق والمراسيم الى الملك لتوقيعها.

أما الملك فكان يعيش منعزلا في قصره الريفي، مما غربه عن الشعب. لكنه في التاسع عشر من يوليو (تموز)، اليوم الذي قصفت روما

• للمرة الاولى، زار المدينة. وانهال الناس عليه بعبارات الاحتجاج وهم يخرجون بمشقة من بين الركام. وشحب وجه فيتوريو ايمانويل من هول الصدمة. وفي تلك اللحظة أدرك أن موسوليني يجب ان يُنحى.

ولدى اقتراب سائق الدوتشي من قصر الملك أعطى اشارته المعهودة، وهي اطلاق نفير السيارة مرتين. وكالعادة أيضاً، بقيت سيارات الشرطة الثلاث المرافقة خارج البوابة بينما تابع السائق طريقه.

وكان النقيب في الشرطة، باولو فينييري، سمع نفير السيارة وهو على بعد نصف كيلومتر في الناحية الشمالية من القصر. وتلك كانت الاشارة التي ينتظرها هو وأعوانه المؤلفون من خمسين شرطياً متخفين في أرجاء القصر مع ثلاثة رجال استخبارات في ثياب مدنية وسيارة اسعاف تابعة للصليب الاحمر.

وأسرع موسوليني الى ردهة القصر وهو يقول: "لا بد من أن تكون سمعت، يا صاحب الجلالة، بالمزحة الصبيانية التي جرت ليلة أمس".

لكن الملك قاطعه قائلا: "انها ليست مزحة صبيانية على الاطلاق". وأخذ يذرع الردهة باهتياج ويداه خلف ظهره. وكان الملك في الثالثة والسبعين، وقد تجعد وجهه. وأضاف بينما كان موسوليني يعطيه محضر الجلسة: "لا حاجة الى هذا! إني أعرف كل شيء".

وقال الدوتشي: "يا صاحب الجلالة! إن صوت المجلس الأعلى لا قيمة له اطلاقاً".

وقاطعه الملك مرة اخرى وهو يعتذر كثيراً لعدم مشاركته في الرأي: "لا تظنن أن قرار المجلس لا يعبر عن شعور البلاد حيالك. انك اليوم مكروه أكثر من أي انسان آخر في ايطاليا. ولا يمكنك الاعتماد على صديق سواي".

وحاول موسوليني أن يفهم مغزى هذا الكلام، ثم قال بجهد: "اذا كنت على حق يا صاحب الجلالة، فهذا يعني أن علي تقديم استقالتي".

ـ دعني اخبرك أني أقبلها من غير شرط.

وفجأة ترنح موسوليني، كما تذكر الملك لاحقاً، "كرجل أصابته قذيفة مدفع". وغرق في أحد المقاعد وهو يتمتم: "إذاً، إنها النهاية".

وفي الخارج ركب النقيب فينييري سيارة الاسعاف. وراح يهبط التلة بهدوء الى أن توقف عند مدخل القصر.

وكان الملك استنكر بشدة أي اعتقال داخل حرم قصره: "لن يحصل هذا طالما بقي نفس في جسدي". ولكن قيل له ان اعتقال الدوتشي خارج القصر، على مرأى من حرسه، من شأنه احداث معركة دموية أو انقلاب فاشي مضاد، وربما أحدث حرباً أهلية. عندئذ لم يجب الملك بنعم أو لا، بل بسط يديه في حركة يائسة.

وتم الامر بسرعة. فبينما كان موسوليني وسكرتيره الخاص ينزلان السلم، اعترض النقيب فينييري طريقهما على نحو متعمد وخاطب موسوليني: "سعادة الدوتشي! لقد أمرني صاحب الجلالة بحماية شخصك". ونظر اليه موسوليني وهو لا

يصدق ما يرى، وأجاب: "لا حاجة الى هذا". وتابع نظره نحو سيارته. لكن فينييري أصر على موقفه، ثم صد طريق موسوليني وقاده برفق، ولكن بصلابة، نحو سيارة الاسعاف.

وما هي إلا دقائق حتى دخلت السيارة ثكنة بودغورا للشرطة. واقتيد موسوليني الى قاعة صغيرة. وبدا أنه قبل بما كتب له من غير انفعال، الا ان سكرتيره سأل وهو يرغي ويزبد غضباً: "ماذا يحصل اذا شاء الدوتشي أن يغادر هذا المكان؟"

فأجاب فينييري: "لا يمكنه الخروج من هنا".

وتابع السكرتير: "واذا أراد استعمال الهاتف؟"

فهز فينييري رأسه. وبعد دقائق دخل ضابط يحمل مدية يدوية أمرّها ثلاثاً على شريط الهاتف فقطعه وهو على طاولة جانبية.

خطط هتلر السوداء

في العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين قبل الظهر، انطلق عبر الراديو صوت مذيع الاخبار معلناً بنبرات مثيرة: "أيها الايطاليون! ان صاحب الجلالة، الملك - الامبراطور، قبل استقالة بنيتو موسوليني، وعين على رأس الحكومة الماريشال بيترو بادوغليو" (بطل حرب اثيوبيا).

وانتشر النبأ كعاصفة من نار على تلال روما السبع. وأسرع الناس يخابرون أقرباءهم والاصدقاء أو يصيحون فرحاً من نوافذ منازلهم. وخرجوا الى الارصفة، وبعضهم ما زال في ثياب النوم، يعانق أحدهم الآخر وسط الضحك والبكاء.

وقال حارس في سجن "ريجينا كويلي" لمعتقل سياسي: "أسمعت؟ لقد ولى موسوليني وجاء بادوغليو". وأضاف بسرعة: "الحق أني لم أكن فاشياً قط".

وفجأة بدا أنه لم يبقَ من فاشي في أي مكان. وغدت طريق "فيا نومنتانا" الشمالية حصيرة من الشارات الفاشية التي رماها أصحابها. أما مياه نهر التيبر الصفراء فعلتها مئات القمصان السود - وهي سترة الفاشيين - التي جرت نحو البحر.

ان المواطنين فعلوا في تلك الليلة ما لم يجرؤوا عليه طوال عشرين سنة. وأسرع بعضهم باهتياج الى مكاتب الحزب الفرعية، وهناك وضعوا الطاولات والكراسي ورسوم موسوليني بعضها فوق بعض وأضرموا فيها النار. ورفعت السلالم الطويلة على البنايات لازالة الشعارات الفاشية المقيتة. وصاح أحدهم عن قمة سلمه: "انظروا! ان الدوتشي قادم". وللحال تفرّق الجمع مذعوراً. إلا أن ذلك المواطن الظريف سرعان ما رمى تمثالا نصفياً لموسوليني عن شرفة منزله.

وفي الصباح التالي وصل النبأ الى الجنرال دوايت ديفيد آيزنهاور، قائد القوات الحليفة الذي كان في شمال افريقيا. وهو كان، ساعة بلوغ الخبر، يتناول الفطور مع رجلين مدنيين هما روبرت مورفي، مستشار الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت، وهارولد ماكميلان، الناطق باسم رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل. وتوقع آيزنهاور أن ينسحب



الايطاليون من الحرب سريعاً محافظين على كرامتهم.

وأجمل ماكميلان الأمر بالآتي: "ربما كان صحيحاً أن الايطاليين ينشدون السلام. ولكن كيف لهم أن يحصلوا عليه؟"

وخاطبهما آيزنهاور كمن يقدم نصحاً: "بوب، هارولد! صدقا أن ما جرى يعني انهيار البنية كلها".

ولكن في مكان أبعد الى الشمال ذلك اليوم نفسه، كان يجري وضع خطط سوداء. ذلك أن هتلر، خشية أن تنسحب ايطاليا من المحور، راح يخطط لانقلاب مضاد. وكانت هناك ثماني فرق قتال المانية على اهبة الاستعداد فوق التراب الايطالي يوم سقوط موسوليني. ومع فجر اليوم التالي كانت ثلاث فرق اخرى تعبر جبال الالب جنوباً وقد اعتمر افرادها خوذاً فولاذية كتب عليها: "يحيا موسوليني". وقرر ارسال قوات اضافية من أجل انقاذ الدوتشي.

في تلك الليلة استدعي النقيب اوتو سكورزني الى مقر الفوهور (هتلر). وكانت مواصفاته مثالية لتنفيذ الخطة. وهو رجل يبلغ طوله ١٩٣ سنتيمتراً ووزنه ٩١ كيلوغراماً، وفي خده أثر جرح خلفه عراك منذ أيام الطفولة. وكان سكورزني مدير مدرسة سرية غايتها تدريب عملاء للنازية على مهارات شتى تراوح بين الدفاع عن الذات وشن الهجمات التخريبية.

وقال هتلر بانفعال: "ان موسوليني، رفيقي الحميم في السلاح، خانه مليكه يوم أمس واعتقله مواطنون له. وسأكون أميناً للعهد الذي قطعته معه، فأعمل سريعاً على انقاذه".

وللحال انطلق سكورزني يملأ برلين بالرسائل البرقية والمخابرات الهاتفية، سعياً الى استدعاء خمسين عميلا من مدرسته يجيدون اللغة الايطالية. وأوصى بتأمين سترات عسكرية خاصة وبذلات مدنية وأسلحة وغازات مثيرة للضحك والبكاء و٣٠ كيلوغراماً من المتفجرات اللدنة، اضافة الى أوراق نقدية بريطانية مزورة وجبتين من تلك التي يرتديها الكهنة اليسوعيون.

ولدى دخولهم ايطاليا، واجه سكورزني وأعوانه بعض المصاعب. فقد وردت أنباء على مكتب الملحق الشرطي الالماني في روما، يقول بعضها ان موسوليني أقدم على الانتحار، وبعضها انه يستشفي من ازمة قلبية في أحد المستوصفات، بينما تقول أنباء اخرى انه على الجبهة الصقلية متنكر في ثياب مستعارة.

ولمناسبة عيد ميلاد موسوليني الستين، في ٢٩ يوليو (تموز)، أرسل اليه هتلر المجموعة الكاملة للفيلسوف والشاعر الالماني نيتشه مجلدة على نحو فاخر. وشاء قائد القطاع الالماني الجنوبي أن يسلمه الهدية باليد، فاتصل بالملك ورئيس الوزراء الجديد لتلك الغاية. لكن طلبه رُفض بعدما أكد له أن موسوليني في حال جيدة وانه يتمتع بحماية الملك الخاصة. ووعد رئيس الوزراء بادوغليو بأنه سيسلم موسوليني هدية الفوهور في الوقت المناسب.

وانقضى شهر على تلك المسألة،

الى أن أصابت الملحق الشرطي الالماني ضربة حظ. فهو كان من هواة التصوير الفوتوغرافي، وقد اعتاد أن يخرج بسيارته في الصباح الباكر لالتقاط الصور ومقابلة مخبر من وزارة الداخلية الايطالية. وفي نحو الأول من سبتمبر (أيلول) أعطاه المخبر رسالة مرمزة وجهها الى الوزارة أحد مفتشي الشرطة، وفيها الآتي: "لقد نفذت الاحتياطات الامنية حول غران ساسو ايطاليا".

مخبأ في الاعالي

غران ساسو هذا جبل تنتأ منه انوف، أحدها مونتي كورنو الذي يرتفع ٢٧٤٣ متراً فوق سطح البحر مما يجعله أعلى قمة في جبال الابنين الايطالية. وهو متوج بالثلوج ومليء بالمسالك الوعرة. ويتوسطه سهل على ارتفاع ١٩٨١ متراً، يقوم عليه فندق واحد يمكن بلوغه من الوادي تحته عبر سكة حديد. وقد أفادت المعلومات التي تلقاها سكورزني أن موسوليني يحتل الآن غرفة في ذلك الفندق المهجور وسط حراسة مشددة.

ووزع الخبير الالماني العمل على أعوانه الذين عرفوا ان العديد من افراد الشرطة الايطالية احتل بيوتاً ريفية حول قرية اسيرجي، في الوادي حيث ينطلق القطار، وأنهم أقاموا نقاط مراقبة على طول الطرق المؤدية الى فوق. وقد سُرّح موظفو الفندق من دون انذار، فيما مُنع طبيب الماني عسكري من ركوب القطار، تحت طائلة الاعتقال، ليرى ما اذا كان الفندق يصلح مركزاً للنقاهة يقصده مرضى الملاريا.

اذاً، موسوليني يجب أن يكون هناك. ولكن كيف الوصول اليه قبل نقله خلسة الى معتقل جديد.

واستبعدت فكرة شن هجوم أرضي على محطة القطار في الوادي لركوبه، اذ في امكان الشرطة تعطيل السكة بسهولة. كما استبعد الانزال المظلي لأن التيارات الهوائية العنيفة من شأنها طرح معظم المظليين في صدوع الجبل تحت القمة. ولم تبقَ سوى فكرة استخدام الطائرات الشراعية.

وصدر امر باعداد ١٢ طائرة شراعية مع ١٢ مركبة سحب، على أن تحمل كل طائرة عشرة رجال مسلحين من مظليين وأعوان للنقيب سكورزني. كما أوصي بتأمين طائرة استكشاف صغيرة من نوع "فيزلر - ستورتش"، وهي الطائرة الوحيدة، بعد الهليكوبتر، التي يمكن انزالها في مكان محصور. واذا تم كل شيء كما يرام، ففي استطاعة الطيار حمل "راكب مهم" معه في طريق العودة.

وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) اقلعت الطائرات من مطار في احدى ضواحي روما، وبلغت حدود مونتي كورنو في الثانية عصراً. وكان سكورزني على متن الطائرة الامامية.

وأخذ الطيار يهبط وهو يتفحص الارض تحته بعصبية، وليست لديه معلومات سابقة عن المكان سوى رسوم فوتوغرافية تبلغ مساحة الواحدة منها ٣٩ سنتيمتراً مربعاً. وبدا الفندق الى يساره أشبه بضبابة قاتمة تنتأ منها، الى الجنوب، شرفة تشبه قشرة بيضاء. وبدت الاجزاء الاخرى من المكان جرداء كسطح القمر. ولكن ظهرت الى الغرب بقعة

كالمرج قرر الطيار أنها المكان الوحيد الصالح للهبوط.

وما هو الا قليل حتى بدأت تلك الضبابة السوداء تكتسي شكلا واضحاً. وظهر المبنى على هيئة حدوة حصان. وحلقت الطائرة فوقه على خط مائل وارتفاع ١٢٢ متراً، فيما كان الرجال كالنمال يدخلون ويخرجون من ابوابه الرئيسية. وفي تلك اللحظة أمكن جميع الطيارين أن يبصروا المرج المثلث بوضوح، وهو كان عبارة عن منحدر للتزلج.

"لا تطلقوا النار"

في تلك اللحظة أيضاً، في الغرفة ٢٠١ من الفندق، كان الدوتشي يتكىء على طاولة خضراء قبالة راعي غنم محلي اسمه الفونسو نيسي. وكان المسؤولون عن الامن، قبل أربعة أيام، طلبوا الى نيسي البقاء في رفقة الدوتشي. ووافق صاحب القطيع على الامر، متغافلا عن الانفعال والغم اللذين كان الدوتشي يعانيهما.

والحق أن الرجل الذي رآه نيسي قبالته، ببذلته الزرقاء البراقة وحذائه العالي، لم يكن أكثر من فلاح مهزوم يلعن الأقدار. وفي الليلة الفائتة، بعد سماعه خبراً على الراديو يقول ان بادوغليو يريد تسليمه للحلفاء، حاول أن يشق معصمه الايسر بشفرة حلاقة. لكنه ما لبث أن استدعى حارساً عالج جرحه بصبغة اليود.

وادعى نيسي أنه يتمتع بموهبة لقراءة الحظ. ومن أجل الترفيه عن موسوليني، وضع على الطاولة مجموعة من ورق اللعب (الشدّة) وأخذ يدرس معالمها. ومع اقتراب الطائرات تفوه بالآتي: "سيتم انقاذك في ظروف مثيرة".

وانفجر الدوتشي بنوبة غضب صبيانية، وصفع الاوراق بيده فرماها عن الطاولة. وراح يصرخ مغتاظاً وقد تغضن وجهه ونفرت عيناه السوداوان الكبيرتان من وجهه الشاحب غير الحليق: "اذهب عني أنت ونبوتك الكاذبة! أتظن أني ساذج؟".

أما في الخارج، فما أن دنا الطيار الذي كان يحمل سكورزني من الارض حتى ارتفعت طائرته فجأة وكاد ركابها ان يسقطوا من مقاعدهم. ثم ما لبثت أن هبطت بعنف على بعد ١٨ مترا عن شرفة الفندق.

وفي داخل المبنى توصل حراس موسوليني الى قرار. وكانت الاوامر التي وجهتها اليهم القيادة تقضي باطلاق النار على موسوليني عند أول محاولة لانقاذه. لكن الحكومة الايطالية وقعت، في الثالث من سبتمبر (أيلول)، قراراً بالاستسلام للحلفاء. وفي ضوء هذا الوضع السياسي المضطرب وردود الفعل الالمانية، أوصت قيادة الشرطة في روما بالتزام "الحكمة القصوى".

وكان المفتش العام جوسيبي غويلي يستسلم لقيلولة، لكنه قفز من سريره فور دخول الملازم البرتو فيولا عليه. وسأله هذا: "ماذا نفعل؟" فأجاب غويلي: "ألقوا سلاحكم من غير مقاومة". ووقف الاثنان على النافذة يصرخان بأعلى صوتهما: "لا تطلقوا النار! لا تطلقوا النار".

وكان موسوليني واقفاً على نافذة غرفته ورأسه الاصلع ظاهر للعيان. ورأى ضابطاً ايطالياً استقدمه

سكورزني كي يخدع الحرس، فصاح به: "لا تسفك دم أحد".

وأخذت الطائرات تهبط واحدة بعد اخرى وأحذية الجند تقرقع على سلم الفندق الفولاذية، فيما كلاب الحراسة تنبح بجنون في مرابطها تحت المبنى. وما أن خرج الضابط من طائرته وشاهد موسوليني حتى بادر الى تحيته قائلا: "هايل دوتشي"، ثم زلت قدمه في حفرة وكسر رسغه.

وبلغ سكورزني المبنى الرئيسي، يتبعه ضابط صف قوي اسمه اوتو شفيرت. وأبصرا، عبر باب مفتوح، جندياً مكباً على جهاز ارسال. وللحال رفس شفيرت الجهاز بحذائه،وأتبع سكورزني تلك الرفسة باطلاق النار على الجهاز، فعزل الفندق عن العالم الخارجي.

وراح سكورزني يركض على الشرفة حتى وجد المدخل الرئيسي. وصدته مجموعة من رجال الشرطة الايطالية الذين كانوا يحاولون الهرب. وأطلق النار مرة اخرى ليشق طريقه وسطهم. وتبعه شفيرت وهو يصيح: "ارفعوا أيديكم".

وصعد سكورزني الى الغرفة ٢٠١ واقتحم بابها. وألقى نظرة واحدة سريعة شاهد فيها غرفة صغيرة تحوي علاقة للقبعات وخزانة ثياب وحماماً ذا بلاط أصفر وسريراً مزدوجاً ومقعداً جلدياً ورسماً لابن موسوليني، برونو، الذي قتل في حادث طائرة عام ١٩٤١.ووسط الغرفة وقف ثلاثة رجال يحدقون اليه من غير أن يقووا على الكلام، وهم الضابطان الايطاليان غويلي وفيولا وموسوليني نفسه.

وقال سكورزني: "سعادة الدوتشي! لقد أرسلني الفوهرر لانقاذك! أنت الآن حر". وطوقه موسوليني بذراعيه وقبله قائلا: "كنت أدري أن صديقي أدولف هتلر لن يخذلني".

دافع التسلط

في الوقت الذي أغير على الفندق، نزل المظليون في اسيرجي واحتلوا محطة القطار. وهذا مكن الالمان من ركوب القطار برفقة أسراهم الايطاليين. لكنهم أحجموا عن أخذ موسوليني بتلك الطريقة عبر ١٦٠ كيلومتراً من أرض لا يعرفون عنها شيئاً. وكانت الطريقة الوحيدة لاخراجه من ذلك المكان حمله بطائرة الاستكشاف الصغيرة.

وكانت طائرة استكشاف اخرى حطت عند نهاية السكة الحديد لحمل سكورزني الى روما، على أن يذهب من هناك، ومعه الدوتشي، في راجمة قنابل من نوع "هنكل" تحملهما الى فيينا. الا ان الطيار خاطبه عبر الراديو قائلا ان عطلا طرأ على احدى عجلات طائرته.

واتخذ سكورزني قراراً سريعاً يقضي بأن يغادر المكان هو والدوتشي معاً. لكن الطيار، هنريخ غيرلاخ، رفض الاذعان لذلك الامر. فالطائرة تكاد تعجز عن حمل راكب واحد، فكيف بثلاثة بينهم سكورزني نفسه الذي يزن ٩١ كيلوغراماً؟ غير أن سكورزني أصر على موقفه.

وراح غيرلاخ، وقد ركبه الهم، يذرع المنحدر الضيق الذي أزال الجنود حجاره الضخمة. ونظر فوقه، فرأى قمة مونتي كورنو وقد اشرأبت

في وجه السماء الخريفية. واذا شاء الاقلاع، فلا بد من أن يدرج بطائرته فوق سطح الارض مخلفاً وراءه ريح الشمال الغادرة، ويتجه مباشرة نحو ثغر الوادي الشديد الانحدار. واذا أسعفه الحظ، فان الطائرة ستكون ارتفعت لدى بلوغ الوادي. لكن هذا مستحيل اذا كان سكورزني على متنها. وعاد الى سكورزني غاضباً وشرح له المسألة. الا أن هذا لم يتراجع قيد شعرة عن موقفه. فمهما حل بالدوتشي يجب أن يحل به أيضاً. وان هتلر لن يرضى بغير هذا. وأخيراً صاح غيرلاخ قائلا: "بحق السماء، تقدما! لكنني لست مسؤولا عما يحدث".

وتسلق سكورزني الطائرة بمعطفه البالي وقلنسوته القاتمة، وجلس وراء مقعد القيادة. وتبعه موسوليني. وما أن تحركت الطائرة حتى أطلق المظليون تحية "يحيا الدوتشي" التي تلاشت وسط هدير المحرك. وانحدرت الطائرة بقوة نحو الوادي.

وعلى بعد خمسة أمتار من ثغر الوادي، حاول غيرلاخ رفع الطائرة، لكنه لم يستطع. واصطدمت العجلة اليمنى بصخرة محدثة دوياً هائلا، فيما انحدر الجناح الايسر على نحو مفاجيء. وبعد ذلك هبطت الطائرة نحو الوادي كمصعد تعسرت السيطرة عليه.

وصاح سكورزني بأعلى صوته. أما موسوليني فبقي صامتاً. وظل غيرلاخ يهبط بالطائرة حتى وصلت الى علو ٣٠ متراً عن الارض، وهي تسرع على غير هدى منقضة على المزارع والكروم.

وبدا أن موسوليني لم يضطرب البتة. ودهش سكورزني حين سمعه يتكلم دونما انقطاع، كدليل سياحي، وهو يشير الى الامكنة التي تعبرها الطائرة: "هذه اكيلا. هنا خاطبت حشداً كبيراً قبل عشرين سنة..."

وفي نحو الخامسة والنصف عصراً هبطت الطائرة في مكان قريب من روما وقد هدتها الرحلة وانهار جانبها الايمن.

ومد موسوليني يده الى غيرلاخ وصافحه بقوة، قائلا بالالمانية، وهي لغة سيحتاج الى اجادتها الآن: "أشكرك على حياتي".

"إنك طيب القلب"

وصل موسوليني الى راستنبورغ (المانيا) في ١٥ سبتمبر (أيلول)، وكان هتلر في لقائه. وكان اجتماع شمل الزعيمين الديكتاتورين حميماً. وسحت الدموع من عيني موسوليني وهو يهبط سلم الطائرة، وقال: "أخي الفوهرر! كيف لي أن أشكرك على كل ما فعلته من أجلي؟" وتأثر هتلر هو الآخر، وتقدم من موسوليني يصافحه بحرارة.

لكن الجو تبدل في غرفة هتلر الخاصة. فقد بادر موسوليني بالسؤال الآتي: "قل لي ما هي هذه الفاشية التي تذوب كما الجليد تحت الشمس؟" وراح موسوليني يصغي بصمت وقد هده الضنى. ولم تسمح له حاله السيئة بالبحث في المسألة الايطالية.

الا ان هتلر كان قد رسم خططه. وهي كانت تقضي بأن يعلن

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية أو الإنجليزية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً وهو بدل الاشتراك بـ ١٢ عدداً لمدة سنة، إلى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل
ص.ب ١٤٣٤
بيروت - لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر



صدرت "سمّور" مجلة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عالم الصّغار.

ثمان واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

وكل عدد من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة ومفيدة ومسلية

الدراجة الطائرة، وقصة كرة القدم وقوانين هذه اللعبة الشعبية مزدانة برسوم جميلة، والقيثار الكهربائي والاصوات القوية التي يحدثها وغيرها من المواضيع في التاريخ الطبيعي والتسلية. كل ذلك كي تضفي جوّا مليئا بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩ - ١٥ عامًا.

الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائمًا.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.



موسوليني الغاء الملكية واحلال دولة فاشية ايطالية محلها تكون فيها جميع السلطات في يدي الدوتشي. وأضاف هتلر: "بهذا تكون أنجزت هدف التحالف الالماني - الايطالي".

وهز موسوليني رأسه بوهن. فهو كان يحتاج الى وقت للتأمل. لكن ذلك لم يكن يجدي، لأن هتلر حزم أمره.

وقدم الفوهرر شروطاً اخرى. فقد كان من أعضاء المجلس الايطالي الاعلى الكونت غيلياتسو شيانو، زوج ايدا ابنة موسوليني. وهو سياسي ماكر وصل سريعاً الى منصب وزير الخارجية وبذل الكثير من أجل رمي موسوليني في أحضان الالمان. الا أنه، في اجتماع المجلس الاعلى الحاسم، تنكر لهتلر ومخاتلته التي أوقعت ايطاليا في حرب شعواء.

وأصر هتلر على معاقبة أعضاء المجلس الاعلى الذين ما برحوا داخل البلاد، ولاسيما شيانو "الذي يفوقهم أربعة أضعاف من حيث الخيانة". وكان الالمان اعتقلوه ووضعوه في فيلا بالقرب من مدينة ميونيخ.

واعترض موسوليني بشدة: "هذا زوج ابنتي التي أعبدها. انه والد أحفادي".

وأجابه هتلر بنبرة حاقدة لا تعرف الصفح: "دوتشي! أنت طيب القلب كثيراً ولا يمكنك أن تكون ديكتاتوراً قط".



عند هذا الحد قطع هتلر الاجتماع. لكنه في اليوم التالي تكلم بحزم، ذاكراً البديل الذي سيلجأ اليه في حال عدم تحقيق شروطه. تكلم عن أسلحة جديدة "جهنمية" صُنعت لتدمير لندن، وأضاف وقد بلغ به الغضب: "أنت تقرر ما إذا كان استعمال هذه الاسلحة سيتم في لندن، أو في ميلانو وجنوا وتورينو. واذ ذاك ستحسد ايطاليا الشمالية مصير بولونيا. أما شيانو فلن نعطيك اياه، بل سيعلق هنا في المانيا".

وفي الثامن عشر من سبتمبر (ايلول) خاطب موسوليني الشعب الايطالي عبر الاذاعة داعياً اياه الى توحيد الصفوف تحت لوائه. وهكذا ظهرت الى الوجود "جمهورية سالو"، نسبة الى بلدة على بحيرة غاردا التي تبعد ٤٨٠ كيلومتراً عن روما، وهي البلدة التي جعل فيها موسوليني مقره الجديد. لكن تلك "الجمهورية" بدت مسخاً حتى في عيني هتلر الذي تكهن، بجملة واحدة، بالايام الـ٥٩٤ التي كان مقيضاً لموسوليني أن يقضيها في ولايته الجديدة، اذ قال لأحد معاونيه: "ان الدوتشي ليس له مستقبل سياسي عظيم".

نهاية دموية رهيبة

أعيد شيانو الى ايطاليا في ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) واحتجز في سجن فيرونا الذي يعود الى القرن السادس عشر. وسجن خمسة أعضاء آخرون من المجلس الاعلى في مراكز قريبة. وفي ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) اتخذ مؤتمر الحزب الفاشي قرارا اجماعيا باعدامهم.

واستغاثت ايدا شيانو بأبيها كي يطلق زوجها. لكن موسوليني أجابها ـ وهو يتكلم من موقف ضعف ـ أنه لا يمكنه التدخل من أجل مسألة عائلية. فالقانون فوق الجميع. وأضاف أنه صفح لصهره، أما الآخرون فلم يصفحوا. وكان هتلر على أحر من الجمر ليرى انكان حليفه سيستطيع المضي في هذا الامر. أما موسوليني فكان من الركاكة بحيث لم يتجاسر على اظهار العطف والرحمة.

وكانت راشيل، زوجة موسوليني، تعارض العفو هي أيضاً. وقد صرخت في وجه صهرها قبل اعتقاله: "أتظن أن الدوتشي قطعة أثاث تحيلها على القبو عندما تملها؟" ومنذ ما لحقت بزوجها على بحيرة غاردا، لم تنفك عن الاصرار على أن شيانو يجب أن يمثل أمام المحكمة.

وبدأت محاكمة أعضاء المجلس الاعلى الستة الحاضرين في ٨ يناير (كانون الثاني). وفي اليوم الثاني للمشاورات، مُلئت المقاعد الخلفية في المحكمة بذوي السترات السود الذين شهروا أسلحتهم ليسدوا مداخل القاعة. وقال أحدهم لمحام هناك: "اعذرونا على هذا الامر، وتأكدوا أنه لا شيء لدينا ضدكم. ولكن اذا برىء هؤلاء السادةمن الجرم، فان وظيفتنا انهاء المسألة بأنفسنا. وتذكر أنت وزملاؤك أن تخفضوا رؤوسكم وتتواروا في الوقت المناسب".

وجاءت النتيجة كما هو متوقع، إذ دين الرجال الستة وحكموا

بالاعدام·وأبدل حكم واحد بعدما استأنف صاحبه الدعوى، فأصبح ثلاثين سنة سجناً· أما الخمسة الآخرون، وبينهم شيانو، فأعدموا رميا بالرصاص في ١١ يناير (كانون الثاني)· وقد أطلقت النار عليهم فرقة مؤلفةمن ثلاثين رجلا وقفوا على بعد ١٠ متراً وصوبوا بنادقهم على الرجال الموثقين··· كانت نهاية دموية ومروعة حقاً·

وبعد أيام من الحادث، قام الاب جوسيبي شيوت، كاهن سجن فيرونا الذي أمضى مع المتهمين ليلتهم الاخيرة على الارض، بزيارة موسوليني·

وبادره موسوليني: "كيف مرت تلك المأساة؟"

فأجاب الكاهن: "كما أردتها"· وقبل أن يترك للدوتشي مجالا للتنصل قال له انه خلط بين خيانة الفاشية وخيانة ايطاليا· وأضاف: "ان الشعب الايطالي، منذ زمن طويل، يميز بين الاثنتين"·

ووضع موسوليني رأسه بين يديه وهو لا يحس أنه الدوتشي الآن· وتوسل الى الكاهن وهو يلعق شفتيه: "كيف أمضوا الليلة الاخيرة؟"

وأخبره الكاهن أنهم كانوا جميعاً قريبين الى الله· وقد اجتمعوا في زنزانة واحدة يتذاكرون حوار أفلاطون الشهير حول خلود الروح· أما شيانو فبقي حاقداً على عمه لأنه لم يلتفت الى طلب الرحمة· لكن واحداً من الاربعة الآخرين حثه على الغفران وهو يطوقه بذراعه ويذكره بأنهم سيتلاقون كلهم قريباً أمام عرش الله·

وأجابه شيانو: "إنك على حق· أجل، ان ريحاً واحدة تعصف بنا جميعاً"· ثم قال للكاهن: "أخبر عائلتي أني اواجه موتي دونما حقد على أحد"·

وقاطعه موسوليني وهو يرتجف: "أخبر عائلتي، قال لك؟"·

- أجل! وهو يعنيكأنت أيضاً·

وحدق موسوليني الى الكاهن، ثم انفجر الحزن داخله كماالنزف وانحنى بثقله وهو يشهق ويبكي·

والواقع أن موسوليني لم يرَ قط العريضة التي رفعها اليه السجناء· وكان انتظرها طوال الليل، لكن اولئك الذين استنكروا مبدأ العفو أخفوها عنه·

وقبض الدوتشي على يدي الكاهن وعيناه مبللتان بالدمع، وحاول أن يبتسم· وسأله متضرعاً: "لقد غفروا لي، أليس كذلك؟" وبعد هنيهة أضاف: "لا تخبر أحداً عما حصل هنا"·

ونظر الاب شيوت الى موسوليني وهو يقول لنفسه: "انه يبتسم كطفل، تماماً كما فعل سجناء فيرونا في ساعاتهم الاخيرة"·

الزوجة والعشيقة

ان موسوليني، الذي كان معجباً بالقوة النازية يوماً ما، رزح تحت عبئها الآن· فالالمان لم يكتفوا باختيار مكان اقامته على بحيرة غاردا، بل وضعوا ثلاثين رجلا لحراسته نهاراً وليلا· وأقيمت نقاط مراقبة عزلته عن العالم الخارجي الذي كان السبيل الوحيد لبلوغه خط الهاتف العسكري الالماني المراقب باستمرار·

وبات جيش موسوليني في وضع مشوش. وقد عادت ثلاثة ألوية جديدة من المانيا، ولكن من غير عتاد. وقال موسوليني متذمراً: "انهم يرفضون أن يكون لجمهوريتي جيشها الخاص". وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٤٣، قام سكان نابولي بانتفاضة علنية ضد سيطرة النازيين. واعتصم الالوف منهم بالجبال، وبينهم العديد من الشيوعيين والاشتراكيين، مكونين أول قوة غير نظامية من ٤٠٠ ألف رجل.

وكان منزل موسوليني في الماضي يمنحه السلام وسط بحر من الفوضى. وكانت زوجته راشيل تعنى بشؤون المنزل، حتى انها كانت ترتدي المئزر وتنجز أعمال المطبخ وتعتني بالدجاج في الحديقة الخلفية. لكن السكينة فارقت ربة المنزل لدى اكتشافها أن عشيقة زوجها، كلارا بيتاتشي، تقيم على بحيرة غاردا هي الاخرى.

وكانت كلارا هذه ابنة طبيب مرموق في حاضرة الفاتيكان، وهي أحبت الدوتشي طوال حياتها حتى العبادة. وطالما خلدت الى النوم في طفولتها وهي تضع صورته تحت وسادتها. وحفظت خطاباته عن ظهر قلب وأرسلت اليه القصائد ودعته الى عيد ميلادها الرابع عشر.

لكن لقاءهما الاول تم في العام ١٩٣٣، وهي في الحادية والعشرين. وفي الاشهر القليلة اللاحقة دعاها موسوليني الى القصر أكثر من عشر مرات. وتزوجت كلاريتا عام ١٩٣٤ ملازماً شاباً، لكنها ما لبثت أن انفصلت عنه بعد سنتين. وغدت زياراتها اليومية الى قصر فينيزيا حديث الألسن. الا أن راشيل لم تعرف حقيقة الأمر إلا بعد اعتقال موسوليني. وكانت على علم بوجود نساء عابرات في حياة الدوتشي. أما أن تكون هناك علاقة استمرت سبع سنوات فهي كانت تجهل ذلك تماماً.

واغتاظت راشيل لدى معرفتها بالأمر وأزمعت على المكاشفة. وارتدت لباساً أنيقاً وقصدت فيلا كلاريتا يرافقها وزير الداخلية وسيارة عسكرية تحمل خمسين شرطياً. وللحال اتصل فرانز شبوغلر، حارس كلاريتا الخاص، بموسوليني، وشرح له الموقف وهو يسمع لهاثه على الخط الآخر. لكن الدوتشي قال أخيراً بلهجة بطولية: "لا مانع لدي من أن تجتمع الاثنتان. ولكن اذا رفعت احداهن صوتها، فعليك أن تضع حداً لذلك".

ونظر شبوغلر خارجاً، فرأى راشيل تحاول تسلق البوابة الحديد التي ترتفع مترين وثلاثة أرباع المتر، في حين كان وزير الداخلية يصدها متوسلا: "انزلي يا صاحبة السعادة". وما لبث شبوغلر أن فتح لها الباب وأدخلها. وفي تلك الاثناء كان موسوليني قد خابر كلاريتا التي ارتدت أفضل ملابسها، مع معطف من الفرو وجواهر، لتثير الغيرة في نفس غريمتها. وقال شبوغلر لنفسه: "هذا من شأنه أن يقتل".

وهو لم يخطىء في ظنه. ذلك أن راشيل بادرته: "هكذا ترتدي الغانية التي يحتفظ بها سيد البلاط".

وما أن سمعت كلاريتا عبارة "غانية" حتى ثارت ثائرتها وصاحت: "انها مجنونة خطيرة. اطردها من

هنا" . وللحال تلاشت وسقطت أرضاً .
ولم تأبه راشيل لما حصل . لكنها انتظرت ابلال كلاريتا قبل أن تستأنف هجومها . وطلبت اليها ، من أجلها شخصيا ومن أجل ايطاليا ، انهاء تلك العلاقة .

ودافعت المرأة الشابة عن موقفها . فالدوتشي يحتاج اليها ويستمد منها عوناً روحياً . وخابرت موسوليني وسألته أن يسمح لها بقراءة مقاطع من رسائله على راشيل . لكنه سألها وهو يتلعثم: "أهذا ضروري؟" فأجابت انه ضروري ولا غنى عنه .

وجلست راشيل تنتظر في "الغرفة الحمراء" في الفيلا والهم ينهشها . وهي كانت تشعر بوشوك الكارثة . فمنذ شهر اغسطس (آب) ، عندما نفذ الالمان حكم الاعدام بخمسة عشر عضواً من القوات غير النظامية في سجن لوريتو في ميلانو ، غدت الساحة الضيقة خارج السجن رمزاً قومياً وانهالت على أهل الحكم رسائل تهديد خالية من التوقيع . وكانت راشيل ، صباح ذلك اليوم نفسه ، تسلمت رسالة أثارت فيها غماً عميقاً . وقد جاء فيها: "سنأخذك الى سجن لوريتو" .

وعندما دخلت كلاريتا الغرفة حاملة رسائل الدوتشي التي عقدتها بشريط قرنفلي ، كان ذلك بمثابة رصاصة الرحمة في جسد راشيل . وراحت تقرأ عليها مقاطع مثل: "اني احتاج الى كلماتك" ... "اليوم شعرت بغيابك كثيراً" ... فسقطت عليها تلك الكلمات كالصاعقة . واقتربت راشيل من كلاريتا وانتشلت الرسائل من قبضتها . وللحال دخل شبوغلر الغرفة .

واستدارت راشيل نحوه بغيظ وأنشبت أظفارها في يده اليمنى ، فبقي أثر الجرح فيها منذ ذلك الحين .

لكن راشيل رأت أن ما تفعله لا يجدي . ذلك أن شبوغلر ، على رغم جرحه النازف ، استعاد الرسائل منها . وبعد ساعتين استسلمت زوجة الدوتشي وأقرت بالهزيمة . وغادرت المنزل باهتياج شديد وهي لا تدري أن الكلام الذي تفوهت به سيكون ضرباً من النبوة . فهي خاطبت كلاريتا قائلة: "ان نهايتك مرة يا سيدة . انهم سيأخذونك أنت الى سجن لوريتو!"

الانفاس الاخيرة

في الرابع من يونيو (حزيران) ١٩٤٤ ، بدأت سيارات الحلفاء المسلحة زحفها على روما وبات الانتصار وشيكاً . لكن الدوتشي ، بعد ستة أشهر ، وذلك في ديسمبر (كانون الاول) ، ذهب الى ميلانو وألقى خطاباً حماسياً حول أسلحة المانية سرية من شأنها تحقيق نصر أكيد لقوات المحور . وفي مسرح ليريكو في ميلانو الذي يتسع لألفي مقعد ، ألقى خطابه الحماسي الذي بثته مكبرات الصوت في الشوارع . ولدى مغادرته المسرح انطلقت النسوة وسط الحشود ينثرن عليه الزهر ويقبلنه تاركات على يديه آثار احمر الشفاه . وفي اليوم التالي سار أربعون ألف مواطن في الشوارع لتحيته .

أجل ، انها الفاشية تلفظ أنفاسها الاخيرة . وكانت الخطط رسمت لمعركة بطولية أخيرة ضد القوات غير النظامية المعتصمة في أعالي الجبال ،

وذلك انطلاقا من فالتيلينا التي تبعد نحو ٨٠ كيلومتراً شمال ميلانو. وكانت التحصينات من الحرب العالمية الاولى لا تزال تطوق الوادي الذي يبلغ طوله ٧٠ كيلومتراً. فهناك محطات لتوليد الكهرباء ومستشفيات ومعابر جبلية مباشرة الى المانيا وسويسرا. وكانت الخطة تقضي بشن هجوم ايطالي خالص، لا يد للالمان فيه. وأسر الدوتشي الى معاونيه بالآتي: "اني احب هذه الخطة كثيراً". ذلك أن الانتصار في فالتيلينا من شأنه أن يجعل منه اسطورة باقية.

غير أن كلاريتا بيتاتشي كانت لديها أفكار اخرى. فهي كانت تعرف منطقة تعلو ١٨٣٠ متراً يمكن أن تختبيء فيها هي والدوتشي. وكان شبوغلر أخذها مرتين الى ذلك المكان بمزلجة. وهناك صادفا عجوزاً وامرأته يقطنان كوخاً وسط غابة صنوبر. وعرفا منهما أن المرء يمكن أن يقضي حياته هناك من غير أن يدري به أحد.

وأقنعت سبوغلر بطرق الموضوع مع موسوليني. وحين سمع هذا بالأمر أصغى بانتباه ثم أجاب: "هذا جدير بالاهتمام". ووضعت كلاريتا خطة مفصلة للهرب، بما في ذلك الطرق والمعابر التي يجب طرقها. وجهز شبوغلر تأشيرتي مرور مزورتين لئلا تعوق الحواجز الالمانية طريق موسوليني وكلاريتا.

وكانت الامور تجري حسناً. وكان موسوليني يعول على الالمان لحماية الخط الذي يعبر نهر "بو" على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوب شرق ميلانو. إلا أن بعض كبار الضباط الالمان كان قد أجرى محادثات سرية في شأن الاستسلام. وفي ٢١ ابريل (نيسان) استولى الحلفاء على بولونيا وزحفوا نحو الشمال الغربي. وبعد يومين عاد مساعد أرسله موسوليني الى الجبهة خائباً. وأعلن وهو يغص بكلماته: "انها كارثة! لم يبقَ لنا شيء".

وقال موسوليني باصرار: "لكن الالمان يحرسون خط البو".

فأجابه المساعد: "الالمان لا يفعلون شيئاً يا سعادة الدوتشي". ذلك أنه لم يبقَ لديهم سوى طائرة واحدة بعد انهيار مدفعيتهم كلها. وأضاف المساعد: "ينبغي أن تصدر أمراً بالانسحاب الفوري الى فالتيلينا".

وسأله موسوليني: "أصحيح ما يقال عن أن الناس في بولونيا يرمون القوات الحليفة بالزهر؟".

فأجابه بحزم: "للاسف، هذا صحيح! وهم على استعداد لتحية كل من يعيد اليهم السلام والهدوء".

"الفصل الاخير في كتابي"

بقي موسوليني مستلقياً على السياج من غير أن يتوصل الى قرار. ثم نظر الى خريطة فالتيلينا، لكنه تردد. فقد أشار عليه معاونوه بأن المنطقة تعج بالقوات الشيوعية.

وكانت كلاريتا لا تزال متمسكة برأيها وهي تخشى أن يقع الخيار على الانسحاب الى فالتيلينا. لكنها، في أي حال، لن تبارح موسوليني. وسألت صديقاً فاشياً أن يأتيها ببزة عسكرية نسائية تسهل لها مرافقة الدوتشي اذا قرر خوض المعركة. وأصرت على الصديق قائلة: "أرجوك أن تحضر هذه البزة سريعاً، إذ أنني اريد أن أموت معه".

وكان موسوليني على استعداد لمفاوضة القوات غير النظامية اذا اقتضى الامر ذلك. فهذا من شأنه ابعاد معركة عن ميلانو بين الفدائيين والفاشيين، قد تجر الويل على السكان. وشوارع المدينة الآن يخيم عليها جو كئيب، وقد أقفل عدد كبير من المتاجر. وأمام المباني الحكومية خلع معظم رجال الحرس بزاتهم الرسمية وارتدوا بذلات مدنية.

إلا أن القوات غير النظامية فرضت على الفاشيين استسلاماً غير مشروط. وتوقف موسوليني فجأة عند تلك النقطة، وهكذا فض اجتماع ٢٥ ابريل (نيسان) الذي جرى بين الطرفين من غير نتيجة. ورجع الدوتشي الى مقر قيادته، يتبعه معاونوه وقد أخذت منهم الحيرة أيما مأخذ. وارتأى أحد المتحمسين بينهم أنه لم يبقَ من حل سوى أخذ موسوليني عنوة الى فالتيلينا كيما يُتاح للفاشية "أن تموت ميتة جميلة". غير أن الدوتشي أظهر تبدلا مزاجياً مفاجئاً، اذ اقترح أن يتوجهوا كلهم الى بحيرة كومو على بعد ٤٨ كيلومتراً شمالا.

وتحرك الموكب في ثلاثين سيارة وناقلة جند. وما أن بلغوا كومو حتى أظهر الدوتشي تبدلا مزاجياً جديداً، تلاه تبدل آخر. ففي نقطة ما، اقترح الاسراع الى برينر للانضمام الى هتلر. لكنه ما لبث أن غير رأيه مقترحاً اللجوء الى سويسرا.

وأخيراً، وسط أنباء وردت عن سقوط ميلانو وغارات الفدائيين من الجبال المجاورة، كتب موسوليني رسالة وداعية الى راشيل جاء فيها: "لقد بلغت الفصل الاخير من حياتي، الصفحة الاخيرة من سيرتي. واني أسألك أن تغفري لي كل الأذى غير المتعمد الذي اقترفته نحوك. وأنت تعرفين أنك المرأة الوحيدة التي أحببتها حباً حقيقياً".

وبقيت كلاريتا الى جانبه في تلك المرحلة، كذلك كبار اعضاء الحزب الفاشي. الا ان أتباعاً كثيرين تنكروا له في اللحظة الاخيرة خوفاً من الفدائيين المعتصمين في الاعالي. وعمد مئات الشباب الى وضع مناديل المقاومة الحمراء حول اعناقهم. ولما سأل موسوليني عن عدد المرافقين جاءه الجواب: "اثنا عشر". وهكذا تبخر حلم فالتيلينا وبدا على حقيقته، فارغاً مثل العبارات المنمقة الطنانة التي كان الدوتشي يعتمدها في خطاباته.

وأخيراً أصدر القرار الآتي: "سنغادر هذا المكان في الخامسة عصراً، على أمل أن نبلغ السفارة الالمانية في ميرانو قبل حلول الظلام".

الدوتشي متنكراً

انطلق الموكب الايطالي – الالماني في أربعين سيارة، تتقدمها سيارة مصفحة يعلوها مدفع عيار ٢٠ مليمتراً وضع على جانبيه رشاشان صغيران. وكان موسوليني يقود سيارته الخاصة، من نوع "الفا – روميو"، وراء السيارة المصفحة التي ما لبث أن انتقل اليها. وكان مع القافلة مئتا جندي الماني من فرقة السلاح المضاد للطائرات وقد انسحبوا من مواقعهم.

وشقت السيارة المصفحة طريقها على الضفة الغربية المتعرجة لبحيرة

كومــو. ولكن علــى بعد عشــرة كيلومتــرات شمال ميناغيو ثقبت العجلة الخلفية اليمنى للسيارة بمسمار مثلث الرأس غرزه الفدائيون في الطريق. وتوقفت السيارة تحت مطر كان يسقط رذاذاً، وترجل منها ثلاثة جنود ألمان شاهدوا، على بعد ٤٥ متراً أمامهم، حاجزاً من جذوع الاشجار والصخور.

وتحركت من خلف الصخور ثلاثة مناديل بيضاء، ثم تقدم أصحابها، وهــم مــن الفدائييــن، نحــو الوفــد الالماني. وكان قائدهم يدعى بيير لويجي بليني، وهو فلورنسي ناحل ذو لحية سوداء، وضعت في امرته فرقة غاريبالــدي الجبلــية الــثــانــية والخمسون. وكان عــدد الفدائييــن قليلا، كذلك عدتهم، ولم يكن لهم سوى الخداع يعتمدونه.

وتكلم الملازم هانز فالميير باسم الالمان قائلا ان الرتل في طريقه الى ميرانو ولا رغبة له في الاشتباك مع الايطاليين. وهز بليني رأسه موضحاً أن الاوامر التي تسلمها تمنعه من فتح الطريق لأي الماني. وتابع: "انكم مسلحون بالرشاشات، وفي امكاني ابادتكم في ربع ساعة".

ثم سأل بليني: "كم من الايطاليين معكم؟" فأجابه فالميــيــر: "هــنــاك مدنيون قلائل لا يهمني أمرهم. ولا يهمني سوى رجالي".

وقال بليني انه يحتاج الى تصريح من فرقته لفتح الطريق للوفد، طالباً من فالميير مرافقته الى مقر القيادة. وبعد أخذ ورد تحت المطر وافق فالميير على الاقتراح.

وأسرع بليني الى أحد رجاله موعزاً اليه في ارسال ساع يأمر الجنود بأخذ احتياطهم على جميع الطرق والتلال: "ولكن ليحرصوا على ارتداء اللون الاحمر والظهور مظهر المسلحين".

وفعلت الحيلة فعلها. وكان فالميير يراقب بمنظاره الطريق التي يبلغ طولها ٣٠ كيلومتراً والتي استغرق قطعها ساعة ونصف ساعة للوصول الى القيادة الفرعــية، فــلا يــرى ســوى المناديــل الحمــراء يحملهــا الــرجال القابعون وراء الصخور. وهذا أقنعه بأنه يواجه قوة تفوق رجاله، فقر رأيه على أن يفرز الايطاليين ويبقي رجاله وحدهم. ولدى وصوله الى جماعته طلب الى الايطاليين ان يقفوا على حدة، على أن يبقى موسوليني مع رجاله متنكراً في زي جندي الماني.

ولدى سماعه هذا الاقتراح قال الدوتشي: "عندمــا اقابــل الفوهــرر وأقص عليه ما حصل، فاني سأشعر بالخجل ازاءه". فجاءه الجواب: "هذا هو الأمل الوحيد لعبورك الحاجز". لكنه جمجم قائلا: "سأفكر في هذا". فجاءه الجواب مرة اخرى: "ليس من وقت للتفكير يا سعادة الدوتشي. احزم أمرك الآن لأننا ذاهبون". عندئــذ ركب موسوليــنــي الســيــارة المصفحة وهو يرغي ويزبد وصفع الباب وراءه. لكن جندياً المانياً تبعه وألقى عليه سترة رقيب وخوذة.

وبعد دقائق ظهر موسوليني وقد اعتمر الخوذة خطأ وغطى معطفه الارض. وأصلح حراسه الوضع بتؤدة، وألبسوه نظارتين شمسيتين وأعطوه مسدساً آلياً من فئة "ب ـ ٣٨". لكنه أصر على أن يأتي وزراؤه أيضاً. فقيل له: "هذا مستحيل". وأضاف: "إذاً،

لتأت صديقتي على الاقل"٠ وأشار الى كلاريتا والدمع يسح من عينيها٠

ـ هذا مستحيل أيضاً يا سعادة الدوتشي!

وكان الجنود الالمان يحيطونه من كل جانب عندما تسلق موسوليني السيارة الثالثة٠ وتحرك الوفد٠

وفي الثالثة عصراً وصلت طليعة الجيش المتقهقر الى رصيف ميناء دونغو، حيث كانت تنتظرها فرقة من الفدائيين لتفتيشها٠ وكان قائد المجموعة، بيل لازارو، يدقق في أوراق أفراد السيارة الثانية حين اندفع نحوه زميله جيوسيبي نيغري٠ وكان نيغري هذا الذي عمل وراء مدفع على ظهر سفينة، قد شاهد موسوليني وجهاً لوجه على السفينة نفسها ولم ينسَ صورته قط منذ ذلك اليوم٠ وبادر لازارو قائلا: "بيل! لقد حصلنا على الخائن الكبير"٠

توسلات كلاريتا

لم يقاوم موسوليني معتقليه٠ وقال بصوت هادىء وهو يترجل من السيارة: "لن أفعل أي شيء"٠ واقتيد الى دار بلدية دونغو حيث جلس كمن أصابته صدمة قوية٠

ولم تكن لدى بليني، قائد الزمرة الفدائية، أي نية لايذاء موسوليني، الا أنه كان يخشى انقلاباً فاشياً مضاداً، ولم يثق بالقادمين الجدد



الذين كانوا يتدفقون بالمئات على مراكز الفدائيين، تحدوهم الرغبة في السلب والنهب. وفي السابعة مساء تولى بليني شخصياً نقل الدوتشي الى زنزانة داخل ثكنة في جيرماسينو، البلدة الجبلية التي تبعد ستة كيلومترات ونصف كيلومتر.

وما أن وجد موسوليني نفسه هناك حتى توسل الى بليني كي يرسل رجاله في أثر "السيدة المحتجزة في دار البلدية" (مع سائر الايطاليين الذين كانوا يرافقون الوفد الالماني)، قائلا ان اسمها السنيوره بيتاتشي. ولدى عودته الى دونغو، لم يجد بليني صعوبة في التعرف على تلك "الغانية" التي ذاع خبرها والتي جعلته الاخبار المتناقلة عنها يكن لها الكره الشديد.

لكن هم كلاريتا الوحيد كان الدوتشي نفسه. ولم تنفك تطرح على بليني السؤال الآتي: "كم من الوقت سيبقى محتجزاً لديكم؟" لكن بليني لم يعرف الجواب. وكان خبر القبض على موسوليني بلغ ميلانو عن طريق بليني الذي كان ينتظر التعليمات من القيادة الثورية العليا.

وتقدمت كلاريتا نحوه في نوبة مفاجئة من الاسى. وقالت وهي تبكي، وكأنها أدركت ما يجول في ذهن بليني من أنها احدى "محظيات البلاط": "كيف لي أن أقنعك بأني بقيت الى جانبه طوال هذه السنوات لا لشيء سوى أني أحبه؟ يجب أن تصدقني". ودفنت وجهها بيديها.

أما بليني فقد هزه المشهد، ووعدها بأنه سيفعل قصارى جهده كي يبعد عنها العذاب.

فأجابته كلاريتا باكية: "لم أكن أتصور أن اقابل عدواً طيباً مثلك، وهذا يشجعني كي أطلب منك أمراً، وهو أن تضعني معه. دعنا نكون معاً، إذ لا أذى لأحد في هذا الامر".

لكن بليني اعترض برفق، قائلا انه اذا حدث شيء لموسوليني فالخطر سوف يلحقها هي أيضاً اذا كانت معه. وللحال بادرته كلاريتا: "أتعني أنكم ستعدمونه؟"

– كلا! ليس ثمة شيء من هذا القبيل.

ثم رفعت كلاريتا يديها عن وجهها وراحت تمسح عينيها وأضافت: "عدني بأنه، اذا أعدم موسوليني، فاني سأكون معه حتى النهاية وأموت الى جانبه. هذا كل ما أطلبه منك: أن أموت معه".

وشعر الفدائي الشاب بالخجل لانه كان يزدري تلك الفتاة. وأجابها وقد هزته كلماتها: "سوف أبحث طلبك مع زملائي".

علامة الصليب الاسود

كانت هناك فئتان مضادتان تحاولان الوصول الى موسوليني: الشيوعيون، وهم يشكلون عدداً كبيراً من الفدائيين، يريدونه ميتاً، والحلفاء يريدونه حياً. وكان الامر وقفاً على من يصل اليه أولا.

وفي ٢٧ ابريل (نيسان) عبر الحدود السويسرية ضابط امريكي هو النقيب اميليو داداريو مع فرقة مؤلفة من ١٢ عميلا ايطالياً، بقصد العثور على الدوتشي. لكنهم كانوا يواجهون البلبلة أينما اتجهوا. ولدى بلوغه

ميلانو، وهو أول أمريكي يدخل المدينة المحاصرة، وجد داداريو نفسه مضطراً الى التنكر لاتقاء مذبحة، اذ ان الالمان كانوا يحتفظون بعدد من المواقع القوية داخل المدينة وحولها.

أما الفدائيون فكانوا يعرفون مكان وجود موسوليني. وهم عهدوا الى ولتر اوديسيو، وهو شيوعي في السادسة والثلاثين، في تنفيذ حكم الاعدام بالدوتشي. وكان اوديسيو معروفاً بلقب "الكولونيل فاليريو" أحد ضحايا الفاشية.

وحصل اوديسيو بالحيلة على تأشيرة مرور وقعها داداريو نفسه، تسمح له "بالتجول كما يشاء مع مرافقه المسلح" في منطقة كومو وجوارها. وفي ٢٨ ابريل (نيسان) توجه شمالا مع الدو لامبريدي، أحد أقسى عتاة الشيوعيين، وشاحنة محملة رجالا.

ولما وصل اوديسيو الى دونغو استقبله بليني على نحو لا يخلو من الريبة. لكنه لم يستطع أن يرده على أعقابه اذ كان يحمل جميع الاوراق الضرورية التي تخوله فرض ارادته.

وقال اوديسيو بانفعال: "اننا سنعدم كل الرؤوس الكبيرة، هذه هي الاوامر التي أحملها". وطلب لائحة بأسماء السجناء، ثم أخذ يضع خطوطا بالقلم الاسود تحت عدد منها، غير مكترث لاحتجاج بليني. ومن الاسماء التي حكم على أصحابها بالموت بنيتو موسوليني وكلاريتا بيتاتشي.

وكان بليني، الليلة الماضية، نقل موسوليني الى منزل ريفي عند سفح الجبل في قرية صغيرة اسمها غيولينو دي ميتسيغرا، خوفاً من أن يعرف أحد بمكانه. وسمح لكلاريتا بأن تنضم اليه. وكانت غرفتهما صغيرة وباردة، على غرار الغرفة التي ولد فيها موسوليني قبل ٦٢ سنة.

وحاول بليني أن يجد مخرجاً للمأزق الذي خلقه اوديسيو. واقترح أن يتولى بنفسه احضار الوزراء، كذلك موسوليني وكلاريتا، وارسالهم جميعاً الى دونغو حيث ينتظرهم اوديسيو، على أن يعاونه لويجي كانالي وميشال موريتي.

ولكن فات بليني ان رفيقه في السلاح موريتي هو شيوعي عنيد أيضاً، نظير اوديسيو. وأبى اوديسيو الا أن يذهب في سيارة موريتي لاحضار موسوليني.

وفي نحو الرابعة عصراً وصل الرجال في سيارة الى المزرعة التي أمضى فيها موسوليني وكلاريتا ليلتهما. والقى اوديسيو التحية على موسوليني وقال: "لقد جئت لاطلاقك". لكن الدوتشي أجاب بتهكم: "أحق ما تقول؟ ان هذه لبادرة طيبةمنك". وطلب اليهما اوديسيو جمع أمتعتهما. ولما فعلا، قادهما الى السيارة وأجلسهما في المقعد الخلفي حيث قبضت كلاريتا بشدة على يد موسوليني. وقال السائق في ما بعد أن الاثنين ظهرا "في منتهى الهدوء". وانحدرت السيارة عن التلة ببطء كعربة موتى. وكان لامبريدي وموريتي واقفين على عتبتها الجانبية واوديسيو على العتبة المقابلة وهو يصوب مسدسه الى الداخل.

وبعد قطعها بضع مئات من الامتار، وصلت السيارة الى منعطف حاد. وهناك أمر اوديسيو السائق بالتوقف أمام بوابة "فيلا بيلمونتي" المحاطة بسياج حجري يحجبها عن القرية وراءها. وقفز اوديسيو من مكانه وأمر موسوليني وكلاريتا بالخروج من السيارة والتوجه نحو البوابة، فيما وقف الآخرون على اهبة الاستعداد لمنع أي عابر سبيل من التقدم.

وأعلن اوديسيو ما يأتي: "بأمر القيادة العليا للمتطوعين من أجل التحرير، أوكل الي احقاق حق الشعب الايطالي".

وفجأة غرقت كلماته وسط صياح كلاريتا وهي تقول: "كلا! كلا! يجب ألا تفعل هذا".

فأجابها بصوت خشن: "ابتعدي من هنا اذا شئت ألا تموتي". وتصبب العرق من وجهه وهو يقدح زناد المسدس ثلاثاً، ولكن من دون جدوى. ونزع المسدس من قرابه وهو يشتم، لكن ذلك لم ينفع أيضاً. عندئذ صرخ الى موريتي قائلا: "أعطني مسدسك". فأعطاه اياه على الفور.

وانتاب سائق السيارة تشنج في معدته وهو يرى موسوليني يفك أزرار سترته الخضراء القاتمة ويقول لقاتله الشيوعي بصوت واضح: "أطلق الرصاص هنا، على صدري". وتحركت كلاريتا محاولة التدخل، لكن اوديسيو، الذي وقف على بعد ثلاث خطوات، عاجل موسوليني بخمس طلقات وكلاريتا بأربع. وخر الاثنان. وقد اخترقت احدى الرصاصات قلب كلاريتا، وكانت تحمل في يدها نبتة خضراء. أما موسوليني فكان لا يزال ينبض على رغم الرصاصات الخمس. فتقدم اوديسيو اليه وصوب رصاصة الرحمة الى قلبه مباشرة.

"لقد مات الوحش"

حُملت الجثتان الى ميلانو في سيارة عسكرية مع ١٥ جثة اخرى للقادة الفاشيين الذين وقعوا في أيدي الثوار. وتحت جنح الظلام مُددت الجثث أمام سجن لوريتو، في الساحة التي كانت مسرحاً لاعدام الوطنيين الخمسة عشر بايعاز من الالمان.

وفي الصباح التالي بدأ الفضوليون يتوافدون الى المكان الذي وضعت فيه الجثث. وكان أحدهم ألقى سارية علم، بدت مثل صولجان، على يد موسوليني الذي اتكأ رأسه على قميص كلاريتا الابيض. ووقف رجال الصحافة هناك، وأدار بعض المصورين رأس موسوليني نحو الشمس، ساندا فكه بعقب بندقية ليبقى في وضع ملائم لالتقاط الصور.

وفجأة راحت الجماهير تفجر غيظها المكبوت، وسرت في الناس وحشية الغاب. ووثب رجل نحو موسوليني موجهاً رفسة الى رأسه. وأخذ الناس يرقصون ويهزجون حول الجثث. وأطلقت امرأة خمس طلقات على جثة موسوليني، رمزاً لابنائها الخمسة الذين قتلوا في حرب الدوتشي. وانتزع أحدهم قميصه وأشعل فيها النار، محاولا رميها على رأس موسوليني.

وأصدر أحد قادة الفدائيين أمراً

لعشرة رجال كي يطلقوا النار في الهواء لتفريق الجموع. لكن ذلك لم يجد. وراح الناس يشتمون ويطأون الجثث، منفسين عن حقد دفنوه سنوات طويلة. وعجز رجال الشرطة، وعددهم ثلاثمئة، عن تفريق الجمع، فتراجعوا وقد تمزقت بزاتهم. ثم حاولت فرقة اطفاء بعثرة الناس بالماء، فأخفقت هي أيضاً في اخماد الحقد.

بعدئذ رفعت الجثث من أرجلها وعلقت على عوارض محطة وقود منسوفة.

وانطلقت اجراس ميلانو تجلجل بايقاع رتيب، من سان بيبيلا الى سان امبروغيو، معلنة موت الدوتشي واسترداد الحرية، وناقلة البشرى من ميلانو الى ايطاليا كلها، بل الى العالم بأسره.

وسمع ادولف هتلر بمصير حليفه عصر ذلك اليوم، وهو في غرفته المحصنة تحت الارض في برلين. ولم يكن مضى وقت طويل على زواجه بعشيقته ايفا براون. ولاحظ ملازموه أنه لم يكترث كثيراً للأمر. وكانت الدبابات السوفييتية على بعد كيلومتر أو أقل عن برلين. وقد أعلم هتلر أن أحد أقرب معاونيه، هنريخ هيملر، كان يتفاوض مع الحلفاء الغربيين. وفي تلك الليلة ودع جميع الذين كانوا معه في الغرفة استعداداً لموته المروع في اليوم التالي.



وكان ونستون تشرشل في منزله الريفي عندما بلغته الانباء عن وفاة موسوليني. فتهلل كثيراً لمصرع الطاغية وأسرع الى ضيوفه للعشاء يزف البشرى: "لقد مات الوحش الرهيب". لكنه، عندما قرأ عن كلاريتا، أمر باجراء تحقيق فوري حول ذلك "الفعل الخسيس".

أما الجنرال آيزنهاور فوردته الاخبار وهو في بلدة رانس الفرنسية، حيث المقر الاعلى لقوات الحلفاء فقال لقائد أركانه: "يا لها من نهاية مفجعة!" وكان الجنرال مارك كلارك في فلورنسا (ايطاليا) يؤيد رأي آيزنهاور، لكنه قال: "ان الشعب نفسه بات يكن لموسوليني الكره الشديد".

وكانت راشيل موسوليني اعتقلت وحملت الى جناح النساء في سجن كومو. ولم تعرفها سوى امرأة واحدة، لكن راشيل رجتها أن تبقى صامتة.

وفي ساحة السجن كان أحدهم يقرأ لائحة من الاسماء، وكلما قرأ اسماً سمع دوي الرصاص ثم صلصلة عجلات. لقد كانت الثورة الفاشية تلفظ أنفاسها الاخيرة مثلما ولدت ـ وسط الدم. وراحت النسوة يزعقن ويضربن حديد النوافذ بأيديهن. أما راشيل فلم تُبدِ حراكاً، بل كانت تمني النفس بلقاء ولديها الاصغرين سريعاً. وهي علمت بموت زوجها، لكنها بلغت الحد الذي لا يجدي عنده الغم. ولم تتذكر، حتى اليوم التالي، ما تنبأت به أمام كلاريتا: "انهم سيأخذونك أنت الى ساحة سجن لوريتو".

وكانت بالقرب من راشيل امرأة لاحظت هدوءها الغريب، لكنها لم تدرك معناه. وما لبثت أن سألتها: "وأنت يا جارة! لماذا لا تبكين؟ ألم تفقدي عزيزاً؟".

وفي الثانية من عصر ذلك اليوم، اتصل الكولونيل تشارلز بوليتي، من الجيش الامريكي، بقيادة الفدائيين في ميلانو. وبادره فيروتشيو باري، من حزب العمل الايطالي، باعلان اشمئزازه من المعاملة التي لقيتها كلاريتا ومن التمثيل بالجثث على الرصيف أمام السجن. وأضاف: "هذه البشاعة لا تليق بنا. انها ستخلف جرحاً بالغاً في جسد الحركة الفدائية".

فأجابه بوليتي مواسياً: "لقد حصل ما حصل. ومن الطبيعي أن تجيش الانفعالات وقت الحرب. لكني جئت أطلب اليكم نقل هذه الجثث من هنا ووقف البشاعة التي تشير اليها. هذه هي أوامري".

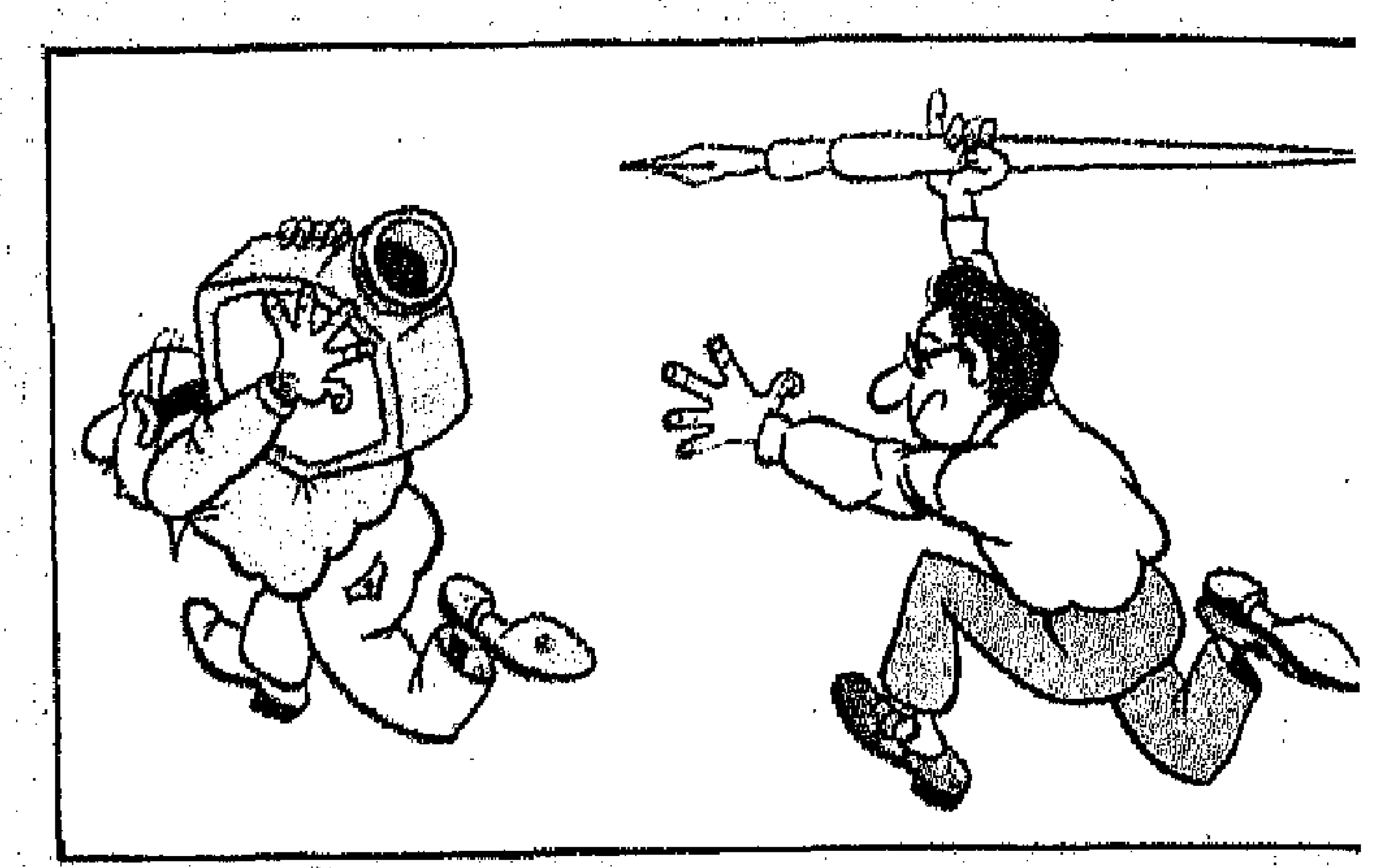
ووافق باري على الفور. لكنه أضاف: "ولكن ماذا نفعل بموسوليني؟ ان الجماهير قد تمزقه".

وبعد تفكير، أجاب بوليتي: "في الولايات المتحدة لدينا مكان نسميه براد الجثث، حيث توضع جثث الموتى ليتعرف عليها ذووها. هل لديكم شيء كهذا؟"

ـ أجل، ثمة ما يشبهه، لكنه مخصص للفقراء.

"حسناً، اذاً. خذوه الى هناك ولتحرسه جماعتكم. لقد لقي هذا الرجل من الأذى ما يكفيه. فأوقفوا الأذى عنه، أوقفوه!"

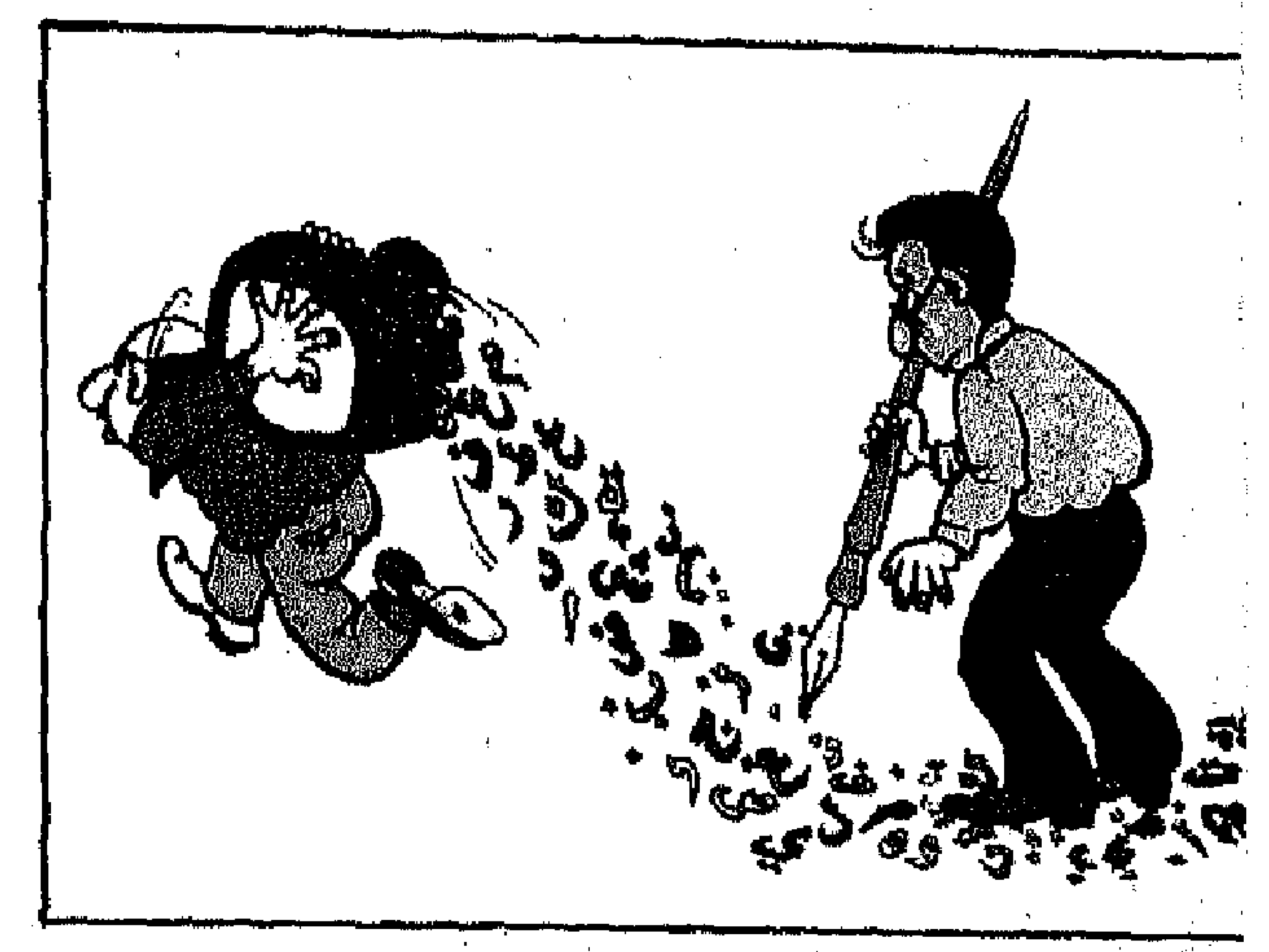
■ **ريتشارد كولبير**



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنتهي كلها بألف ونون، لكنها ليست مثنيات، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١- جنّان: قلب ـ فردوس ـ جنون ـ تسامح.
٢- خذلان: جبن ـ خسارة ـ ذل ـ تخلف عن النصرة.
٣- سِرحان: شارد الفكر ـ ذئب ـ متجول ـ حر طليق.
٤- فَلْقان: جيش ـ ضرب القدمين ـ كذب ـ ضجر.
٥- عُربان: بعض الثمن ـ اعتراف ـ تفريق ـ فصاحة.
٦- حصان: ثعلب ـ امرأة عفيفة ـ مناعة ـ ذكر الخيل.
٧- شنآن: بعيد ـ مبغض ـ دميم ـ متعال.
٨- صِوان: مائدة ـ حجر صلب ـ سور ـ وعاء لحفظ الثياب.
٩- عِرفان: اصول ـ كشف الغيب ـ اقرار ـ تزلف.
١٠- خاقان: مرافق ـ وعاء الشرب ـ خائن ـ ملك.
١١- جُرجمان: أكول ـ مجرم خطر ـ زيتون ـ متعثر في الكلام.
١٢- شيبان: شهر ديسمبر ـ عبد ـ جواد اصيل ـ عاشق.
١٣- ظَرِبان: غزال ـ مصاب بالجرب ـ حيوان كريه الرائحة ـ ظريف.
١٤- طفحان: بليد ـ غائب عن الوعي ـ مُمِلّ ـ فائض.
١٥- زعلان: شديد الشوق ـ نشيط ـ مستاء ـ جائع.
١٦- خنان: موت ـ اخاء ـ داء في الانف ـ خديعة.
١٧- عِيان: مشاهدة ـ اسياد ـ مرض مقعد ـ مساعدة.
١٨- فَيْنان: شجر ظليل ـ جبان ـ اخضر ـ طويل الشعر.
١٩- هُرمان: شيخوخة ـ خادم الملك ـ اهرام ـ عقل.
٢٠- مجّان: كَرَم ـ عطية بلا ثمن ـ رخيص ـ فضة.
٢١- كِنان: لقب ـ فؤاد ـ جعبة السهام ـ ستر.
٢٢- قِران: حبل يشد به الاسير ـ مقابلة ـ كابوس ـ برد.
٢٣- فيكهان: مُدَّع ـ بائع الفاكهة ـ مزّاح ـ مخبول.
٢٤- غسّان: كريم ـ مقدام ـ حدة الشباب ـ حكيم.
٢٥- قهرمان: مهرّج ـ وكيل ـ ملك مستبد ـ قاض.
٢٦- هَوان: ذُلّ ـ لين وسهولة ـ تباطؤ ـ سقوط.
٢٧- حَبْلان: عالق بحبل ـ متزوج ـ صاحب رأي ـ ممتلىء.
٢٨- مِذعان: شمير ـ سهل الانقياد ـ مسموع ـ متشرد.
٢٩- دَيْدان: ثرثار ـ صاحب دهاء ـ دأب ـ مُراب.
٣٠- معمعان: حر شديد ـ باسل ـ ساحة الحرب ـ غبار.



الأجوبة الصحيحة

١ • جَنان: قلب • ايضاً: الليل والامر الخفي وجوف كل شيء •
٢ • خذلان: تخلف عن الاعانة والنصرة •
٣ • سِرحان: ذئب، اسد • ذنب السرحان: الفجر الكاذب •
٤ • فَلْتقان: كذب فاضح • مفلاق: من يأتي بالمنكرات •
٥ • عُربان او عربون: بعض الثمن • ايضاً: عرب •
٦ • حَصان: امرأة عفيفة • ايضاً: دُرّة • ابو الحُصَين: الثعلب •
٧ • شَنآن: مبغض • شناءة: بغض مع عداوة •
٨ • صِوان: وعاء تحفظ فيه الثياب والكتب •
٩ • عِرفان: معروف • ايضاً: مجازاة واقرار •
١٠ • خاقان: ملك •
١١ • جرجمان: أكول • جريم: تمر يابس • جريمة: نواة •
١٢ • شيبان: شهر ديسمبر (كانون الاول) لابيضاض الارض فيه بالثلج •
١٣ • ظَربان: حيوان صغير من اللواحم رائحته كريهة منتنة •
١٤ • طَفْحان: الذي يفيض من جوانبه • يقال: اناء طفحان •
١٥ • زعلان: نشيط • زعل من المرض: ضجر واضطرب •
١٦ • خنان: داء في الانف • مَخنَّة: انف •
١٧ • عِيان: مشاهدة لا ريب فيها • يقال: شاهد عيان •
١٨ • فَيْنان: حسن الشعر طويله •
١٩ • هِرمان او هِرِم: عقل، رأي جيد • هَروم: امرأة سيئة الخلق •
٢٠ • مجّان: عطية بلا ثمن • ماء مجان اي كثير •
٢١ • كِنان: ستر الشيء ووقاؤه • كنانة: جعبة السهام •
٢٢ • قِران: حبل يشد به الاسير او البعير •
٢٣ • فيكهان: مزّاح طيب النفس •
٢٤ • غَسّان: حدة الشباب • غسّاني: جميل جداً •
٢٥ • قهرمان: امين الدخل والخرج، وكيل •
٢٦ • هَوان: ذُلّ وضعف • يقال: هَوّن عليك، اي خفف ولا تبال •
٢٧ • حَبلان: ممتلىء • المملوء غيظاً وحقداً •
٢٨ • مِذعان: سهل الانقياد • اذعن بالحق اي اقرّ به •
٢٩ • دَيْدان: دأب، عادة •
٣٠ • معمعان: حر شديد او برد شديد •

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد
١٣ ـ ١٨: مقبول

املأوا شاشتكم بالألوان الحية

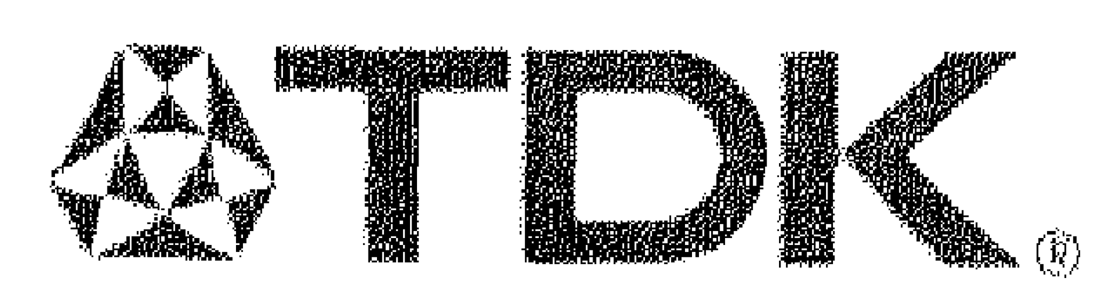
"افيلين" ، الفيديو كاسيت الاكثر شعبية في العالم، يعطيكم فيضاً غنياً من الالوان الطبيعية على شاشتكم التلفزيونية .

وضوح أكثر في الالوان، أمانة اكبر في نقل الصورة، وصور ثابتة نقاوتها مدهشة . . .

هذه هي ميزات "افيلين" شرائط التسجيل الفريدة التي اخترعتها TDK ، والشريط الاحسن يعطيكم صورة اجود، لذلك اختاروا الاحسن لجهازكم الفيديو في TDK سوبر "افيلين" .

TDK سوبر "افيلين" المقياس العالمي في الآلات السمعية البصرية .

The Future in Sound and Pictures.



TDK ELECTRONICS CO., LTD.

